

درہنی خشبہ

# الأوزيس

لشاعر الخلود « هو مبروس »

ملتزم الطبع والنشر  
مكتبة نهضة مصر بالبيروت  
١٨ شارع كلاس مدحت

إلى اليونان الخالدة  
أهدى هذه النشئة من هوميروس

## مقدمة

وهذه هي قصة الأوديسة ، وبطلها أوديسيوس ، أو أوليسيس ، أو عولس كما يسميه الشرقيون .

وقصة الأوديسة ملحمة متفرعة من قصة حروب طروادة ، تلك الحروب الطويلة القديمة التي نشبت بين جيوش دول المدن اليونانية وبين جيوش طروادة (١) وحلفائها من دول آسيا الصغرى في ذلك الوقت ، وسببها هو ما ذكرناه في قصة الإلياذة ، إذ نزل باريس بن الملك پريام ملك طروادة ضيفاً على الملك منلوس ملك أسبارطة فلم يلبث أن سرق زوجته وكنوزه وفر إلى طروادة فنشبت الحرب التي دامت عشر سنوات حتى استطاعت الجيوش اليونانية اقتحام المدينة بفضل الحيلة التي أشار بها أوديسيوس بطل قصة الأوديسة وهي حيلة الحصان الخشبي الضخم الذي اختبأت فيه نجمة من أشجع فرسان الجيش اليوناني . . مما هو مذكور في قصة حروب طروادة .

وقصة الأوديسة هي إحدى الملاحم التي نظمها الشاعر الأعشى هوميروس في تاريخ تلك الحروب الطويلة المريعة . . ولم يبق من تلك الملاحم إلا قصة الإلياذة ، وهي تاريخ السنة العاشرة من تلك الحروب أما قصة الأوديسة فتروى ما حدث لبطلها أوديسيوس بعد انتهاء

(١) طروادة مدينة قديمة على بوزاز الدردنيل في الشاطئ الآسيوي .

حرب طروادة وذلك في طريق عودته بجرأ من طروادة إلى مملكته  
إيثاكا... لقد لقي أوديسيوس من المتاعب، وخاصة من المغامرات،  
شيئاً كثيراً وقاسى من الأهوال ما نقرأ تفصيلاً في تلك الملحمة...  
أى القصة التي يتحدث فيها الشاعر عن ألوان البطولة والقوة  
والحب والحرب ومواجهة الظروف القاسية التي لا يصبر عليها  
إلا أشجع الشجعان.

والقصة تروى أن بنوب ملكة إيثاكا وزوجة البطل  
أوديسيوس كانت امرأة عظيمة نبيلة وعلى قسط كبير من الجمال،  
وكان لها ابن واحد اسمه تليماك - أو تليماخوس - كان لا يزال صبياً  
صغيراً في أول تلك القصة. وأن ملوك اليونان الأقوياء الظالمين لما  
رأوا أن أوديسيوس قد تأخر عن العودة إلى بلاده، وطالت السنوات  
والأيام ولم يعد إليها ظنوا أنه قد مات أو غرق، فطمع كل منهم  
في الزواج من بنوب الجميلة، وأقدموا يخطبونها، لكن بنوب الوفية  
الطاهرة كانت تردهم رداً جميلاً، وتعددهم أنها حينما تفرغ من نسج  
ثوب تظاهرت بالعمل فيه على منسجها فسوف تنظر في خطبتهم لتختار  
من بينهم زوجاً لها بدلا من أوديسيوس، وهي إنما كانت تحتال بتلك  
الحيلة عسى أن يكون زوجها لا يزال حياً وعسى أن يعود ليحارب  
هؤلاء الملوك السمجاء الذين أقبلوا من بلادهم وحاصروا قصر بنوب  
ولم يشاؤوا الانصراف عنه حتى تختار لها زوجاً منهم.  
ويحسن هنا أن نتذكر أن معظم الأمم القديمة كانت أمماً وثنية،

ولم يكونوا يعبدون إلهاً واحداً ، بل كانوا يعبدون آلهة متعددة ، وكان اليونانيون بالمثل يعبدون مئات من تلك الآلهة التي كان كبيرها زيوس ، رب السماء والأرض والصواعق في نظر اليونانيين ، ثم أخوه نبتيون ، أوبوسيدون ، رب البحار ، ثم أخوه بلوتو أو هيدز أو حادس رب الموتى والدار الآخرة ؛ وكان لزيوس زوجات كثيرات أنجب منهن ابنه أبوللو رب الشمس وديانا ربة القمر ومينرفا ربة الرح والحكمة والعدالة وأرباباً كثيرين غير هؤلاء سوف نلقاهم في هذه القصة كما لقيناها في قصة الإلياذة وسوف نضحك كثيراً على سخافاتهم .

ومن العجيب أن هؤلاء الأرباب الأغنياء قد انقسموا على أنفسهم في تلك الحروب المملوكة ، فبعضهم كان يؤيد أهل طروادة ضد اليونانيين ، وبعضهم كان يؤيد اليونانيين ضد أهل طروادة .

وقد كانت مينرفا ربة الحكمة والعدالة تؤيد أوديسيوس وتعطف على ابنه تليماك ولذلك تنكرت في صورة بطل من الأبطال ثم زارته لتطلب إليه أن يذهب للبحث عن والده لأنه لم يمت ، بل لا يزال حياً يكافح في سبيل الوصول إلى دياره .

فلماذا إذن تأخر أوديسيوس عن الوصول إلى إيثاكا ؟ وماذا عانى من الأهوال في طريقه إليها ؟ وماذا صنع حينما عاد ؟ وماذا كان من أمر زوجته بنلوب وأمر ولده تليماك ، وأمر أعدائه الملوك اليونانيين ؟

هذا هو موضوع الأوديسة ، تلك القصة الرائعة التي لم نشأ أن نترجمها ترجمة تطابق أصلها اليوناني ، بل فضلنا روايتها رواية تيسر فهمها وتعطي خلاصتها لكثرة ما ورد فيها من أسماء الآلهة وأنصاف الآلهة وما أثقلها به هوميروس من أسماء الأبطال الخرافيين والحوادث العارضة التي قد يثقل على ذهن القارىء الممول متابعتها .

ونصح للقارىء بالرجوع إلى قصة الإلياذة ليجمع بين الصورتين كما ننصحه بقراءة كتاب الأساطير اليونانية حتى يحصل على صورة متكاملة لهذا القصص اليوناني الرائع الذي يقرأه اليوم جميع الشباب في مكاتبهم المدرسية ومكتبات بيوتهم في جميع أرجاء العالم ، لما فيه من شحنة للفكر وتنبيه للخيال ، وما يشتمل عليه من صور البطولة والشجاعة وتعويد القراء على التفكير إزاء كل مشكلة أو صعوبة يواجهونها .

هذا ، وقد قننا بكثير من التعديلات في القصة وفي الأساطير لتيسر آ على شباب القراء ، مما لا يخفى على إخوتنا القراء التلاميذ .

دريين خشيبة

(الروضة — القاهرة ١٩٦٠)

## مقدمة الطبعة الاولى

... وها هي ذى قصة الأوديسة .. أو الحلقة الثالثة من روائع الأدب اليونانى التى أخذت على عاتق تقديمها بطريقتى الخاصة لقرائى الأعزاء فى جميع الأقطار العربية ... أولئك القراء الذين أكرموني فتقبلوا كتابى السابقين : أساطير الحب والجمال عند الإغريق ، وقصة طروادة ، متضمنة إلباذة هوميروس الخالد ، الذى فُتنتت به ، فلم أبال ان أقدم طُرفتيه المجيدنين لقراء الأدب الرفيع فى أقل من ستة أشهر ، ليشقا طريقهما وسط تلك الرحمة الصاخبة من مئات الكتب فى الأدب الرخيص .

ها هي ذى قصة الأوديسة إذن ... كما رويتها ، وهذبت حواشيتها ، منذ عشر سنين ، جارياً فيها على المنوال الذى اخترته فى تقديم كتابى السابقين ... ذلك المنوال الذى ما زلت أراه أسلم الطرق لتجيب روائع الأدب القديم إلى نفوس القراء فى هذا الزمن المترّف العجول المسكول . وبعد ... فلقد قلت أكثر ما كنت أصبو إلى قوله عن هوميروس فى المقدمة الطويلة التى صدرت بها لقصة الإلباذة ، وذكرت فيها الشىء الكثير عن قصة الأوديسة ، والذى لا أزال أرجوه هو أن يوفئنى الله إلى إصدار ما أعددت له للطبع من روائع الأدب اليونانى الذى كان فى إحيائه إحياء أوروبا الحديثة ، والذى لا بد لمصر الحديثة ، بل للعالم العربى الحديث ، من الإلمام به ، إن كان فى نيتنا خلق أدب عربى حديث .

## بين منيرفا وتايماك

أنشد ياهوميروس !  
وظل في فم الأبد قيثارته المرثية ، ونأيه المطرب ، وعوده الآن ،  
ونغمته الحلوّة الحنون !  
أنشد يا شاعر العصر الخالي .  
ومحلّ في الأسماع موسيقى مدوّية ، وفي العيون دموعاً جارية ، وفي  
القلوب رحمة ومحبة ، وانفجح عرائس الشعر من لدنك سلطاناً ، وحكمة  
وبياناً ، وسريراً وصولجاناً .  
كغنّ يا شاعر أولمب !  
وانزل من جنتك نعمة تنتظم الأفلاك ، ورثة تجلجل في الأفق ،  
وأهة تزلزل قلوب الجبارين !

\*\*\*

سقطت اليوم (١) ونزح المغير عنها بخيل ورجل . فتعالى ياعر انس القنون  
فأفقدى أوديسيوس في ذلك البحر اللحي يذرعه ، موجة تلبسه وموجة  
تخلعه ، لا يعرف لمملكته ساحلاً فيرسو عليه ، ولا شاهداً فيقصد إليه . . .  
يخبط في اليمّ على غير هدى ، ويرسل عينيه في المساء والسماء على  
بصيرة . . . زرقة متصلة في العاو والسفل ، وتيمه لأنهاض يخبط في أهدائه  
أسطول السادة المنتصرين . . .

(١) Ilium هي طروادة



والأقدار وحدها تعلم لماذا ضل أوديسيوس بجنوده في ذلك العُباب ،  
وقد عاد كل أقرانه إلى هيلاس بعد طول النأى و شحط المزار ، إلا هو  
وإلا هم ، بمنزقين في دار الغربة كل مُزَّق ، يتجشمون المصائب والآهوال ،  
ويتخبطون بين موج كالجمال ، ويخُصون من بحر إلى بحر ، ومن روع  
إلى روع . فإذا أرسوا على أرض وظنوا أنهم نجوا ، أفرعهم فيها غير  
الذي رجوا . . .

ولقد رقت قلوب الآلهة ، وودوا لو أدركوا برحمتهم أوديسيوس . . .  
إلا نبتيون الجبار ، رب البحار ، الذي يضمحل للبطل في أعماقه كل كراهية  
وكل بغضاء ، والذي آلى أن يصب على رأسه كل تلك الأرزاء . . .  
وحدث أن كان نبتيون في حرب مع الأثيوبيين ، فانتزها الآلهة  
فرصة سانحة ، وعقدوا مجلس الأولمب في ذروة جبل إيدا ، وتفضل الإله  
الأكبر ، زيوس (١) ، فافتتح الجلسة بكلمة مخلصنة توجع فيها لما يلقاه  
بنو الإنسان من صروف الحداث ، واستطرد فذكر مأساة أجاممنون  
المسكين وما لقيه على يدى زوجته وعشيقها الأثيم إيجستوس من غدر  
وغيلة ، ثم أنحى باللائمة على هؤلاء البشر البائسين الذين يقولون إن كل  
ما يصيبهم من خير وضير هو من عند الآلهة ، وما هو إلا من عند  
أنفسهم . . . ولكن لا يفهمون !

ثم نهضت مينرفا ربة الحكمة ، ذات العينين الزبرجديتين ،  
فأيدت ما قال أبوها سيد الآلهة ، وأثنت عليه ، ثم ذكرت أوديسيوس . . .  
ذلك التعس المسكين الذى تخطَّفه هو وصحبته البحر ، وقضى عليه دون

أقرانه جميعاً أن يشقى هذا الشقاء الطويل ، عند عروس الماء الغائنا  
كلبسو في جزيرة أوجيجيا ، ثمانية أعوام أو يزيد ، ما ذنبه ؟ ما جريرته ؟  
لماذا يُنقى هذا العبد الصالح في أقصى الأرض يا أبي ؟ خير عبادك  
أجمعين . أذكر كم ضحى الأضحيات باسمك ، وقدم القرابين من أجلك .  
وحارب أعداءك وجاهد شائريك القديمي إلى أن كلبسو تحاول  
جاهدة أن تستميل قلب البطل ، وأن تنسيه وطنه إيثاكا . . . يا للهول !  
كيف يا أبتاه ! وهذه الزوجة التمسعة بنبلوب ؟ ! بنلوب المحزونة المرزأة !  
بنلوب التي صبرت وصابرت طوال هذه السنين على ما كرتها الدهر به  
من بُعد زوجها : بنلوب التي حافظت على طهرها وإخلاصها ؛ أتظل  
هكذا سجيناً في قصرها المنيف الباذخ ؛ ويظل هذا القصر محاصراً  
بخطابها المجانين من أمراء الأقاليم ؟ ! أبي ! يا سيد الأولمب ! ألا تدرك  
برحمتك أوديسيوس ، وترده إلى وطنه لينود هذه الكلاب التي ولغت  
في حوضه ، وكادت تخوض في عرضه ؟ تداركه يا أبي ، تداركه بعطفة  
واحدة منك ، وإنك على إنقاذه لتقوى ممكن . »

واستجاب لها سيد الأولمب ، وقضى أن يعود أوديسيوس إلى إيثاكا ؛  
لكمته ذكرها برب البحار نبتيون ، وذكرها بما بينه وبين البطل من  
ترات وثارات ، « سببها هذه الفعلة الجنونية التي فعلها أوديسيوس بواحد  
من السيكلوبس (١) ، أبناء نبتيون إذ اقتلع عينه الواحدة التي كان ينعم  
بسبيلها برينة الحياة . . . إطمئني يا بنية وقرى عيناً . . . إننا نحن الأعلون ،  
وسيرى نبتيون أنه ان يغلب الآلهة مجتمعة أبدأ . . . »

(١) سيأتي ذكر ذلك في الكتاب العاشر من الأوديسة .

وشاعت الغبطة في أعطاف مينرفا ، وتضرعت إلى مولاها أن يُنفذ ولده هرمنز إلى جزيرة أوجيجيا ، فيأمر عروس الماء كابسو أن تُعدَّ مركباً عظيماً لأوديسيوس ورفاقه ، ليعودوا عليه إلى أوطانهم ؛ ثم ذكرت أنها ستمضى من فورها إلى إيثاكا حيث الخُطاب المأفين يحاصرون قصر بنلوب ، وحيث ابن أوديسيوس المنكود ، تليماك ، يشهد خراب بملسكة أبيه ولا يستطيع أن يحرك ساكناً ، لصغر سنه ... « إنى سأهلب إحساسه ، وأفتح عينيه على ما ينبغي ... سأجعله يخرج من هذه العزلة المعيبة ليبحث عن والده ، فإنه لم يعد طفلاً بعد ... » .

وانطلقت مينرفا فربطت نعلها السحريتين ، على قدميها الجميلتين ، وحملت ربحها العظيم الذي تقطر المنايا من سنانه ، ووضعت تاجها المرصع على رأسها الكبير ، وأطلقت ساقها للريح حتى كانت بعد لحظة على مقربة من قصر أوديسيوس ، فهبطت من السماء إلى الأرض ؛ وفي لحظة انقلبت فاتخذت شكل الأدميين ، وتحايلت في جسد الأمير منتس (١) وطيلسانه ، ثم تقدمت فدخلت ردهة القصر الواسعة ، حيث اجتمع الخُطاب المجانين من أجل ولية ، وتلفتت يمينه ويسرة ، ورأت الفتى السادر الساهم الحزين تليماك ، وقد تعقدت فوق جبينه هموم ... وهموم ، وتغضنت ملء أساريره آلام ... وآلام .

وما هو إلا أن لمحها تليماك حتى أخذه من هيبتها شيء عظيم ... فهب للقاءها مسرعاً ، ثم مد إليها يده مصافحاً وهو لا يعرف من هي ، وقال :

(١) يروى أن منتس كان بجاراً غنياً وكان يحمل هوميروس في رحلته الواسعة من غير أجر ، ولذلك كافأه هوميروس بخلد اسمه بذكره في الأوديسة .

«مرحباً مرحباً بالغريب المسكرم! هلم فشارك في ذلك السقري، ولنتحدث بعدها فيما أقدمك إلينا. مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً...» ودُفِن نحو ناصلة المزخرفة، وتبعته مينرفا، وفي يمينها رمحها الجبار الذي يقده من سنانه الشرر؛ حتى إذا بلغا العمود الأكبر الذي أسندت إليه مئات الرماح، والذي كان أوديسيوس يسند إليه رماحه وعدة حربه، تناول تليماك الرمح وأسنده بعد جهد، حيث برز بكل عظمته وكل جلاله بين رماح الخطاب الفاسقين. وتقدم نحو أريكة وثيرة منعزلة، وسأل مينرفا فاستوت عليها، وكانا ثمة بآمن من أن يستمع إليهما أحد... وأقبلت جارية فينانة رائعة تحمل طستاً وإبريقاً من الذهب، فصببت الماء على يدي الضيف ويدي تليماك؛ ثم مضت فأحضرت مائدة نسقت عليها الورود والرياحين، ونشط النادل (١) يحمل أطباق الطعام والفاكهة والحلوى، يأتي بها ملأى ويمضى بها فارغة... والندمان (٢) فيما بين ذلك يجذب الزق (٣) إليه ويسقى... ثم يسقى... وشرع الخطاب المجرمون بدورهم يهتمون مالذ وطاب من أكل وشراب... حتى إذا انتهوا شرع فيميوس نايه وانطلق يعنى.

واتهنز تليماك فرصة انصراف القوم إلى لهوهم وشرابهم فسأل الضيف قائلاً:

«يا أعز الأصدقاء! أ رأيت إلى أولئك الفساق؟ لو أن رب البيت

(١) النادل خادم المائدة.

(٢) الندمان ساق شراب.

(٣) الزق قربة الخمر.

هنا ، أكانوا يلهون لهُم هذا أو يفسقون فسوقهم هذا ؟ كلا ! لقد كانوا إذن أسرع إلى الحرب ، منهم إلى ذلك الطرب ؛ ولكن . . .  
 أو اه ! . . . أين هو ! أين أوديسيوس العظيم الذى انقطعت عنا أخباره ويثست من أوبته دياره . ولكن حدثنى بربك من أنت ؟ ومن أى الأقاليم قدهت ؟ ومن هم رجال البحر الذين ألقوا مراسيمهم عند إيثاكا ؟ أغريب أنت أيها السيد ؟ أم كنت فيما خلا من الزمان من أصدقاء أبى وأحبابه ؟ »

وقالت مينرفا ذات العينين الزبرجديتين :

« ليهداً بالك يا بنى ، فإنى مجيبك على كل ما سألت . إنك ترى الآن منتس أمير ( جزيرة الطافيان ) البحارين ، وسليل انخيالوس الكبير . ولقد أبجرنا من جزيرتنا مُيممين شطر جزيرة النحاس من أجل ذلك المعدن الثمين ، وسفننا ملقمة مراسيها بالقرب من غابات ( نيوس ) . ولقد كنا ولا نزال من أحب ضيفان أبىك وأودهم إلى فؤاده ، فلها سمعنا بما حل به من شدة ، وببيته من لأواء ، إستوحينا آلهتنا نخبرتنا أنه لا بد عائد إلى وطنه سالماً غانماً ، وأنه لا بد منتقم من هؤلاء الفجار الأشرار . . . ولكن خبرنى بأربابك ، أفى الحق إنك لأمت ابن أوديسيوس العظيم ؟ إن ملاحك تشبه ملاحه ، وإنك لقريب الشبه منه جداً ، وإن هذا البريق الذى يشع من عينيك هو نفسه الذى كان يشع من عيني أوديسيوس ، يا للآلهة ! كم سمرت إلى أبىك قبل أن يشد رحاله إلى طروادة ! فهل يُقدر لى أن أسمر إليه مرة أخرى ؟ إننى من

وقتها إلى اليوم لم أره ، وهو كذلك لم يرنى ... ألا ما أشد شوقى إليه !  
ما أشد شوقى إليه ! ... »

وشاع بارق من الأمل في نفس تليماك فقال : « ويحك أيها الصديق !  
إننى أنا ابن أوديسيوس ما فى ذلك ريب ، والعالم كله شهيد على ذلك » .  
ثم اختلطت الزرقة بالخضرة فى عيني ربة الحكمة وقالت : « على  
رسلك يا تليماخوس ! إذن فما هذه الولايم وتلك السمط ؟ وهذا الزحام  
من أين أقبل ؟ إنى لأُقلب ناظرى فى القوم فلا أرى شريفاً ذا حسب  
يستأهل أن يُحتفى به أو يقام له وزن ! »

ويتمس تليماك ويحيب : « أيها العزيز .. لقد هاجرت الفضيلة  
من هناك فى إثر المهاجر العظيم ، وكأنها آلت ألا تعود إلا معه ! لو كان هو ،  
تداركته السماء ! يُلقبها هؤلاء بنظرة واحدة تسكنى لتزول منها الجبال ...  
وأأبتاه القدأ طمع العاديات فينا بطول نأيه . فيا للذوى (١) ! إننا لا ندرى  
أيوم أين مقره ولا أيان مستودعه . ولو قد سقطت تحت أسوار إلى يوم  
لاجتمع الإغريق من كل حدب هنا ... هنا ... فى حاضرة إيثاكا  
ليذرفوا دموعهم من أجله ، وليقيموا له نُصباً عالياً رفيع الذرى شاهق  
الأرواق (٢) ، وليكتبوا اسمه الكريم فى صحائف صدورهم بمداد أبدى من  
التبجيل ... ولكن ! .. واأسفاه ! ... لقد انتصر انتصار الأبطال ،  
ثم مضى على وجهه فى فجاج البحار ، وغدونا لا تحلم العين بنظرة مفردة  
منه ، ولا الأذن بلفظة عذبة من لسانه المبين ! ... تباركت يا آلهة  
الأولب ! ماذا عندك من الأفضية المنجوة لى ؟ الذئاب ! إى يا آلهة ،

(١) السفر والبعد عن الديار (٢) روق الجبل فته .

هذه الذئاب ! وحوش البرية التي اجتمعت من كل فج . . من الجزائر  
المتناثرة في البحر ، ومن المدائن المترامية في البر... من ساموس ودلشيوم  
وزاكنثوس ، ومن كل إقليم وكل مصر ... كلهم يرا بطون حول هذا  
القصر ولا يستحيون ... الفساق ! الأوشاب العرايب ! يطلبون يد  
الزوجة الوفية ... الام المكومة ... بنلوب ! بنلوب الباكية المحزونة  
المصدعة اكنز أوديسيوس الذي لايفنى ! يطلبون يدها ولا يرحمون  
وفاءها وبكاءها ولأواءها... فلا تستطيع أن تردهم لعجزها، ولا تستطيع  
أن تجيهم وهي لا تدرى من أمر زوجها شيئاً ... وهم طوال هذه السنين  
يريدون نعاء أبي ، فكسبهم في أشربات وآكال ، حتى أفقر الزرع  
وجف الضرع ، وما أحسبهم مبقين على شيء ... حتى على !

\* \* \*

وانتال الحنان في فم مينزقا ، إذ هي تجيب الفتى المحزون بقولها :  
« وحي لك أيها الفتى ارحمتالك يا بنى الصغير ! أواه الو أن أباك  
هنا اليوم ليذود أولئك المناكيد ! وحق السماء لو أنهم رأوه وهو  
يلاعب رعيه أو يداعب سهامه لأجفلوا وولوا مدبرين ! إن له لسهاماً  
مسومة سقاها أبى بعد إذ رفض أن يُسمَّها بلوس بن مرمريس ...  
وهو لوصوبها إلى أولئك المفاليك لأبادهم ... يارحمتالك ! إن أحدأ  
غير الآلهة لا يعلم إن كان لا يزال حياً يرزق أو أنه قد ابتلعه اليم  
أو عاجلته المنون ... تلياك ! يا ابن أعز الناس على ! اصغ إلى ، واحفظ ما  
أقول : إنك لست طفلاً بعد ! فلم لا تشمر عن ساعد الجد وتبحث  
بنفسك عن أبيك ! لم ترضى أن يلطخ شرف بيتك هؤلاء الفجار ؟

لم لا تكلمهم بنفسك في أمر أمك؟ ولم لا تصرفهم عن هذه الدار إلى بيت جدك ليطلبوا إليه يد ابنته إن شاءوا؟ أليس أبوها أحق بهذا الشأن من كل رجل سواه ما دام أوديسيوس لم يؤب؟ لم يرضون هنا كسباع الفلاة يوهون ثروتك ويأكلون مالك ويذهبون بالأخضر واليابس مما ترك أبوك؟ إستمع لما أقول يا تليماك! انبجىء القوم فليجتمعوا لك، ولتسمعهم كلمتك، ولتصارع أمك إن هي أرادت منهم بعلا فلتنصرف إلى بيت أبيها فهو أولى بهذا الأمر من كل أحد. ثم انفض أنت يا ابن أوديسيوس! فابحث عن أوديسيوس. أعد ما استطعت من سفين وزاد، وميرة وعتاد، ولتبحر على بركة الآلهة، فلتذهب أولاً إلى (بيلوس) حيث الحكيم الباسل نسطور، ثم إلى أسبارطة حيث صاحب هذه الداهية منلوس (١)... أقلع بفسلكك إلى هذين فسائلهما أين مضى أبوك فقد تقع منهما له على خبر... ولتكن لك أسوة في الفتى الجريء المقدم أورست الذى قتل قاتلى أبيه (٢)، وفيهم أمه... بوركت يا أورست ا بوركت يا أورست ا هلم يا تليماك فقد تعود بأبيك حياً فيرد الشرف والمجد إلى هذا البيت؛ وقد تعود به ميتاً فترفع ذكره، وتقيم قبره، وتخلد في العالمين أثره ا والآن، فلأنفض أنا إلى رجالى وسفنى. فلقد بعدت طويلاً عنهم... وكلى يقين يابى أن تقدر نصيحتى وعلى الآلهة فلتتوكل ا .

(١) زوج هيلين أخت بنوب والتي كانت سبب حرب طروادة .

(٢) أجاممنون .



وحين انتهت مینرفان هذا الحديث، حدجها تلمیك بنظرة ثم قال: «أیها الصديق حباً، ویأبر الأوفیاء سمعاً! لقد أیقظت فی ضمیراً أنت أحييته. فألف شكر لك... أبدأ لن أنسى كلمتك: أنا ابن أودیسیوس! فألأبحث عن أودیسیوس» وحاول الفتى أن یقدم لمحدثه هدية سنية تكون تذكاراً لهذا اللقاء. ولكن مینرفا شكرته وأبت أن تأخذ شيئاً، ثم قالت «إذا نجحت فی مسعاك یابنى فسوف أعود. وسوف أقبل أية هدية منك!»

ثم انطلقت ربة الحكمة، ذات العینین الزبرجدیتین. ولشد ماذهل الفتى ووقف مسبوهاً مشدوهاً حين رأى هذا الأمير (منس) ینتفض انتفاضة هائلة فیكون نَسراً كبيراً یضرب الهواء بجناحیه، ثم یعلو ویعلو... فیكون فی السماء ویغیب عن ناظریه!

ولم یُحس الفتى يوماً بما أحس به الساعة من هذه الذکریات المُلحَّة علی فؤاده تهیج فیهِ الشوق إلى لقاء أمیه؛ وجدد الثقة عنده وأكدها فیهِ یقینه أن الهماً یساعده، هو هذا الضیف الذی أرسل جناحیه وغاب فی السماء.

وانطلق تلمیك حیث جلس الخطابُ الفساق یستمعون إلى أغانی فیمیوس، وحيث وجد أمه فی الشرفة العلیا تستمع هی الأخرى إلى تلك الأغارید بین قیانه من وراء ستار صفيق وتبکی... وتسأل فیمیوس أن یتغنی غیر هذا الغناء غناء لا یثیر شجوها وشجنها... وتثور النخوة فی قلب الفتى فیصیح بأمه: «علام العویل یا أماه؟ وما وقوفك هذا الموقف تسترقین الغناء؟ وما اعتراضك علی المغنی؟ دعيه فلیتغن ما یشاء،

فلقد غدونا سخرية القضاء وهزمو المقادير . ولقد ذهب أوديسيوس  
 وذهبت معه كرامة هذا البيت ، وإني اصاحبها بعده . . . فادخلي ،  
 وليدخل معك قيانك ، ولتقمن جميعاً بشئون المنزل ولتلتصفتي  
 إلى مغزلك ومنسجك ، ودعى كل ما عدا ذلك للرجال ... لي ... لي  
 أنا وحدي : سيد هذا القصر ! » .

وأثرت مقالة الابن في نفس أمه ، فأنثت مع قيانها إلى مخدعها  
 بالطابق العلوى ، حتى إذا خلت إلى نفسها ذرفت من الدمع على أوديسيوس  
 ما شاء لها حزنها أن تذرِف . أما تليماك فقد انطلق وسط القوم ونادى  
 بأعلى صوته : «أيها الفساق ! يا خطاب أمي اخذوا في لهُوكم ، وتمتعوا  
 قليلاً أو كثيراً ، فإذا كان الغد فاجتمعوا في الساحة الكبرى ، فإن لي  
 كلاماً معكم ... سأطلب إليكم أن تشدوا رحالكم من هنا ! أتسمعون !  
 لقد طالما ألتفتم لنا زاداً وعتاداً ... ألا فلتتمسوا الزاد والعتاد من عند  
 أنفسكم ، و لتقيموا أفراحكم وولائمكم في غير هذا المكان ؛ فإن أيتيم  
 فإني مستعين بالآلهة عليكم ، ولتقتص منكم السماء بما جر حتم (١) ... » ،  
 وما كاد يفرغ من كلمته حتى عضوا على أصابعهم لمفاجأتهم بهذا  
 الكلام الحسن الذي لم يعتادوه . ونهض أتينيوس من مجلسه وقال :  
 « تليماخوس ! لقد حق لك أن تحاطبنا بهذه الشجاعة ، ولكن ...  
 يا لشؤم اليوم الذي تتوجك السماء فيه ملكاً على إيثاكا ... عرش  
 آبائك وأجدادك ! » .

ويجيب تليماك . « ليس أحب إلي من الملك حين تخلعه على السماء ...

غير أن أمره إليكم اليوم إن كان قد قضى أوديسيوس .. أما أنا ... فلا أريد إلا أن أكون سيد هذا القصر ... ولا غرو ... فإن هذا من حتى ! » .

وأجابه يور بما خوس : « إن من حقتك أن تقول ما تشاء يا أخانا تليماخوس ... أما ملك إيثاكا فالسماء وحدها تؤتية من تشاء . ولكن قل لنا بربك من هذا الضيف الذى كان معك الساعة ؛ هل من قبلك أهلك أقبلي ؟ أم إن له عليكم لديناً ؟ إن أحداً منا لم يلقه ولم يره ، ولسكننا لحناه من بعد ، عليه سياء النجاة والجلال . من أين أقبلي ياتليماخوس وفيم قدم ؟ ... » .

وأصلح تليماك من شأنه وقال : « أيها السيد يور بماخوس ! إن يقيني أن أبى قد انتهى ... ولن تغرينى هذه الكلمات المحسولة التى يتشدد بها المنجمون ... أما هذا الضيف ... ف ... هو من أصدقاء أبى طبعاً ، وقد أقبلي لمجرد الضيافة ، وهو الأمير منتس أمير أهل البحار وسيد تافوس ، وابن سيد هذا الزمان . الملك الشجاع أنخيالوس » .

قالها تليماخوس وهو أعرف الناس بضيفه ؛ ثم انثنى كل إلى تخيمه ، وانثنى تليماك إلى مخدعه بالطابق العلوى . حيث كانت مريته يوريكليا تنتظره ، وتوقدله الشموع والسرج . يالها من أنثى طيبة تخلص لمولاها وتحنو عليه ... لسرعان ما خلع ملابسها فحفظتها ...

ولسرعان ما هيأت له فراشه الوثير ...

وقضى تليماك ليلة طويلة ساهرة ممتلئة بالهواجس والأفكار .

# تليماك يجادل الخطاب

موهت أورورا (١)، ابنة الفجر الوردية مشرق الأفق ، فهب ابن  
أوديسيوس من مرقده ، وأصلح من شأنه ، وتقلد سيفه ، ثم انفتل  
مختالاً ، كأحد آلهة الأولمب من باب مخدعه ، وجعل يقلب عينيه في هذد  
الخيام المضروبة التي تملأ حديقة القصر ، والتي يشوى فيها أولئك الفجار  
الأشرار خطابُ بنلوب ؛ وتلبّث قليلاً وفي القلب لظي ، وفي النفس كاوم :  
ثم صاح بالملأ فهبوا مسرعين ، وأخذوا يَنسِلون إلى الردهة الكبرى ،  
حتى إذا انتظم عقدهم والتأم شملهم تقدم هو متهدجاً نحو عرش أبيه ، وفي  
يمينه رخ ظامئٌ إلى تلك الدماء النجسة التي تتدفق في أبراد تلك الذئاب ،  
وعن جانبيه كلباه الضاريان ، وفي عيني كل منهما جمرتان . وكانت مينرقا  
نفسها تصفي على الشاب سياء النبل ، وترقرق فوق ناصيته أمواهاً من  
العظمة والمجد ، لتقذفَ منه الرعب في قلوب أعدائه . حتى لبهروهم أن  
يروا في تليماك ذلك الضرغامة المختال .

وما كاد الفتى يستوى على عرش آبائه الصيد ، واجداده الصناديد ،  
حتى نهض شيخ يحمل فوق كاهله السنين الثقيل ، وتشتعل في رأسه  
شبية التجاريب وجلائل الفعال . وكان هو إيجبتوس بعينه ... إيجبتوس

---

(١) ربة الفجر في الميثولوجية اليونانية وإحدى تابعات أبوللو وقائدة عربته

— الشمس — عند ما تبرز من أبواب المشرق .

المسلمين الذى بعث بولده أنثيفوس فى أسطول عظيم وجند لـحجيب :  
 ليشارك فى حرب اليوم مع أوديسيوس ، فنازل وناضل ، وكر وفر ،  
 وجمال وصال ، وصمد وانتصر ... ولسكنه ... وأسفاه ! .. لم يعد إلى  
 أوطانه فى العائدين ، بل صحب أوديسيوس فى رحلته المشؤمة وراء  
 البحار ، حيث أكله السيكابوب الوحش فيمن أكل . وقف إيجبتوس  
 بين أبناء له ثلاثة ، أحدهم من خطاب بنلوب ، ثم قال :

« أيها الرفاق ايا أبناء إيثاكا النبلاء إنها أول مرة منذ أن بارح  
 أوديسيوس بفلذات أكبادنا ندعى فنجتمع مثل هذا الاجتماع .  
 فنند الذى دعا إليه ، وماذا يبتغى ؟ أنفحة من نفحات الشباب ،  
 أم زفرة من زفرات الشيب ، أم خبر من جيشنا الهالك يبشر  
 بعودته ؟ لينهض باركته السماء فليحدثنا عما دعانا إليه . »

وتناول تليماك صولجانه من قواسه ، وتقدم حتى كان فى وسط  
 القوم وجهر فقال .

« أنا أيها السيد الوقور صاحب هذه الدعوة انا تليماخوس بن  
 أوديسيوس ، صاحب هذه الدار وصاحبكم ومولاكم من قبل ... لقد  
 دعوتكم لأشكو إليكم بؤسى وحزنى . لا لأزف إليكم بشريات الجيش  
 المفقود الذى لا يعلم مصيره إلا زيوس ! لقد فقدت والدى ، ووالد  
 الإيثاكيين جميعاً ، ثم أنا اليوم حبس هذه الدار ، أسير هؤلاء الخطاب (١)

(١) يلاحظ القارئ أن الاجتماع كان عاماً ولم يكن قاصراً على الخطاب فقط ،  
 بل كان يضم جمهوراً من أهل إيثاكا كذلك .

الدين يطعمون في الزواج من والدتي ، غير متقين في عرضي إلا ،  
ولاراعين لأبي ذمة ، يذبحون النعم (١) وير يغون (٢) الزاد ، ويعاقرون  
ابنة العنب ، ولا يباليون أن يهلك الزرع والضرع ، ما داهوا بيتوتن  
وبطونهم هلاي ، ويبيت غيرهم على الطوى (٣) ... ! لقد استباحوا  
هناكل شيء ، مادام لا أوديسيوس هنا فير دعهم ، ولا حول لي .  
فأغل أيديهم ، ولا ضمائر فيصيحوا إلى قولي ، ويرحموا ضعفي . لينهبوا  
من فورهم إلى جدي فيخطبوا إليه ابنته إن أرادت أحدهم بعلا ، فهو  
بها أولى وبشأنها أحق ... إنكم ضعفاء أيها الإيثاكيون الأوفياء ...  
ولو استطعتم لرددتم عني غائلتهم .. فلقد طفح الكيل ، وحزب الشر ،  
وعم الأذى ... والآن ، أوجه إليهم قولي .. ، ولن أستحي أن أصارحكم  
مرة أخرى أيها الخطاب ... اخجلوا إذن ! ولتصبغ الفضيلة وجناتكم  
بجمرة الحياة ! أذكر واما عسى أن يعيركم به جيرانكم واخشوا قارعة تحل  
عليكم من أربابكم .. واتقوا يوم تلقونهم تودون لو تلقفتكم الصواعق ..  
يا قوم ! أستحلفكم بسيد الأولمب ، بربة العدالة ثيميس ، إلا ما تركتموني  
أقضى البقية الباقية من أيامي في شقوتي وحدي ! هل أجرم أبي مرة مع  
أحد منكم فأتتم اليوم تأخذوني بجريرته ؟ فيم إذن مقامكم هنا ؟ وفيم  
إذن تستزفون آخر قطرة من نخرى دون مقابل ؟ اإذهبوا اإذهبوا ،  
ودعوا تليخوس البائس تحز في نفسه أشجاناه ، وتبرى اصطباره بلواه !» .

(١) الماشية .

(٢) يدسون .

(٣) الطوى الجوع .

ودق الأرض بصولجانه ، وانفجر يبكي ، وكأنها انهمرت دموعه في نفوس القوم ، فوجها وجوماً شديداً ، ولم ينبس أحدهم بينت شفة ، حتى نهض أثنيسوس آخر الأمر فقال .

« لله يياك يا تلياخوس ! لقد كنت بليغاً حقاً ، ولكنك لم تصب كبد الحقيقة حين فصرت علينا اللوم ، وحين لاملوم إلا أمك ! لقد خدعتنا جميعاً طوال سنوات ثلاث كادت أن تتم أربعاً ، إذ رسائلها تترى علينا ، تحي في نفوسنا الآمال ، وتذكي فينا الأمانى ! لقد كانت وعودها تترادف كالبروق الخائب ، وتترأى كالسراب المضيئ اتخذت لها منسجاً وطفقت تعمل عليه وهي تغرر بنا ، وتقول : « أيها الإغريق : لقد قضى (١) أوديسيوس ما في ذلك ريب ، وكلكم تطمعون أن تفوزوا بزوجته ، ولكن أبي ليرتس رجل شيخ ، وهو يدب بخطى وئيدة إلى حافة القبر ، أفليس أخلق بي وبكم أن تنتظروا حتى أنسج له هذا الثوب لتكون منه أكفانه ، وحتى لا أكون مضغة في أفواه الإغريقيات إن تركته برغم ثروته الطائلة وليس له كفن يضم رفاتة ؟ . » ولقد أجبنا سؤلها وتلبثنا طويلاً ، نرجو لو تفرغ من نسج هذا الكفن ، بيد أنها كانت تنقض بالليل ما تنسجه بالنهار ، وهكذا دواليك ، ظلت تخادعنا تلك السنين الثلاث ، حتى فضحت سرها إحدى وصيفاتها ، إذ حدثتنا به ، واستطعنا أن نضبطها وهي تنقض غزلها أنكاثاً في ضوء المشاعل ، في جنح الليل ، فأجبرناها على إتمامه بالرغم منها . . . هذه هي الحقيقة يا قوم ! والآن ! فلترسل أمك أيها الفتى إلى أبيها ، وليختر لها من بيننا بعلاً ،

أو فلتختر هي لها يعلا... أما إذا عكفت على مكرها بنا ، فلتثق أن  
 شيئاً منه لم يعد يجوز علينا ، مهما ظنت أنها أحذق من تيرو ، أو أكيس  
 من ألكمينا ، أو أبرع من ميسينيه (١) ... حسبها ما خدعتنا ! وإنا  
 نقاسمك يا تليماك أننا لن نبرح عاكفين على ماشكوت ، من ذبح لنعمك ،  
 وإراغة لزدك ، ومعاقرة لخرك ، حتى تختار لنفسها ؛ أو ... فلتخرب  
 هذه الدار ، ولينضب معين خيرها .

وشاعت الكبرياء في كل جارحة من جوارح تلياخوس فقال  
 « أنتينوس ! ماذا أصابك ؟ كيف تسألني أن أقهر أمي التي غذتني  
 ونشأتني على غير ما ترضاه ؟ كيف أطردها من قصر بعلمها الذي لا يعلم  
 غير الله إن كان حياً أو ميتاً ؟ لبئس ما أجزئها به ، ولشد ما أغضب أبي  
 وأثير غضب الآلهة عليّ إن فعلته ! إنها استدعو إيرينيس كي تنتقم لها  
 مني ، وستنصب على لعنات الناس جميعاً ! ؟ ويحك أيها الرجل ! لن  
 أقولها أبداً ... بل اذهبوا أتم فسلوها ما شئتم ؛ فإما أجابت طلبتكم ،  
 وإلا فانصرفوا غير ماجورين ... اذهبوا ... فأولموا ولا تمك في غير هذا  
 القصر ، وأريغوا من زادكم ، وأنفقوا عما تحبون ! أما إن رأيتم أنه  
 أحل ليكم أن تأكلوا مال غيركم ، فإني سأهتف أبداً بالآلهة أن تقتص  
 لي منكم . فهي محيطة بكم ! ... »

\* \* \*

وما كاد تليماك يفرغ من مقالته حتى أرسل سيد الأولمب نسرين

(١) من ربّات القنون عند اليونان .



عظيمين طفقاً يضربان الهواء بجوافيهما ، ثم جعلاً يُدَوِّمان فوق الملاء .  
ويقدحان الشرر من أعينهما ... نذيرى ردى ، وصيحة منون . ثم  
انطلقا نحو المدينة وغابا فى ظلام البعد .

وشده القوم ، وريعت أفئدة الخطاب . وأخذوا يتخافتون .. ثم  
نهض فيهم القديس هاليتير بن فسطور المعروف بورعه وصدق  
نبوءته ، فقال :

« أيها الناس ! يا أبناء إيثاكا ! اسمعوا وعوا ! ليحذر الخطاب الغافلون  
ما يخبي لهم الغيب من شرأ وشك أن ينقذف على رؤوسهم ! إن أوديسوس  
حتى يرزق ، وإنه عائد إلى وطنه ، بل إنه ليُخِذَ السير إلى هنا ! وإنه ليحمل  
الموت الأحمر إلى خصومه ، والخير الأخضر إلى مواطنيه ! أنا هاليتير ،  
قد يسكم الذى لا يكذب قد أنبأته قبل أن يبحر إلى طروادة بذلك النبأ  
وأنه عائد إلى وطنه بعد أن ينتصر على أعدائه ، ويزيقهم ضعف ما صنعوا  
ولن يجديهم أن يتوبوا أو يندموا ... وليأتيةكم نبؤة بعد حين ! » .

وسخر القوم منه واستهزأوا به ، وقام يوريماك يرحمه بهذه الكلمات :

« انقلب إلى دارك أيها العجوز الخرف ! هلم إلى أحفادك الكسالى  
فتنبأ لهم بما ينبغى أن يأخذوا حذرهم منه ! لقد قصف المنون  
عود أوديسوس الفيغان . فليته قصف عودك كذلك ! طير ؟ ! ها !  
إن الطير طالما يستنسر فى سماء إيثاكا ؟ إن أكبر الظن أنك تطمع فى  
منحة من ابن مولاك تليماك ... ولسكن اصغ إلى ؟ لتكن لك منحة منا  
إن تنبأت له عما يكاد يذهب بك وبه من بطشتنا إن لم يحتر لنفسه !

أسمعت؟ لقد نصحننا له أن يرسل أمه إلى بيت أبيها ليختار لها السكفء الذى ترضى، فلم ينتصح. وأنا أرسلها كلمة صريحة فى غير مين، إننا لن نبرح عاكفين على ما نحن فيه من هذا الخير، حتى تخضع بنلوب، فتمضى ماجورين.. وثق، أيها الشيخ المهيب الخرف أن نبوء أنك لن تفرز عنا، بل هى تضاعف سخطنا عليك، وبغضاء نالك... ألا ما أطيب الإقامة هنا؟! لتزدد بنلوب عناداً، فإننا لا نزداد إلا جلاداً...».

ونهرض تليهاك فقال :

« على رسلك يا يوريماخوس! وعلى رسالكم أيها الخطاب جميعاً... لقد أرسلتها كلمة حق فلم تستمعوا لها! أبدأ لن أضرع إليكم مرة أخرى... الآلهة بينى وبينكم،، والإغريق أجمع أعلم بأمرى وأمركم؛ غير أن لى طلبة إليكم بودى لو أنتمونى إياها... فهل تسمعون بمركب وعشرين بحاراً فأقلع من فورى هذا إلى بيلوس ثم إلى أسبرطة، عسى أن أسمع خبراً عن أبى، أو أتلقف نبوءة من سيد الأولمب الذى بيده ملكوت كل شىء... إنى إذا أيقنت أن أبى لا يزال حياً فقد أوفق إلى العثور به ولو بعد حين، أما إذا استيقنت من هلاكه فإنى عائد إلى إيثاكا، فقيم له نصباً يتفق وهذا المجد الباذخ والذكر التليد، ثم يكون لى مطلق الحرية فى منح أحدكم يد أمى فتكون زوجه المخلصة إلى الأبد، بعد أن أتم لأبى كل المراسم الجنائزية، لتقر روحه العظيمة، وتسكن إلى ربها فى ظلال هيدز (١) ».

(١) إسم الدار الآخرة فى الميثولوجيو حادس داربلوتو . ١

وكان في المجتمعين رجل تبدو عليه مخايل النبل ، وفي رأسه جمرات المشيب ، تهالك على نفسه حين وقف ينافح عن تليماك ، فإذا هو الشيخ منظور ، الذي كان أوديسيوس قد استخلفه على أهله قبل إبحاره إلى طروادة ، لصداقة قوية كانت تجمع بينهما ... قال منظور :

« إسمعوا إليّ يا أهل إيثاكا ! ما لكم اليوم قد نسيتم آلاء ملككم أوديسيوس عليكم ، وهو الذي كان يرعاكم كأب ، ويغدق عليكم من فيضه العميم ؟ ما لكم قد تقاعستم دون هؤلاء الخطاب الذين يذهبون بخير مولاكم ويأكلون مال ابنه بغير الحق ، وهم قتلّم وأتم كشر ، آمنين مطمئنين ، لا يرهبون أوبة مفاجئة من البطل الشريد ... ؟ » .  
وهاجت كلمة الرجل كوامن الخطاب فهب أحدهم وهو ليوكر يتوسد .  
يقول :

« رويدك يا منظور ! أيها الثرثار العجول ! كيف تجرؤ أيها الرجل فتشير الشعب على الخطاب وهم سادتك ؟ هل أعجبتك كثرتهم يا منظور ؟ إذن فأبشر بعجزهم دون ما ابتغيت ، وثق أن ملك إيثاكا نفسه لن يستطيع معهم شيئاً إذا حاول إخراجهم من بيته هذا ، إذا قدر له يوماً أن يعود ، إنه إذا فعل فسيندوق وبال أمره ، ولن تنال منا حماقاتك ولا نبوءات هاليتير ، وبنلوب نفسها لن تسر بأوبة أوديسيوس ؛ ولكن اسمع أيها الشيخ ، إنه لن يضيرنا أن يذهب تليماخوس فيندرع البحر باحثاً عن والده ، وله أن يتخير من السفن ما يشاء ... » .

وتفرق القوم ، وأسرع الخطاب إلى خيامهم ، وانقلب تليماك إلى

شاطىء البحر ، حيث وقف فوق صخرة نائمة يناجى مينرفا :

« أيتها الربة المباركة ! يا إلهة الحكمة مينرفا ! يا من كنت أمس ضيفة مكرمة تحت سقف هذا البيت؛ أصلى لك ، أنا تليماخوس النعس ، وأبتهل أن تباركينى وتسددى خطواتى ، وأن تكونى رائدى الأمين فى عباب هذا البحر ، وأن تشدى أزرى وتكونى معى إلباً على هؤلاء الفساق العرايبىد ، وأن تشرقى فى ظلماتى البعيدة ، وأن تحلى أمنأ وسلاماً على ... يا مينرفا ، يا مينرفا ، إستجيبى يا ربة العدالة ... » .

واستجابت مينرفا ، وأقبلت فى صورة الأمين منظور حتى كانت قبالة تليماك ، ثم شرعت تسلمه كلمات هن أروح من أنفاس الفجر ، وأندى من نسيمات الورد ، وأعذب من قطرات الندى :

السلام عليك يا تليماخوس ! السلام عليك حين تثبت أنك ابن أوديسيوس الوفى وفرع دوحته الوارف ، وحين تبدو فيك بدوات من حوله وطوله وقوة بأسه ، وحين تقلع على بركة السماء وفى عناية الآلهة ورعاية سيد الأولمب ؛ فى رحلة لن تكون عبثاً ... أنت ابن أيبك يا تليماك ... أتى بك من بنلوب ... وآية ذلك هذه الروح القلقة التى تشيع فيك من أجله ، هذا الجبروت الذى هو نفحة منه ، وذلك الصوت الجبار الذى يتلجج فى فك كأنه فيض من لسانه ، وذلك الذكاء الوقاد الذى هو قبس من ذهنه العظيم ... بشراك يا تليماك ! لا يحزنك خبال أعدائك فقد أوشك القضاء أن ينقض على رؤوسهم فيحطمهم ... أنا .. أنا هذا الشيخ المهدم ، صديق أيبك وأمينه منظور ، سأكون معك ، وسأخدمك ،

وأسهر عليك ، وأفديك ، .. لكن لتمض الآن فلتعد للرحلة ما هو  
حسبها من زاد وعتاد ، ونخبة أولى بأس من رجالك الأتوياء ،  
سأنتقى أنا نفسى اشد هم مرأساً وأصدقهم عزيزة ... إمض على بركة  
الآلهة ... إمض ... لا وقت لدينا فنضعه ... هلم ... » .

وسكنتت مينرفا ... ولكن حرارة كلماتها أشرقت بالآمال فى نفس  
تليماك ، فذهب وقلبه يخفق بألف أمنية ... إلى القصر ... حيث رأى  
الخطاب يذبجون ويعدون نار الشواء ، وحيث قفز أتينيوس للقائه  
ساخراً مستهنئاً :

« تليماك ! ناشدتك الآلهة إلا ما شاركتنا غداءنا واطرحت بغضائك  
هنيهة ! هلم ! اخذ نصيبك من هذا الشراب أيها الصديق . لا يشغلك أمر  
هذه الرحلة ... فقد أمرنا أن يعد لك الآخيون سفينة عظيمة وقدرأ  
من الزاد كبيراً ، وعصبة من الرجال أولى قوة ... وسنبحر قريباً  
فندرع البحار وراء أبيك . هلم ... هلم ... »

ولكن تليماك عبس عبوسة قائمة ثم قال :

« أتينيوس ! إليك عنى فما أستطيع مشاركة خصومى السفلة غداءهم .  
ولا لى قلب فأشرب النخب من يدك ! لا بورك لكم هذا الذبح الذى  
لا يحل لكم ، والذى استبحتموه من غير حق ، إذ أنا طفل أحبو ...  
أجل ! الأستعجلان لكم الخراب ولأسعين فى حتفكم ، ولأذهبن إلى  
بيلوس فأنصر إذا عزنى النصر فى إيثاكا ! أيها الذئاب ! حتى سفائى  
وعتادى تنكرونها على ! » .

وكان اللثيم قد أمسك بيمين تليماك كالمصافح المستهزيء ، ولكن تليماك جذبها ساخطاً ، وترك الكلاب تغمزه وتلهزه ، وتستهزي بهذا العون الذي يرجوه من بيلوس ، وتلك الجحافل التي يأمل أن يجردها عليهم من أسبرطه ... «ومن يدري؟ فقد يهتدى إلى إيفير المشمرة ، فيجد في أعشابها بقلة يدس لنا منها في كئوسنا فتريحنا منا ...» .. «... بل من يدري؟ فقلقد يتلعه اليم كما ابتلع أوديسيوس من قبل ، وتكون هنالك الطامة ! إنا إذن نقسم هذا المتاع وتلك الضياع ، ثم نمهر أحدها الذي تختاره بنلوب بعلا لها ، بهذا القصر المنيف ! ...» .

وتركهم تليماك ، ومضى قدماً إلى غرفة أبيه بالطابق العلوى ، حيث كنوزه التي لا تقدر ، من عدة للحرب وذهب مدخر ، ونخرة معتقة ، وروح اذفر ، وخز وديباح ، ودر وجره ، ومغافر (١) أعدت لليوم المنتظر . يوم يعود أوديسيوس فيظفر ويقهر ، ويظهر بيته من ذلك النفر .. ووجد عندها حارستها يوريكليا فصاح بها :

« ريبية ! يوريكليا ا هيا ! صبي من خمرك في زقاقى ! من مدامتك التى ادخرتها لأبى ... لا ... لا ... ليس من صفوتها ياريبية ، احتفظى بصفوتها له ، املئى اثني عشر دنا ، وهىئى عشرين جوالقاً من دقيق ، هيا .. أعديها كلها لتحمل إلى سفينتى بعد أن تنام الملكة ... لا يعلن أحد بأمر رحلتى إلى بيلوس وأسپرطة . حتى ولا أمى اسأرحل ثمة .. سأسمع أخبار ..»

وصمت تليماك هنيهة .. واستعبرت ريبية يوريكليا ، وأرسلت هذه

(١) المعفر والمغفرة زرد يلبيه المحارب تحت القلنوة .

الكلمات على أجنحة من الحنان ، وفي أنسام من الرحمة :

رويدك يا بنى ! أى سفر وأى نوى ! لقد انتهى أوديسيوس وانتهى  
 معه كل شيء ! وهو اليوم رفات سحيق فى رسم عميق فى بلد لا نعرفه !  
 أتسافر يا تليماك ليأتمر هو لاء الذئاب ، وقد يسلطون عليك من يغتالك ،  
 تم يستصفون كل مالك بعد ذلك ؟ حاشاك يا بنى ! لتبق معنا نحن الذين  
 أحبناك واصطفيناك ! فيم تدرع عباب هذا البحر ولا رجاء لك فى مطمح  
 ولا ثقة لك فى شيء ؟ .

وأجاب تليماك فى رفق :

« رويدك أنت يا ريبية ! إني لم أعتزم شيئاً من تلقاء نفسى ... إنها  
 السماء هى التى توحى لى ! ولكنى أستحلفك بكل أربابك ألا تقضى  
 شيئاً بما اعتزمته على أمى إلا بعد أحد عشر يوماً أو اثني عشر يوماً من  
 رحيلى ... فإنها لو علمت بسفري لأظلمت فى عينيها مباحج الحياة  
 وذهبت نفسها على حسرات » .

وأقسمت يوريكليا بكل أربابها ، وانثنت تهىء دنان الخمر وأحمال  
 بالدقيق .

أما مينرقا ! أما ربة العدالة والحكمة الخالدة ، ذات العينين  
 الزبرجديتين ، فقد يمت شطر البحر وقصدت إلى المرفأ حيث لقيت  
 نويمون بن فرونيوس سيد الملاحين ، وسألته إحدى جواريه المذشمات ،  
 فأعد لها واحدة من خيارها . وما كادت ذكاه تلج فى خدر الأفق ،  
 وما كاد الشفق يبكي فيصبغ بدموعه جبين السماء ، حتى كان الملاحون قد

هياؤا القلوع ونشروا الشراع ، وخبروا مجاذيفهم وحمّلوا عددهم ،  
وتزودوا من السلاح ؛ وكانت ميرفانفسها تستحشهم ، فسرعان أن تهادت  
السفينة ، ورقصت نشوى فوق هامات الموج .

وذهبت ميرفا ، في صورة منظور وفي طيلسانه فأشرفت على عصبية  
الخطاب ؛ وتمت بكلمات فانتشر الظلام فوق خيامهم ، ولعب النعاس  
ملء جفونهم ، وكانت الكؤوس لا تزال تقهقهه في أيديهم ، فسقطت عن  
غير عمد لتسقى الأرض من تحتهم شرابا !

وطفقوا ، تحت طائف من الكرى ، يذسلون إلى خيامهم ...  
وأدلفت ميرفانحو القصر لتلقى تلياك :

« تلياك ! هلم ! البدار ! استهنا وكل رفاقك في الفلك المشحوف  
ينتظرونك ! هلم ! يجب ألا نضيع وقتنا سدى ،  
وهض تلياك ! وسارت ميرفا ، وسار هو في أثرها حتى كانا عند  
سيف البحر ، وحتى أشرفا على السفينة .

« مرحباً يا رفاق ! هلموا فاحملوا هذه الدنان وتلك الأحمال إلى  
السفينة ! لا أحد يعلم أمر رحلتنا حتى ولا أمي ! إلا ربيتي ! »

وامتثل الملاحون أمر سيدهم ، ثم تقدمت ميرفا فركبت السفينة  
ومن ورائها ابن أوديسيوس ، وجلست هي عند الدفة ، ونشط البحارة  
فيأوا المركب ، وحدثت المغرب ربة العدالة بعينها الزر جديتين فمبت  
النسمات رُخاء ، ورقصت تحتها الأمواج من طرب ، وانتصب تلياك واقفاً  
يحت رجاله ؛ واضطرب الماء تحت السفينة واصطخب ، وصب القوم



دنانا من الخمر تقدمت للآلهة وقربا بالمينزفا وتحمية لا تبئد !  
واحلوك الليل وتدجى غيبهه ؛ ثم انجاب ظلامه عن فجر مدين !

## بيلوس

تلحك بمائل نسطور عن أبيه

برزت ذكاء من لجة المشرق فصبغت آرادها (١) الذهبية جبين  
الأفق النحاسي ، وسكبت الأضواء الجميلة لتهدى إلى السبيل السوى ،  
والقت السفينة مراسيها تلقاء بيلوس ، مدينة نليوس (٢) ؛ حيث وجدوا  
القوم على الشاطئ يُقَرَّبون القرابين باسم بوسيدون ، ذى الشعر  
اللازوردى ، وقد جلسوا فى صفوف تسعة ، وفى كل صف خمسمائة  
شيخ عتيد . وذبحت كل فئمة قرابينها : تسعة عجول سمان ذرات خسوار ،  
فأكلوا الحوايا (٣) ، وضخوا بالسواعد والأشنان ؛ ثم أقبل تلحك وبين  
يديه ميزرفا تنهادى وتقول :

« تلياخوس اتشجع يا بنى ، ولا تجعل للحياء سبيلا إلى نفسك ،  
وتقدم إلى أمير هذه البلدة الصنديد ، نسطور ، فقد تكون لديه أخبار  
عن أبيك ، وقد يجلو لك الشكوك التى تخامرك ، وثق أنه لن يخفى عليك  
من أمره خافية ، فقد تقدمت به السن ، وهو اليوم أحكم الناس . »

(١) أشعة النمس وذكاء هى الشمس .

(٢) نليوس هو ابن بوسيدون ( نبتيون ) إله البحار وألد أعساء أوديسيوس

(٣) الأمعاء وما إليها وأخوار صوت العجول .

ويقول تليهاك :

« أواد يامنطور! ما أحسبني أقوى على لقاء الرجل، وأنا من تعرف من قلة الشأن ورقة الحال . . أنا الفتى الحكّاث . أنتى لى بقاء الشيخ ذى التجاريب ؟ »

وتجيبه ذات العينين الزبرجديتين .

« لا عليك يا بنى ! إن هى إلا كلمات تقولها وعلى الله قصد السبيل ! العالم كله يعرف أنك نشأت فى ظروف قاهرة ما كان لك بها يدان ؟ »  
ودلفت مينرفا ، ودلف فى إثرها تليهاك ، حتى كانا فى وسط القوم ، وحيث جلس نسطور العظيم بين أبنائه ، وحيث اشتغل أهله بالشواء ، وهب الجميع للقائهما . وتقدم ابن نسطور الأكبر ، بيزستراتوس ، فصاحفهما هاشماً ، وتلقاهما باشماً ، وأجاسهما فوق الفراء المبهوث إلى جنب أبيه . وأخيه الأصغر تراسميديس ، وقدم لكل مُضغّة من حَوِيَّةٍ ، ثم كأساً ذهبية من شراب كريم ، تذوقه قبل أن يحيى به ، ثم قال مخاطباً مينرفا .

« مرحباً بك أيها الضيف المسكرم ! لقد شرفت فى عيد نبتيون ، وبودنا لو أفرغت باسمه ما فى هذه الكأس من شراب صلاة له وزكاة ! ونرجو لو أشركت فى التقديمة زميلك ، فما أحسبه إلا لاجباً للآلهة ، خابتاً لها »

وتبسمت مينرفا ، وتناولت الكأس فى وقار ، وأرسلت هذه الصلاة باسم رب البحار :

، نبتيون العظيم تقدر اسمك ، وأحاط بالدنيا ملكوتك .. يامنقذ  
الضالين ومغيث المنصرين ، أدرك بلطفك التائبين إليك . ونجهم من  
دأمائك (١) ببركة أسمائك ، مولاي وتقبل من نسطور ومن ذريته ،  
وتقبل من جميع أهل بيلاوس أضحياتهم ، ثم تفضل يامولاي فسد  
خطي تليماخوس وخطاي إلى ما أفلعنا فرق هذا المركب الشاحب من  
أجله ... آمين آمين ! .»

وتناول تليماخوس الكأس بدوره ، ثم أفرغ ما فيها ، وتمتم بصلاة  
قصيرة ، وما كاد يفرغ حتى تفرق المدعوون من أهل بيلاوس طابعين  
شاكرين ، إلا مينرفا وصاحبها ، وإلا نسطور وولديه ... ثم قال  
نسطور :

« أما وقد فرغنا من غدائنا فماذا أيها الرافدون ؟ من أنتم ؟ ومن أين  
جئتم هذا البحر ؟ أبحار أنتم ؟ أم قرصان تملأون الشطآن ذعراً  
وفزعاً ؟ »

واستجمع تليماك شجاعته ، ونفخت فيه مينرفان روحها ،  
وتكلم فقال :

« على هينتك يا ابن نليوس العظيم ، يا فخر هيلاس ؛ إني أنا ابن  
صديقك و صفيك أوديسيوس ، سمعت إليك من أقصى الأرض أسمائك  
عن أنى ! أنى ! صفيك وخيليك الذي صال معك تحت أسوار إليوم  
وجال ، ثم لا أحد يعرف من أبائه اليوم شيئاً ! لقد انتهت إلينا أخبار  
الآبطال اليونانيين جميعاً وعرفنا مصارعهم ، إلا إياه ... أين رقد ؟ وأنسى

ثوى؟ وأيان قرت رفاتة إن كان قد شالت نعامته (١) ، أو مضى .  
 على وجهه في الأرض إن كان لا يزال حياً ... إن الآلة نفسها  
 لا تشاء أن تدلنا من أخباره على أثر . ولشد ما أخشى ان يكون قد  
 ثوى هناك .. في أعماق مملكة نبتيون ، مع الجميلة امفترت (١) .  
 لذلك سميت إليك يا نغر هيلاس كما تحدثني عن أبي ، وكما تذكر لي  
 بعض ما تعرف عما ألم به إن كنت قد شهدت ، او تقص عليّ ما عسى  
 أن تكون قد سمعته من بعض حاشيتك التي تجوب هذه البحار . قل .  
 تحدث يا نسطور ، ولا تخف عني شيئاً ... قل ... إنى أستحلفك بكل  
 ما كان يفقدكم به في ساحة إليوم أن تقص عليّ أنباءه . لقد كان  
 يحبك ويحملك ويوقرك ، فاجز ابنه بعض ذلك »  
 وكأنما رأى نسطور حليماً لذيذاً فقال :

« ويحك أيها الصديق الشاب ! ما أروع ما هجت ذكريات الماضي  
 المفعم بالأشجان ! ذكريات السادة الذئادة والمغاوير الصناديد ، الذين  
 سقطوا تحت أسوار إليوم العتيقة فأرووا ثرى الميدان بدمائهم ، وسطروا  
 آية المجد بجهنم ! إيه اخيلوس ياسليل الآلة ؛ وبتروكلوس يامعجز  
 الأنداد والأقران ؛ وأجاكس ! أجاكس الذي كان أمةً وحده ! لقد  
 رقدوا جميعاً تحت قلاع بريام الجبار الشيوخ ! وردد معهم ولدى ! آه  
 يا ولدى ! أوله ياقطمة قاي وفلذة كبدى وثمره حياتى وسوق ددى ! يا أشجع  
 الشجعان يا أنتيلوخوس ! أية قصة وأية مأساة ؟ ! يارعاك الله أيها الشاب

(١) شالت نعاوته أى مات .

(٢) مملكة البحار وزوجة نبتيون .

المخزون ! أنتى لى أن أقص عليك أحداث سنين تسع كانت هموماً متصلة  
واحزناً فاجعة وآلاماً تتسعر فى جميع القلوب !؟ أى لسان ذرِب يقص  
فلا يُملّ ، وأى فم رطب يحكى وما يعي ؟ ألا لو أنك أقتت تسمع  
الأعوام الطوال فما أحسب القصة تنتهى ! القصة التى لم تُجند فيها شجاعة  
الألوف لولا خدعة أوديسيوس وحميلته ، وطول أناته وهمته !  
ولكن حدثنى بربك أيها الشباب : إنك حقاً لولد أوديسيوس ؟  
أجل ! إنك بملاحك وقسماتك غصن دوحتك ، وإنك بكلما تك العذاب  
عسلوج أرومته ! أوّه ، أوديسيوس ! يارفيق الشباب وحيب القلب !  
لشد ما تحتاج فى النفس تلك الخاتمة الهائلة التى قضاهها على الأريجيف (١)  
سيد الأوبلب ، بعد انتصارهم ، وقبيل أوتهم ! لقد حنقت مينر فا على  
البحر تلقاء اليوم ، ولكن الآخر أكى ، وأبجر على أن يقدم لها القرابين  
فى أرجوس ! ياللعننين ! أجامنون البائس ومنلوس المسكين ! إنهما لم  
يصليا لمينر فا فخاق بها غضبها ، وعبثاً حاولا بعد ذلك أن ينزضياها !  
اختلف الأخرى ان ونام الجند حتى مطلع الفجر ، ثم ألق نصف الأسطول  
فى مرج نائر مصطنخب من غضب الآلهة ، بقيادة أجامنون ، وماهى  
إلا سريعات حتى هدأ اليم ونام الموج ، وبلغنا تندوس فذبحنا الأضحيات  
باسم الآلهة ، وسبحنا الرب البحار نبتيون ، فنظامن العباب ، ولكننا ما كنا

ندرى ما تنسجيه يدجوف (١) حولنا ، بل لم يكن يخامرنا أقل شك فى وصولنا إلى الوطن سالمين . ذلك أن أوجه النظر اختلفت ثمة ، ونشب بين القادة نزاع فى الرأى : هل يقلعون من تندوس ، او يتلبثون بها حتى تنجلي العاصفة التى شرعتهب فى عنفوان وشدة ؟ وهنا ، آثر ملاحو ابيك أن يعودوا أدرابهم بسفائهم إلى طر وادة ، وذلك بحاملة للقائد العام . بيد أنى لم أر هذا الرأى ، بل فررت من العاصفة بسفائى إلى جزيرة لسبوس ، ولحق بنا ديوميدي ، ثم وصل منلوس فى إثره ، وأرسينا ثمة ؛ وانتظرنا إذناً من السماء ، أو قل بارقة من الآلهة ، نقلع بعدها . وكانت العاصفة تشتد وترقص فوقنا ومن تحت أساطيلنا ، فلم نرُبدأ من المجازفة وإلا تكسرت جواريتنا على الصخور وفوق الأواذى<sup>(٢)</sup> ،... بالمول ! لقد بلغت قلوبنا الحناجر قبل أن نصل إلى جيرىستوس احمداً لك يانبتيون وثناء عليك ؛ وقلّ أن نذبح باسمك ألف قربان من كل مجل جسد وكبش حنيد ا ولقد فاز ديوميدي فوصل بجنوده سالماً إلى أرجوس ، وكذلك فاز الجبابرة المير ميدون ، جنود أخيل ، بقيادة شبله العظيم نيو بتوليموس ، فوصلوا إلى أوطانهم غانمين ، ووصل من بعدهم فيلوكتيتيس ... كذلك وصل أجاممنون وليته لم يصل الاريب أنك سمعت بما حاق به ا لقد قتله المجرم إيجستوس<sup>(٣)</sup> ، واسكنه دفع روحه ثمناً لفعلته ؛ إن العيش لم يطب لابن أجاممنون حتى نأر لأبيه ، فانقض كالصاعقة على قاتله وغاله بيده !

(١) زيوس أوجويتر كما يسميه الرومان وهو كبير الآلهة

(٢) الأواذى الأمواج مفردة آذى

(٣) يجد انقارىء شرح ذلك فى كتابنا التالى ( أشهر المذاهب المسرحية ) إن شاء الله

باللفخار أيها الصديق الشاب حين تنتقم لأبيك فتسجل اسمك في سجل الخالدين ! » .

وشاع العجب في نفس تليماك ، فقال :

« ويك نسطور ! إنه سيكون انتقاماً عادلاً بحق السماء ، وستغني الأجيال القادمة بقصته ، وسيرويه الخلف عن السلف . كم ذا وددت لو مكنت لي الآلهة في أعناق هذه العصابة الفاجرة من الخطاب الآثمين الذين يُدِلون عليّ بعددهم وعددهم ، والذين يقذفون في وجهي بالإهانة تلي الإهانة ... وأأسفاه أليت شعري لم لا تؤيد الآلهة حتى على باطلهم ؟ لقد نفذ اصطباري وكنت حيلتي ... فماذا أعمل ؟ »

وقال نسطور : « أيها الصديق ، لقد أذكرت مني غافلاً ... ويحك تليماخوس ! لقد تناقل الناس ما كان من حماقة هذه الطغمة التي تستبيح عرض أوديسيوس ، وتستنزف ثروته ... ولكن ، من يدري ؟ هل أمتوا أن يعود يوماً فيسناصل شأفتهم ، ويُبدل منهم ، وتكون له الكرة عليهم ؟ لقد كان أبوك العظيم حبيب ميزرقا وصفيها ، وهي لا بد أخذت بناصرك كما أخذت بناصره من قبل ، وهي لا بد مدركتك وشيكا ، وحائلة بين أعدائك وأعداء أبيك ، وبين هذه الزبيجة المجرمة »

ويجب تليماك :

« ألا من يدري ؟ إنه لا أمل لي في ذلك قط ! آه أيتها الأحاسيس الغربية التي تجيش في قلبي ! الآلهة فقط هي القادرة على تحقيق ذلك بمعجزة ! »

وهنا ، حدجته مينر فابنظرة هائلة من عينيها الزبر جديتين ، وقالت له :  
 « تليما خوس ! أية كلمة هائلة زل بها لسانك ؟ ما أيسر على الآلهة  
 أن تقول للمستحيل كن فيكون ! أنا نفسي كم تجشمت أهوالا في أسفاري  
 ثم عدت بعناية أربابي سالماً إلى أرض الوطن ؟ بل كم من أناس ظنوا  
 أنهم نجوا من الموت في يم غشيمهم بموج كالظُّلُّل ، فلما وصلوا إلى البر  
 حاقت بهم منياهم كما حاقت به منيته أجامنون ، حين خر صريعاً بيد  
 إيجستوس الأثيم ، ويد زوجه الملكة (١) الغادرة الفاجرة الزنيم !  
 حقاً ، إن الآلهة لا تملك أن تحول بين المرء وبين المنون ما دام قد جاء  
 أجله ، مهما يكن حبيبها وأعز عبادها عليها . »

وعبس تليماك عبوسة خفيفة ، وقال :

« مهما يكن من الأمر فلندع هذا الآن يامنطور ! إنني لا أمل لي مطلقاً  
 في عودة أبي ، ولكنها أفضية من السماء ومقادير أن أذرع وراءه البحار ،  
 وأن أعود فأسأل نخر اليونان نسطور ، اللبيب الأريب الذي حكم كاهو  
 مآثور أجيالاً ثلاثة ، والذي يتألق في عينيهِ سناء الآلهة .. أعود فأسأله  
 كيف قتل أجامنون ؟ وكيف تهباً لايجستوس أن يقتله ، وهو من هو  
 أعلى منه نسباً وأعز حساباً وأشرف قدراً ، وأين كان منلوس الملك  
 شقيق أجامنون ؟ ألم يكن قد عاد بعد إلى أرض الوطن أم كان لا يزال  
 يطوى الآفاق ، فشجع ذلك إيجستوس ونفخ في قلبه ؟ »

وقال نسطور : « رويدك أيها الصديق الشاب فإنني قاصدٌ عليك نبأ



عالم يأتك به علم... تالله لو لم يُقتل إيجستوس قبل عودة منلوس ،  
 ما أقيم على رفاته جدث ، وما بكت عليه عين . ولألفى بدنه النجس  
 لكلاب البرية وطير الفلاة تنوشه وتمزقه وتغتذى به جزاء فعلته الشنعاء  
 وجرمه الذميمة وخطيئته التي لا تغتفر . اصنع إلى ... لقد أناب منلوس  
 عنه حارساً أميناً يسهر على أمور المملكة ... ذلك هو أتريدس الحميم ،  
 الذي تغفله إيجستوس . واتصل بمولاته سرّاً وهو لا يدرى ، واستطاع  
 أن يدبر معها هذه المؤامرة الشنيعة التي اتهمت بنى الحارس الأدين ثم قتله  
 في برية موحشة غالته فيها السباع الضارية والأوباد (١) الكاسرة ، حتى  
 إذا خلا لها الجو أسلست له المملكة القيادة لحكيم وساد . وطفى واستبد ،  
 وسلط على البلاد أعواماً سبعة طوالاً ... كل هذا والسماء ساهر ذلات تغفل ،  
 فقد عاد أورست بن الملك الغائب ، وابن المملكة الفاجرة . فأنقذ عرض  
 أبيه وقتل الوحش اللئيم الذي دنس شرف المملكة ، ولطع بالوحل هذا  
 المجد الأثيل ، ثم قتل أمه ... أجل ، قتل أمه وجمع حوله الأرجيف  
 البؤساء يحتفلون بهذا النصر ويصلون للآلهة التي أنقذتهم من ذلك الشر ...  
 وبيدنا هم في أفراحهم وانشراحهم إذا بالملك العظيم يصل . تساطيله بعد  
 رحلة طويلة محنوفة بالمخاطر ... فلقد أبحرنا (أنا ومنلوس) من طروادة  
 معاً ، وما كنا نبلغ صنيوم (٢) ، أول مرافئء أنينا ، حتى وقع ما لم يكن

(١) الوحوش .

(٢) Sunium

لنا بحسبان ... ذلك أن رب الشمس أبوللو غال بسهامه التي لا تطيش  
 ربان الأسطول العظيم فرونتيس ، فاضطر الملك أن يلقى مراسيه حتى  
 يصل على صديقه ويقيم الشعائر على جثمانه ؛ ثم ألقع ، وما كاد ، حتى  
 اضطرب البحر ، وفترت للبحر أفواها ، وتدافع الموج حول الأسطول  
 كالجبال ، وعمم الجو ، وغامت السماء ، وانقضت الصواعق فانشعب  
 الأسطول وتفرقت سفائنه ، وانشطرت وحداته ، فبعضها شرقاً ،  
 وبعضها غرباً ، وبعضها يمم شطر سيدون عند كريت ، وبعضها اتجه  
 برغمه نحو شطمان مصر ، وبعضها غاص إلى الأعماق ، وخمس فقط ...  
 وصلت بعد طول الجهد إلى هنا »

« بنى ... أيها الصديق الشاب ... أخلق بك أن تذهب من فورث  
 إلى منلوس فتسائله عن أبيك ، فلقد لقي الأهل في البحر ، ولا ريب  
 أنه سمع كثيراً مما جرى فيه من مختلف الأمم في رحلته المشؤمة ...  
 هلم ... إنطلق إليه ... وإن لم تسعفك سفينتك فإني بمدك بكل  
 ما تحتاج من مركب البر أو البحر ، وها هم أولاء رجالي معك أينما  
 توجهت ، بل ها هم أولاء أبنائي ، ليصحبك أحدهم ، أو كلهم ، إلى  
 منلوس ، فإن عنده الخبر اليقين »

وكانت الشمس قد توارت بالحجاب ، والليل قد نشر ظلامه فوق  
 الطبيعة المنهوكة الخاملة فهضت ابنة زيوس العظيم ، ميرفا الخالدة ،  
 وهي لا تزال في صورة منظور أمير البحر وفي طيلسانه ، فقالت :  
 « مرحى يا فخر هيلاس لقد قلت حقاً وتكلمت صدقاً ؛ هلم ،

البدار البدار، قطعوا ألسن القرابين (١) وأريقوا الخمر باسم الآلهة ،  
باسم نبتيون قبل كل شيء ... »

وانتشر الولدانُ بين المدعوين يصبون الماء على أيديهم بعد إذ أدوا  
التحية الخمرية المقدسة لأربابهم، ثم تفرقوا شيعاً، ونهض تليماك وصاحبه  
لينصرفا، لولا أن صاح بهما نسطور :

« حاشا يرافاق ! اتما ضيفي (٢)، فكيف تبيتان في سفينتكما تحت ظل  
الليل وهذا يبقى فيه كنٌ لكما، وفراش وثير، وفيه، والحمد للآلهة، خير  
كثير، وهؤلاء أبنائي سُمَّارِكا، وهم ثمة طوعٌ لكما »

وشكرت مينرفا للملك عطفه ثم قالت : « بوركت أيها الملك، ليبق  
تليماك هنا، ولأمرض أنا إلى البحر لأسهر على صوايح مركبي، ولأطعمن  
بجارتى، فسلكهم أتراب تليماك، وكلهم متطوعون لخدمته وفاء وحباً .  
وليس يحمل إلا أن أبيت أنا معهم تلك الليلة، على أن نقلع صبيحة الغد  
إلى كوكون، ولتاؤذن فتمنحه عربة وزوجاً من صافنات جيادك ليلحق  
بنا ثمة، يصحبه أحد أبنائك، مادمت قد عرفت فيه ابناً لأعز أحبائك  
وأوفى أصدقائك »

ثم حدثت المعجزة .. فإنه ما كادت مينرفا تم كلامها، حتى  
انفضت انتفاضة هائلة، وتحولت من صورة منطور أمير البحر إلى نسر  
عظيم مهوب اللفتات، ما عثم أن ضرب الهواء بخافيتيه، حتى حلق في

(١) كان من التقاليد الشائعة أيام هوميرو أن تقطع ألسن القرابين وتحرق باسم  
الآلهة لينصرف الجمع (٢) بصيغة المفرد

السماء ، وغاب في لانهايتها ، بين دهش القوم ، وشديد حيرتهم «  
وتناول نسطور العظيم يد تليماك ، وظل يقلب فيه بصره ، ثم قال :  
« أيها الصديق ؛ لشد ما عظمت منزلتك ، وسمت مكانتك . حتى  
لتكون في رعاية الآلهة وعناية السماء ! هذه دون ريب ابنة سيد  
الأولب - الكريمة مينرفا - التي ما وقرت أحداً من أبناء هيلاس  
كما وقرت أباك :

« ولكن أنت ! أنت يا مليكة العدالة ! ضرعت إليك أن تتلطفني  
بنا جميعاً المنحيين بركاتك . . أنا وأبنائي وشعبي ... اكتسب أساءهم في  
الخالدين ، وسنصلي لك ونذبح باسمك خبير بقرة ، لا ذلول تثير الأرض  
ولا تسفي الحرث ؛ ممسامة لا شية فيها ؛ منضورة بالورد ، محلاة  
القرنين بالذهب . »

وقبلت مينرفا صلواته ، ولبت دعاءه ، ونهض وفي إثره أبناءه وأحفاده  
ففتحت أبواب القصر وتقدمت فدمانة الشراب فقدمت إليه كأساً من  
خمرها نسب من عهد أولب ؛ فأفرغها في الأرض تحية لمينرفا ، واقتدى به  
قومه فأفرغوا كؤوسهم ، ثم مضوا إلى غرفاتهم ، ومضى الملك مع تليماك  
إلى مخدع وثير ، وفراش من حرير ، وأمر ابنه بنستراتوس فقام معه ،  
ثم ذهب حيث وجد المسكة في انتظاره .

ونشرت أورورا (١) غلائها الذهبية في مشرق الأفق ، فاستوى  
نسطور على عرشه المرمرى المتألق عند بوابة القصر ، حيث كان أبوه

(١) ربة الفجر وحادية عربية أبو لوحين يركب النمس عند المروق .

نليوس يجلس كإله للنظر في صوالح العباد ، وأقبل بنوه الستة ومعهم تليماك الذى جلس إلى جنب أبيهم ، وتحدث إليهم نسطور فقال :  
 « هلموا يا بنى ، لنذبح القربان المقدس باسم مينرثا الكريمة التى باركت حفلنا أمس ؛ اينطلق أحدكم إلى الحقل فليحضر ثوراً (١) سميناً ، وليذهب آخر فليدع رجال تليماخوس — إلا اثنين — من السفينة ؛ وليض ثالث فليات بالصنّاع الفنان (ليرسيوس) ليجلل قرنى القربان بالذهب ، وليبق الآخرون هنا ، ثم لحضر كل حاشيتنا من النساء ليكسبن الوليمة بهجة ورواء »

وأطاع أبناؤه الأوفياء ، وأحضر القربان ، وأقبل الملاحون الأمانة . ثم قدم الفنان ليغطى قرنى البهيمة بالذهب ... ثم . . . وافت مينرثا . . . مينرثا نفسها لتشهد الطقوس التى نقام باسمها . . . وبدأ الفنان عمله ، فأخذ يرقق صفائح الذهب ويثبتها بمهارة فى القرنين الصغيرين . وتقدم أريتوس بن نسطور وفى إحدى يديه باقة كبيرة من الزهر وفى الأخرى سلة من أنحر أنواع السكك ، وتقدم ابنه الثانى تراسيميدي وفى يده شاطور كبير ليذبح الثور ؛ ووقف قبالة ليرسيوس يتلقى الدم فى وعاء كبير . ونهض نسطور الأب مسبح وصلّى أمام نار كبيرة مضرمة ، وتمتم باسم مينرثا ، وقذف فى اللظى بكعكتين كبيرتين ، وبناصية القربان . وبقدر قليل من الماء المقدس . وإذا انتهى الجميع من صلاتهم شمر تراسيميدي عن ساعده وجزر القربان ، وانكب الجميع يجهزونّه ، وكانت يوريديس

(٢) كان على نسطور أن يذبح بقرة مسامة .

حماية المنتان تُعنى أشد عناية بالفنخذين ، فسترتهما بشوب غال من سبيج . وكان نسطور نفسه ينثر الخمر المقدسة والعطور والأرواح .. ،  
 رنكذا أخذ الجميع في شغلهم ، وشرعوا يلقون في البحر بالحوايا ، وشرعت  
 بونيكاست تنثر البهار والتوابل . . وتهادى تليماخوس بعد هذا فاستوى  
 إلى جنب الملك . وانتصب الولدان والندامى يصبون الخمر ، وبدأ السكل  
 بأكون هنيئاً ويشربون مريئاً .

وما كادوا يفرغون حتى أمر نسطور فهيئت الصافيات الجياد  
 بحيل تليماخوس . وأحضر القواص عربة كبيرة مشقلة بكل ما تحتاج  
 له حلة من زاد وعتاد .

وأخذ تليماك مكانه من العربة الأولى ، واستوى إلى جانبه  
 بونيكاستاتوس أشجع أبناء نسطور ، ثم سلم تليماك وودع ، وشكر وأثنى ،  
 وجذب أعة الخيل فانطلقت تهب الرحب ، وتبتعد عن بيلوس . .  
 وتطوى الزمان .

وبلغوا . مع مغرب الشمس ، فيريه ، حيث تلقاهم رب البيت  
 بالبشر والترحاب . وباتوا عنده ، حتى أيقظتهم أورورا المشرقة .  
 واصلوا رحلتهم إلى أسبرطة .

## الخطاب بياضوت

وصل الركب إلى أسبرطة بعد أن غور في وهادما وأنجد ، وانطلق  
 ميماك وصاحبه من فورهما إلى باب منلوس الملك حيث وجدا ، لحسن

الطالع ، وجوها مسفرة ، وجماهير مستبشرة ، وموسيقى تصدح ،  
ومنشدين يرددون أناشيدهم ويرسلون أغانياتهم ، ووليمة ملكية  
حافلة اجتمع لها الملك وأبناؤه وخلصاؤه ونداماه ، يأكلون ويشربون  
ويسمرون ويطربون ... ماذا ؟ لقد اجتمع القوم من كل حدب ،  
وأقبلوا من كل صوب ، يحتفلون بابنى الملك : بابنه الذى زوجه  
أبوه من أجمل غادات أسيرطة وأكثرهن وسامة وقسامة وقتنه ،  
ابنه ألكمتور العظيم ، ثم بابنته المفتان اللعوب الطروب التى رزقها  
على كبر من هيلين ، والتى نافست بجها لها ودلها هرميون ابنة فينوس .

وما كادا يجاوزان الوصيد حتى لمحهما إتيون ، كبير أمناء الملك ،  
فانطلق إلى مولاه وحدثه عنهما .. « إن لها لمهابة وإن عليهما لرواء ،  
فهل يأذن لهما مولاي ، أم يأمر فتردهما من حيث أقبلا ؟ »

وأوما الملك برأسه الكبير الذى يزيد فى وقاره وحسن سمته شعره  
الذهبي ، وأمر إتيون أن يذهب إليهما ، فيسير بين أيديهما إليه ...  
«... إذ كيف يُرد عن طعامى الغرباء ، وقد طعمنا طويلاً زاد الغرباء ؟»

ودعا إليه إتيون طائفة من الخدم وذهب إلى الوافدين الكريمين  
فحيّوا وسلم ، وحل اللجم وأناخ السهم ، ومضى بهما إلى داخل القصر من  
طريق يشرف على مكان الحفل وترى منه الجدران التى ازدانت بأحسن  
زينة ، وقبة العرش التى تالأت فى الأنوار الوضاعة والسرُج الواجحة ...  
ثم لقيتهما فتيات من عذارى القصر فقدنهما إلى الحمامات المرمرية الباذخة  
فاغتسلا وتضمخا ولبسا ثياباً ملكية ثم ، ذهبا للقاء رب هذه الدار .

وهش الملك لهما وبش ، وأجلسهما إلى جانبه على مقعدين وثيرين ، وهما في دهش من ذاك المنظر العجب . وأقبلت فتاة فصبت على أيديهما الماء . وذهبت فأحضرت مائدة رائعة منسقة ، عليها قدر غير قليل من انثر الأشربات وأشهى الآكال ، ووقف خادم آخر يقدم طبقاً بعد طبق ، وكأساً من ذهب بعد كأس من ذهب ، والملك فيما بين ذلك يبالغ في إيناسه لهما والحفاوة بهما ، ويُنظرهما حتى يفرغا من طعامهما . فيخبراه عن أمرهما ، وكان يتلطف فيقدم لهما قطعاً من شوائه بيده . وسارّ تليماك صاحبه فقال .

بيزستراتوس يا صديقي ! ما أجمل وما أفخم وما أروع ؟ ! هذا الحفل الباهر يتألق في الذهب والفضة والعاج والكهرمان ودروع النحاس ! أبدأ ما ترى العين مثل ذلك ، ولا تسمع الأذن إلا عن قصر سيد الأولب في شعاف جبل إيدا ! أية ثروة وأية كنز ؟ !  
وسمعه منلوس الملك فقال :

« بنى ! لا تقرن قصر أحد منا — نحن بنى الموتى — إلى قصر سيد الأولب ! وأنت على حق حين ترى أن لا أحد يملك ما أملك أما من أذخار وكنوز ، فقد سحت في أقصى الأرض سنين عدداً ، وجمعت الدرر الغرالى من كل فج ... من كريت وقبرس وفينيقية ومصر ، ومن أثيوبيا وإرمي ... ومن صيدا ولوبيه ... ورؤوس الشاء والوعل هذه ... الوعل الوحشى الساتم . . . والشاء التى تمدنا بجيهرها بغير حساب ... لقد طوفت فى الآفاق وتركت فى كل منها ذكرى . ولا غرو ، فقد نباكم آباؤكم



أنباء منلوس المملك الذى دك المعازل وهدم القصور... ما أنس لأنس ، هذا القصر العتيد الذى جعلت عالیه سافله بما فيه من أذخار وُقنى ، وددت لو كان فى قصرى شىء منها ، وود الإغريق لو حصلوا فى بلادهم جميعاً على بعضها ! هناك ! هناك تحت أسوار طروادة يا صاح ! يا ويح نفسى ! يارحمنا للأصدقاء الأحباء الأعزاء الذين ناموا ثمة ! لشد ما أسلى النفس عنهم بالتأسى ؟ لشد ما يتدلّع الأسى فى قلبى عليهم جميعاً ، ولا سيما صفى وخبلى وأعز أودائى على .. أوديسيوس ! أوديسيوس الكريم ! ليت شعرى يا صديقى فىم شطت بك النوى وطال عليك الأمد ؟ أحمى ترزق ؟ أم ثويت فى بطحاء بلقع ؟ يا ويح لك ، ولأبيك الشيخ ، وزوجتك الملتاعة ، وابنك المحزون اليتيم تليماخوس ، الذى غادرته فى المهدي ما بلغ الفطام ، إلى حومة الوغى وحلابة الحمام ... » .

ولم يملك الفتى دموعه حين سمع هذا الهتاف باسم والده فنشج نشيجاً مؤلماً ، ثم استخرط فى البكاء ، وطفق يُبذرى شئونه (١) فى طرف ثوبه ... بين دهشة منلوس وحيرته ، وذ هول الحاضرين . وانعقد لسان المملك فلم يسأل الشاب عن حاله ، حتى أقبلت هيلين فجأة ، فتلفت القوم ينظرون إلى هذا الرشأ (٢) الذى يتثنى مياساً فى ظلال من الفتنة ، كأنه ديانا ربة القوس الذهبية ...

واستوت على عرشها المنضد ، الذى أصلحته يد أدرستا (٣) وعناية أكيب (٤) ، ثم أحضرت الطرّف والهدايا واللّهى ... فهذه سلة من الفضة المزخرقة بالتصاوير هدية من ألكندرا زوج بوليب

(١) دموعه (٢) الغزال (٣) — ( : من ربات الغوث .

أمير طيبة ، عروس المدائن المصرية ؛ وتلك عشر بدر (١) من  
النضار الخالص ، وطستان من الذهب ، ودنان من الإبريز ... يقدمها  
كلها ملك أسيرطة إلى زوجه البارعة الرائعة الهيفا... ونظرت هيلين  
إلى الضيفين الغربيين ، وسألت زوجها :

« ملكي ! نشدتك الآلهة أن تخبرني من هذان ؟ إن أحدهما شديد  
الشبه بطفل أوديسيوس ... الصغير تليماخوس ... الذي تركه أبوه  
صدياً في المهد من جراء حرب إليوم المشؤمة . »

وقال الملك : « وأنا مثلك يا هيلين ، لقد دار بخلدي ما دار بخلدك  
من أمر هذا الفتى ! ألا ما أشبه الساقين والساعدين وتفكير العينين  
واسترسال السلتين (٢) بما كان لأوديسيوس ؟ لقد ذكرت ما قاسى  
صاحبي من أجلى وفي سبيلي تحت أسوار إليوم ، فسرعان ما رأيت  
الشباب يبكي ويبكي ويبالغ في البكاء ، ثم يغلبه حزنه فيخفى وجهه ،  
وفيه روحه . في ثيابه من الهم »  
وانتهز ابن نسطور الفرصة فقال :

« حقاً أيها الملك إنه هو ، ولكنه خجول حيي ، ولقد أوشك  
حياؤه أن يمنعه من لقائك ، وقد هاج تباريحه ما ذكرت عن أبيه .  
أما أنا ، فإني ابن نسطور صديقتك الآخر ، وقد أمرني أبي أن أصحب  
تليماخوس إلى هنا عسى أن يسمع خبراً عن أبيه الذي ذهب يذرع  
الأرض ، ولا يعلم أحد أباي أن قد ذهب ... وهاك ابنه المسكوم يجتر  
أشجانته ، وتطحن فؤاده أحزانه . »

(١) جمع بدرة المصرية من المال والنضار الذهب .

(٢) اللمة الشعر الذي يجاوز شعبة الأذن .

وشدّه البطل — ذو الشعر الكهرمانى — فقال :

« يا لآلهة ! أهكذا أفاجا بلقاء ولدى ! أنت ؟ ابن أوديسيوس  
الذى شقى طويلاً بسببى ، وبذل نفسه من أجلى ، ولا يزال يناضل  
الويلات من جرائى ؟ كرامة وحباً يا ابن خير الأصدقاء ! لو عرفت  
أنك تسعى للقائى لَشِدْتُ لك مدينة فى أرجوس ، تبه على المدائن  
وتسُهمى على القرى ! ورفعت لك عماد قصر مُنيّف طالما كنت إدخاله  
يؤوينا جميعاً فנסعد سعادة لم يحلم بها قوم من قبل ولا من بعد . . .  
ونلتذ ، أنا وأبوك وأنت ، وجميع أهلى وأهله ، ذكريات الماضى  
المترع . . . آه يا أوديسيوس ! لقد طاشت الأحلام وذابت الأمانى ،  
وقست عليك السماء . . . فخرمتك كل شىء ، حتى الأوبة إلى  
أرض الوطن ! . . . »

وأثارت كلمات الملك شجون القوم ، فبكى تليهاخوس ، وأذرفت  
الملكة ، وانبعس الدمع من عينى بيزستراتوس حين ذكرت طروادة  
فأذكرته قتل أخيه تحت أسوارها : ثم قال : « حسبك أيها الملك ! لقد  
تذاكرنا ، أنا وصاحبى ، جلائل أعمالك فعفرنا فيك المليك الأجل ،  
والمقدام البطل ، ولكن ماذا تجدى دموعنا ؟ لقد غالت يد الردى  
أخى وابن أمى وأبى فى سبيلك كذلك ! ألا تذكر ؟ أتيلوخوس !  
تلبطل المغوار والفارس الكرار الذى لم تكسحل عيناي برؤيته !  
أوه يا ابن أورورا الغادر ، شلت يداك بما فتكت بأخى ! . . . »

وتعطف الملك فطيّب ابن نسطور بكلمات غاليات ، وأمر السّدمان

فصب الماء على أيديهم جميعاً ثم أخذوا يتناولون طعامهم ، وصبت هيلين قطرات من طيب مُذِيب للأحزان في كأس تليماك ، وكأس صاحبه ، لا يعرف من يذوقها إلى الآسى من سبيل . وهى قطرات عجيبة أهدتها إلى الملكة ، زوجة (ذون) الأميرة المصرية پوليدامنا ، وكم فى مصر من سحر ميين ! .

وتكلمت هيلين ، فذكرت ما كان من أوديسيوس يوم التقي الجمعان عند إيوام ، وكيف استطاع أن يتسلل مستخفياً فى ثياب شحاذ إلى داخل المدينة العتيده ، وكيف قابلها فى حجره باريس ليطلعها على خطة اليونانيين ، وما كان من رجائه إياها ألا تفضحه عند أعدائه حتى يعود سالماً إلى معسكره ومحيمه ، وأنها برّت فلم تنبئ أحداً بوجوده ... ثم رأت أن تتصل من فضيحة فرارها مع باريس فادعت أنها كانت مسوقة إلى ذلك برغمها لأن فينوس كانت قد سحرتها عن نفسها ( لما وعدت به باريس من أنها ستهبه أجمل غادات هيلاس إذا هو قضى لها بالفاحه (١) ) . واخجلتاه ! لقد أزرى بى أن أفر راعمة فأهجر فراشى الطهور وطفلتى اليافعة إلى بلاد قاصية لاناقةلى فيها ولاجمل ... وأعدّرها الملك ثم ذكر أوديسيوس فقال :

« أبداً مارأيت أثبت جاشأ ولا أربط قلباً من أوديسيوس ؛ وإن أنس لأنس يوم الروح الأكبر . يوم فكر أوديسيوس وفكر . ثم دبر هذه الحيلة العجيبة ، حيلة الحصان المصورة الذى قهر لنا طروادة فى يوم

(١) قضى باريس بالفاحه لفينوس وكرم منها متبرفاً وحيراً وذلك هو سبب عداتهما الطروادين . (كتابنا قصة الإلياذة) .

أو بعض يوم ، وقد عيّننا بها السنين الطوال . لقد اختبأ داخله فرسان هيلاس (١) الصناديد ، وكنت أنا — سقى الله الشباب — واحداً منهم ، فما أنسى قط حين أقبلت في عصابة ذوى أيّده من مذاويد الطرواديين (إذ هتف بهم هاتف إن الحصان يحمل لهم شراً ويطوى لقربتهم ثبوراً) فجعلت أنت تنادين بأسماء الفرسان اليونانيين واحداً بعد واحد لترى هل اختبأ منا بداخله أحد كما تنبأ بذلك المتنثيون . تالله لقد كدت أرد عليك نداءك حينما هتفت باسمي ؛ وتالله لقد أوشك زميلي ديوميدي أن يرد عليك هو الآخر ، لولا أن فطن أوديسيوس فحذرنا وحبس أسننتنا الشقشافة التي كادت توردنا هوارد الهلاك ، لو أن أحداً منا خدع فنبس ببنت شفة — وَاَحْرَبَا ! لقد صممتنا جميعاً ولكنك عاودت ، فما كدت تهتفين باسم أنتيكلوس ، حتى أوشك المجنون أن يلبي ، لولا أن كتم أوديسيوس أنفاسه بكلتا يديه ، حتى لكاد يزهق روحه ! ولم يُعْفِهُ حتى أيقنا أنك عدت أدراجك ، وعاد معك القوم المنكرون .

ثم كان الهزيع الأخير من الليل ، فتلطف تليماخوس واستأذن الملك في الانصراف ليأخذ كل نصيبه من النوم ، فتأذن ، وأشارت هيلين إلى وصيفاتها فأهرعن إلى مخادع الأضياف ، فأصلحن فرشها ، وأعددن الملاحف والوسائد والحشايا ، ثم نهض أمين الملك ، ونهض في إثره بيزاستراتوس وتليماخوس ، حتى كان كل في مخدعه ، وحتى اطمان كل في سريره ، وناما في حرير وسمور (٢) .

(١) إسم يونان القديمة وتنطق إيلاس . (٢) نوع من فاخر القماش .

وتهاويل غير ذلك من الرقم ومن سندس ومن زرياب (١)  
 ونهض الملك والملكة كذلك فدخلوا القصر ، واستسما لأطبيب  
 الرقاد .

\* \* \*

وذرة قرن أورورا ، ربة الفجر ، في المشرق الوردى ، فهب الملك  
 وأصلح شأنه ، ورف بازيه الأشهب فوقف على غاربه ، ثم مضى إلى  
 مجلسه حيث اتى تليماك في انتظاره ، فخيا وجلس وبدأ حديثه فقال :  
 « أى بنى ! تليماخوس ؟ أيها البطل وسليل البطل ! فيم شددت  
 رحلك إلى هنا ؟ إلى رحاب ليسديمون (٢) في فلات البر وسروات  
 البحر ؟ الأمر عام ، أم لشأن يخصك ويتعلق بشخصك ؟ »

وأجاب تليماك : « مولاي الملك ا منلوس العظيم لقد جئت  
 أتخسس خبر أعن أبى ، وأقبلت أحدث عن أعدائه الذين آووا إلى بيته  
 فما يريمون ، يستنزفون غلته ، ويهلكون حرثه ، ثم هم مع ذلك ينافس  
 بعضهم بعضاً في كبر وزهو وخيلاء .. من أجل زوجه ا يا للعار ! إنهم  
 استباحوا كل شيء .. كل نعمه وكل شأنه ، ولم يعفوا آخر الأمر  
 عن عرضه . إني استجير بك يا مولاي وأضرع إليك أن تخبرني عما تعلم من  
 أمر أبى ؟ هل قضى تحت أسوار إليوم ؟ أم غالته يد المنون في ركن آخر  
 من أركان الأرض ؟ لقد كان خليلك و صفيك وآثر أصدقائك ، وأعز  
 أودائك عليك ، فبكل آلاء ذلك عندك استخلفك أن تصدقني .. »

(١) الشعر لابن الرومي ولم نجد أحسن منه في ترجمة أبيات هومر . والرقم الثوب  
 والزرياب الحير . (٢) من أسماء أسيرطه .

ماذا تعرف من أخباره ، وماذا عساك سمعت من أنبائه ؟ ،  
وتنفس الملك ثم قال :

« يا أرباب الأوبل ! أبلغت حقارة نفوسهم أن يفضحوا  
أوديسيوس في عرضه ؟ ! ألا باءوا بما صنعوا ! ألا ما أشبههم بهذه الوعدة  
التي أجاهها المخاض فولدت في عرين الأسد ، فلما عاد الأسد إلى عرينه  
لم يبق عليها ولا على أغفارها (١) ! حنانيك يا آلهة زيوس ! مينرثا !  
اپوللو (٢) ! أين هو فيطش بالجبارين كما بطش بغيلوميليد العتي من  
قبل ؟ تالله لقد اقتربت ساعتهم وأزفت آرزقهم ... فطب نفساً يا بني ؛  
إني منديك بما علمته عن أبيك من (پروتیوس) راعي الأعماق ،  
وكاهن الأغوار .

ضلت بنا الفسك بما نسينا من التضحية باسم الآلهة ، فبلغنا شطمان  
مصر ، ورسونا عند جزيرة فاروس ، بحيث كان في مقدورنا أن نروى  
من كوثر هذه البلاد التي تجرى من تحتها الأنهار ، ثم لبثنا ثمة عشرين  
يوماً لا تجرى بنا ريح ، ولا يرفه عنا نسيم ، حتى نفذ الصبر ، وفرغ  
الزاد ، وظننا أنه المعاد ، لولا أن رثت لنا إحدى عرائس البحر فبرزت  
إلينا ، وكانت لنا غوثاً أى غوث . كنت أجلس وحدي في منحرج  
بأحد أطراف الجزيرة ، وكان بقية صبحي وأكثر الملاحين يرتادون الماء  
بشصوصهم (٣) عسى أن يحصلوا على شمك طرى يكون غذاء لنا ، إذ  
برزت عروس الماء (إيدوتيا) الجميلة ، ابنة كاهن الأعماق پروتيوس ،

(١) جمع غفر ولد الوعل .

(٢) كان أبوالو من خصوم اليونانيين في حرب طروادة ولنا يدهشنا هذا الدعاء .

(٣) الشص حديدة عفاء يصاد بها السمك ( السنارة ) .

وتهادت حتى كانت تلتقأى ، ثم جلست بجانبى ، وحدثتني فقالت : « أيها النازح الغريب ! أكبر الظن أنك مذهوب بك ، أو أن بك مساً ، أو أن طائفاً من الجنون قد ألم بك ، أو أنك قد آثرت الشقاء السرمدى حيث لصقت بأرض هذه الجزيرة فما تنوى مضياً ، ولا تلتمس مخرجاً ولو هلك كل أصحابك ! »

ولم أبال أنى شديت ، فسألتها قائلاً : حسبك ياربة إني مالصقت بأرض هذه الجزيرة بأمرى ، ولا أقت فيها بمرضاتى ، بل كان ذلك قدراً على مقدوراً ؛ ولكن خببرى بحقك ، إذ الآلهة تعلم كل شيء — من من أرباب السماء يحبسنى هنا ؟ . . . وهل مقدورى أن أرتد إلى وطنى فوق غوارب هذا اليم المضطرب ؟ ... ،

وقالت عروس الماء : « أيها النازح الغريب ! سأنبئك فأصدقك ! إنك الآن مقيم بشطآن مصر التى تقع تحت إشراف أبى ، پروتيوس ، سيد الأعماق ، ورب المياه المصرية ، والمتصل برعايا نبتيون فى أغوار هذا البحر ، فإذا استطعت أن تتغفله فنقبض عليه وتشد وثاقه ، فإنه يقفك على أبعاد هذا اليم ، والطريق السوى الذى ينتهى بك سالماً غانماً إلى بلادك . بل ربما — إذا طلبت إليه ذلك — وقفك على كل ما حصل فى بيتك من خير أو شر خلال مسفرتك الطويلة ، لأنى أعرف أنك صنى السماء وحيب الآلهة . »

غير أنى لم أدر كيف تستطيع أيدي بنى الموتى أن تقبض على هذا الإله البحرى الكريم ؛ ولم أخف عليها ذلك ، بل حدثتها به ، وذكرت



أنه ربما ولى دُبره إذا شعر منى بهذه المحاولة فلا أستطيع لقاءه بعدها أبداً . بيد أنها طمأننى ، وذكرت أن أباها يخرج من الأعماق فى الظهيرة إلى جَونٍ قريب حيث يستلقى برهة وسط قطاعان كشيعة من عجول البحر ، من ذرارى هاليسودنا الجميلة ، تأتى هى الأخرى فى أثره لتنام ثمة . . « فإذا كانت هذه الساعة فإنى سأقودك بنفسى إلى هناك ، وليكن معك من رجالك ثلاثة هم أشجعهم وأكثرم قوة ، وسأدلكم على منحرج آمن تنتظرون به حتى يكون قد غلبه الكرى ، ثم تنقضون عليه فتسكبلونه وتشدون وثاقه ، وإياكم أن يرهبكم بشيء أبداً ؛ إنه سيكون تارة سيلا راييا ، وتارة سيكون ناراً ترى بشرى كالقصر ، كأنه جمالات صُفر ، وأخرى يكون أفعواناً هائلاً ينفث السم .. ولكن خذوه أخذاً شديداً ولا تقتلوه فتهاسكوا .. فإنه إن آنس فيكم قوة عاد فانتفض إلى صورته الأولى التى رأيتموه عليها ، ثم ترونه بعد ذلك وقد أسلس قياده ، وهدأ وتطامن ... فإذا فعل ذلك سألكم عن حاجتكم ، ففسكوا وثاقه وأطلقوا سراحه وسلوه ماشتم ، فإنه يجيبكم عما تسألون ، .

\*\*\*

ثم غابت عروس البحر فى طيات الموج ، وتركتنى فى حيرة مما ذكرت ، ثم إنى عدت إلى قرى فى السفينة ، وعاد كل إلى قرته ، وبعد أن تعشينا ، وكان الليل قد أرخى سدوله ، نمنا نوماً لا آمناً ولا قريراً ... وبزغت أورورا ثم وه المشرق بأصباغ الورد ، فهضت أصلى للآلهة فوق السيف الممتد ، وأبهل إلى السماء أن توفقنا لما فيه خيرنا ، ثم

انثيت فتخيرت من رجالى ثلاثة هم أصلحهم لهذا الأمر ، وهم موضع ثقى ومعقد رجائى . وبرزت من الماء عروس الماء ، وأحضرت لنا أربعة من جلود عجول البحر لتلبسها ، ونستخفى بها ، ولتم الخدعة على أيها . وأعدت لنا مهاداً فى رمل الشاطىء . ثم دلفنا نحوها ، ونام كل فى مهده ، وألقت فوقنا مامعها من الجلود المنتنة التى أروحت حتى كدنا نختنق برأحتها ، لولا أن نثرت العروس فوقنا طيباً عبيقاً ملاً خياشيمنا وأنقدنا من مصلول (١) تلك الجلود .

وتلبثنا نرقب اليمّ حتى برزت عجول البحر فنامت فى الجون ، ثم كانت الظهرة فى رزى پروتيوس وطفق يعد قطعانه . مبتدأ ، لغفلته ، بنا ، وكأن أنارة من الشك لم تخامره فى حالنا ، فانطرح ونام . وانتهزنا الفرصة ، فانطلقنا نعدو إليه وقبضنا عليه ، وشددنا وثاقه بحيث لا يستطيع إفلتاً ... يا عجباً ! لقد انتفض انتفاضة هائلة ، فإذا هو أسد غضنفر ذو لبدة ، ثم انتفض فإذا هو أفعوان أرقم يتحوى ويتحوى ، ثم انتفض فصار نمرأ رائعاً ذا أنياب ، ثم صار خنزيراً برياً ، فسيلاً رابياً ذا عياب ، فأيكه باسقة ذات غصون وأفنان ! ولما لم يجد بداً من أن يبدو لنا على حقيقته ، انتفض فكان على صورته الأولى ، ثم قال : عمسرك الله يا ابن أترپوس أى إله جبار حبسك فى مياهننا وسلطك على ، تمسك بى وتشد وثاقى ؟ ماذا تريد ؟ ، فقلت له : « حبسك يارب هذا البحر ، إنك كنت بى عليماً ! لقد طال مقامنا بهذه الجزيرة ، ولست أدرى أى

(١) أروح اللحم صار نثناً وصلوله رائحته المنتنة .

إله عادل حبسنا فيها ، ولأى شيء ؟ ! » . قال پروتيوس : « ويك يامنلوس ! لم لم تُصَلِّ لسيد الأولمب ثم تُضحِّ للآلهة يوم غادرت طروادة ؟ لقد غضب الجميع فكاتبوا أن تضل في تيه هذا البحر حتى تكون تلقاء مصر ، فتقيم ثمة حتى يشوب إليك رشدك وتصلي للآلهة خاشعاً خابتاً متصدعاً ، ثم تذبح القرابين وتجزر الأضحيات اتمعود إلى أوطانك ! » وعرائي مما ذكر ما عرائي ، فقلت له : « الحمد لك أيها الإله القدُّوس ... سأفعل ، سأفعل كل ما تأمرني به ، ولكن قل لي بحق ربوبيتك ، هل وصل كل رجالنا إلى أوطانهم سالمين كما تركتهم أنا وصاحبي نسطور عند طروادة ، أم أن منهم من غرق أو قتل أو مات حتف أنفه ؟ » .

وكأنما ضاق بي ، ولكنه قال : « ويك يا ابن أتريوس ما هذه الأسئلة ! أتبتغي أن تقف على كل أسراري ؟ إذن فاعلم أن أكثر رجالك قد عادوا سالمين إلى أوطانهم ، وأن قليلا منهم من مات ، ومن هؤلاء قائدان فقط قد قضيا ، ولا يزال واحد يذرع رُحْب هذا البحر ، ضالاً على غير هدى ! ... لقد هلك أجاكس بما تحدى الآلهة ، وربما ادعى أنه ناج برغم السماء من البحر اللجج الذي كان يناوح سفينته ، فبرز نبتيون غاضباً وشطر السفينة نصفين بضربة قاضية ، من رمح السمهرى ذى الشُعْب الثلاث ، ثم رطم حطامها بعد ذلك فوق صخرة موحشة ... مسكين أجاكس ، لقد غص بالأجاج ،

وشرق بقطرات فمات ا... أما أخوك (١) فقد نجى ا لقد دفعته موجه  
هائلة فرق شاطئه (ماليا) ... أرض ذيستيس وإيجستوس . . ومن  
ثمة ركب البحر إلى وطنه آمناً . ألا كم كان أخوك رائعاً حين وطىء  
أرض الوطن فراح يقبل رمالها ويناجي كسبانها ! ألا ليتته ما نجى ا لقد  
لحه أحد الأوغاد من جواسيس إيجستوس فانطلق يخبر سيده الذي أعد  
كئيناً من عشرين رجلاً من أفسق رجاله فاغتالوه كما يذبح العجل ؟  
الأوشاب الفجرة ! لقد باءوا بما صنعوا ، وأبيدوا على بكرة أبيهم (٢) . .

ولم يكدي يصعقني هذا الخبر حتى خذلتني رجلاى ، وانطرحت  
أتقلب في الرمال من الغم ، وذرفتُ الدمع من الحرقة على أختى .  
ولكنه خاطبني قائلاً : « امهض يا ابن أتريوس . إنك تبكى ولات  
حين بكاء ... هلم فعد إلى وطنك لترى بعينيك قبره ولتشهد ابنه  
العظيم أورشنت ينتقم له ، ويستأصل شأفة قاتليه » .

وكانما سُررتُ عني بما قال بعد ، فنهضت وساءلته بعد أن شكرته  
على ما أنبأني : « ... إذن من هذا البطل الثالث الذى ما يفتأ يذرع  
البحر ضالاً فى رحابه ؟ »

فقال : « ذاك ابن ليرتيس ، وسيد إيثاكا (أوديسيوس) ا لقد  
شهدته بعيني حبيساً فى جزيرة عروس الماء كاليدسو ... لقد حل عليها  
ضيفاً برغمه ، بعد أن تحطمت سفائنه ، وهوى يتنه عروس الماء ، وهو  
لا يزال عندها لا يجد مركباً يحمله إلى وطنه ... أما أنت أيها الملك

منلوس ، فطوبى لك ! إنك ستتحيا سعيداً ، ثم تنتقل إلى دار الخلد  
ونعيم لا يفنى ... جنات الإليزيوم (١) ... لا برد ولا زمهرير ،  
ولا يوم عبوس قطير ، بل تسقى ، ومن معك من الأناسى من ماء  
معين ، لا لغو فيه ولا تأثيم ... مقام كريم وجنة نعيم ، أنت وغادتك  
الحستان هيلين ، يا ذرية زيوس العظيم !  
ثم غاص في اليم ، وعدت ورجالى إلى الفلك ، وفي القلب لوعة ؟  
وبالنفس أسى . وتبأغ كل من بلقمت ثم أسلنا عيوننا للسكرى ، وكأنما  
نام أسطولنا في ظلام الشاطيء .

\* \* \*

وانبلجت أورورا فبضرت بالورد جبين المشرق ، وهبت  
أنفاس الصباح المنداة فأهرعنا جميعاً ، وجزرنا الأضاحى باسم الآلهة ،  
وصلينا لها خابتين ، وأقت لأخى رسماً فوق ثرى مصر الخالدة . ثم  
هبب الريح رخاء فنشرنا الشراع وأصلحنا القلوع ، وأقلعنا من فورنا  
إلى أرض الوطن ، فبلغنا هيلاس سالمين ،

وبعد ! فلتقم معنا ههنا أياماً ترح وتفرح ، ونسعدنك بك يا ابن  
أعز الأصدقاء ، ثم لنسعدك الهدايا واللّهي التي تليق بك ، ولتعد  
إلى وطنك على عربة فاخرة تجرها ثلاثة من الصافيات الجياد ؛  
ولنزودك بكأس ذهبية تصب منها قرابين الخمر للآلهة فتذكرنا أبدأ «  
وشكر تليماك واعتذر ، وأبدى من الحنين إلى وطنه ، وما عليه من  
واجبات ، وما ينبغي من عودة ابن ملك بيلوس ، ما برر له أن

(١) هي جنة الفردوس في الميثولوجيا اليونانية .

يُستأذن في الأوبة ... فأعذره ملك أسپرطة ، وأهدى إليه كأس  
فيديموس الفضية ، ذات الشفة الذهبية ، الكأس الخالدة التي صنعها  
الإله فلكان بيديه لينفخ بها ملك سيدونيا .  
وهيأ السندل (١) مقصفاً فاخرأ به جـزُور وخر ، وأقبلت  
أزواجهن يحملن الخبز ، فأكل الملك ومن معه ورووا .

\* \* \*

هذا ما كان من أمر تليماك ومنلوس .

أما ما كان من أمر الخطاب آنثذ ، فقد كانوا يلعبون ويمرحون في  
بيت ملك إيثاكا ، يلاعبون الأسته ، ويقذفون القرص ، ويتصارعون  
ويمرحون . كانوا جميعاً يأخذون في هذا اللهو لتزجية الوقت ، إلا  
أتينوس ويوريماك ، فقد جلسا بمعزل يتحدathan ، إذ أقبل الفتى نومون  
ابن فرنيوس وقد تغضن جبينه ، وانتشرت على أساريه سحابة  
كثيية فقال :

« أرأيت إذ أعطيت سفينتي للفتى تليماك فإني أريد أن أبحر إلى  
إيليس لأرعى أفراسألى اثنتي عشرة لا تزال ترضع أفلاءها (٢) ، متى  
يرجع من بليوس يا أتينوس ؟ »

ورموسع الرجلان لهذا الخبر ، فلم يكن أحد يعلم أن تليماك قد غادر  
إيثاكا ، بل كانوا يظنون أنه يجتر آلامه وأحزانه في أحد الأدغال النامية  
في مزارعه . قال أتينوس :

« أحقأ أنه أبحر يا نومون ؟ وهل صحبه أحد من ذويه ؟ وعلى سفينتك ؟ »

(١) جيم نادل أي خادم الطعام . (٢) الفلو ولد الفرس لم يبلغ عاما .

سفيفتك أنت ؟ وهل أبحر عليها بدون إذن منك ، أم أنت الذى أذنت له بها أول ما طلبها منك ؟ .

وأجابه نومون : « بل أبحر عليها بإذنى . وماذا عساک كنت صانعاً لو سألك أمير فى مثل بأسائه أن يبحر على سفيفتك ؟ أكنت ترفض وتتأبى ؟ لقد أبحرت معه ثلثة من أشجع البحارين ، كلهم فينان العود ، غرييض الشباب ، وقد رأيت معه أمير البحر منظور . ألا كم كان يبدو منظور بهيا وقوراً رائعاً ! تالله لقد خلته — بل أكبر ظنى أنه — أحد الآلهة ! وكيف لا يكون إلهاً وقد رأيتة بعينى هاتين صباح أمس وهو قد أبحر إلى بيلوس قبيل ذلك ، فأنتى عاد ؟ ،

وفرغ نومون ، وعاد أدراجه إلى دار أبيه ، واستولى الذهول على الرجلين ، وكان الخطاب قد فرعوا مما أخذوا فيه من لهو ولعب ، وجلسوا يستريحون من التعب ، فيمم شطرهم أنتينوس ، وهو يتميز من الغيظ ، وينقدح الشرر من مقلتيه : فقال :

« يا أرباب السماء ! أفيقوا أيها الرفاق ! عمل باهر ! باهر جداً ! لقد أبحر الفتى تليماك فى عصبية من شباب الملاحين ليؤلب عليكم العالمين ، ويرسل علينا حسبانا ! الويل له ! أعدوا لى مركباً وعشرين فارساً من أبسل صنديدكم لأجأ بين أواذى ساموس وتُسوء إيتاكا التتعس الذى ذهب يستروح أخبار أبيه ليسعى إلى حتفه بظلفه » .

وتحمس الملأ وعلا هتافهم ، وهرولوا إلى الرحبة الداخلية فى بيت أوديسيوس يتآمرون ، وكان على مقربة منهم الأمين ميدون ، الذى

انطلق بدووه ينقل ما عقدوا خناصرهم عليه من إفاك إلى الملكة الباكية المفضودة... بنلوب - وما كاد يقص عليها ما اعتموه من قتل تلماك حتى تضععت وتخاذلت ومادت من تحتها الأرض، وتحبست أنفاسها هنية، ثم سألت ميدون فيم أبحر ولدها . « ألكى ينقرض اسمه من صفحة الوجود؟ » وأجابها الرجل : « إنه ذهب يتسمع الأنباء عن أبيه . » ثم ذهب لطيبته وجلست الملكة المركزأة لدى الوصيد تبكى وتنتحب ، ومن حولها الغيد الرعايب والعجوز الشمطاء من خاديات القصر ، يعنون ويكفكفن ...

قالت الملكة : « ويح لى أيها العذارى ! أبدأ ما أحسب واحدة من النساء قد لقيت بعض الذى لقيت بما كتبتته على السماء ! لقد فقدت زوجى ، أسد هيلاس ، الكريم أوديسيوس ، الأمير الحلال ، رجل المروءات والفضائل ؛ ثم لم يبق إلا أن يرسل عنى ولدى ... دون أن أعلم أمر رحيله من إحدا كن ، فكنت أحول بينه وبين ما اعتم ولو أديت ثمناً لذلك روى ! ولسكن .. هيا ... لتمض دليون - خادمتى الوفية ذات التجاريب - إلى ليرتيس - فلتحدثه عما تأمر الذئاب . وسى ! لم يبق إلا أن يقتلوا ولدى وسليل أوديسيوس ! » .

ونفضت يوريكلياً مرضع تلماك ، تنثر دموعها وتقول :  
« وأسفاه على آيتها الملكة ! سأعترف بما كان ، ولك أن تقتليني ... أو تبقى على ! لقد زودت الأمير بكل ما أمر من زاد وخمر ، وأخذ على موثقاً ألا أبوح بسره حتى تمضى إثنا عشر يوماً



بتامها ... حتى أنت يا مولاتي ! لقد أمرني ألا أعلبك بشيء ، فاهدئي  
يا مولاتي ولا تصاعني أحزان القصر بجزن جديد ، وامضي إلى مخدعك  
فاستريحي ثمة ، ولنصلّ جميعاً لربة العدالة مبيرفاً — باللاس الطيبة —  
أن تصون مولاي الأمير وترعاه ، وتكلاؤه من كل خطر ، وليعد إلى  
عرش آباءه ليحكم ويعدل ويدبر شؤون البلاد .

ورقا الدمع في عيون الحاشية ، ونهضت بنلوب فصعدت إلى  
الطابق العلوي ، وأمرت بسلة من الكعك فنفتحت بها العذارى قربانا  
لمبيرفاً وتقدمة ، ثم أرسلت هذه الصلاة :

« إسمعي يا ابنة سيد الأولب ! يا مبيرفا العادلة ! باسم ما ذبح لك  
أودي سيوس في هذا القصر وما ضحى نضرح إليك وتتوسل بك ونصلي  
لك ، أن تصوني ابنة الأمير ، وأن ترسلي عبوسة من شواظ غضبك  
على أعدائه ... أولئك الأضياف الظالمين ... آمين . »

وانهمرت الدموع من عيني الملكة فاستجابت مبيرفا لصلاتها . ثم  
علا ضجيج القوم وارتفع صخبهم ، وكان فيهم شاب نزق التائب في  
أذنيه صلاة بنلوب فحسبها أشرفت تناغي وتغازل ، فراح يعرض بها  
في كلمات قوارص ، قطعها عليه أنتينوس بتحذيره القوم ، ونصيحته  
لهم أن يستعينوا على حزم أمرهم بالكتمان .

وتخير أنتينوس عشرين من خيرة رجاله ، ويمم بهم شطر البحر ،  
ثم ركبوا في سفينة أعدت لما اعتزموه من تلصص وقرصنة وقتك إعداداً  
كافياً ، فنقلت إليها الأسلحة ، وحملت إليها أحمال الزاد والذخيرة ...

وأقلعت ، لا باسم الآلهة مجراها . . ولا سلكت سبيل الرشاد

\* \* \*

واضطجعت بنلوب في فراش حشوه فكرهم ، وجاشت في قلبها الوسوس ، وطفقت الأوهام تفتك برأسها القلق الحيران بسبب ولدها ، وما دبر له الكلاب وما كادوا . مسكين أيها الأسد ! لولا قوتك وجبروتك ما أكثر صائدوك حولك الأحابيل .

وأخذتها سنة من النوم ، فأقبلت مينرقا الكريمة في رؤيا عجيبة تواسيها وتتذهب عنها طائف الحزن ، فزيت بزى الاميرة المفتان ، إقتيا ، ابنة البطل الكبير إيكاريوس ، ثم وقمت عندها رأسها ، وشرعت ترسل هذه الأحلام :

أهكذا تمامين ملء عينيك الجميلتين يا بنلوب العزيزة ؟ ليفرخ روعك ، وليصنف بالك ، فالسما ترعى ولدك ، وهو عائد إليك عما قريب ! إنه لم يقترف شيئاً مما يفضب الآلهة ، ولذا فهمي تكلمه وترعاه وتحفظه ، فقمري عيناً واسلمى وانعمي ! .

وتقول بنلوب إذ هي تحلم :

« من ؟ إقتيا ؟ عجباً ! فيم قدمت يا أختاه وقد ندر ما كنت تسلمين بهذا القصر ؛ أتواسيني وتسلميني ؟ لقد تكاثرت الأحزان على قلبي ، وتكسرت النصال على النصال .. لقد فقدت زوجي ... أسد هيلاس وغفر أرجوس . وعزى الأبدى اشم ها أناذى أنتفض فرفاً على ولدى ... ولدى الطرى الفيئان ، الذى لا قدرة له ولا احتمال ..

في هذا البحر اللججى . . . لقد أفلعت به سفينة كأنها تسبح في بحر من  
دمى وأحزاني ! وها قد تعقبه الأشرار في سفينة أخرى يريدون  
غيبته قبل أن يرتد إلى وطنه ! .

وتجيبها مينرفا : « لا عليك يا ملكة ، ولا عليه هو الآخر !  
إن معه راعياً يحفظه ويقيه . . . راعياً يتمنى الجميع أن يكونوا في  
رعايته أبداً . . . مينرفا إنها أيضاً تبشرك وترفه عنك ، وأنا هنا  
رسولها إليك ، أقبلت بأمرها أواسيك ! ،

وهلجت بنلوب ثم قالت : « وى ! أما إنك إذن لربة ، وقد  
كلمتك الأرباب ... ألا قُصى على إذن ما كان من أمر رجلي ، ألا  
يزال حياً يرزق ؟ أم تخطفته يد المنون ؟ »

وتضاحك الشبح العابس فقال : « لا ليس الآن ؟ لن أذكر لك  
إذا كان رجلك لا يزال حياً أو أنه قد قضى ، مانا ولذلك ؟ »  
ثم رقت في ظلام الغرفة ، وصعدت في سماء الأحلام .

ونهمضت الأم وقد سرى عنها بهذا الحلم ، وانجاب كابوس الهمم  
الذي كان يجثم على قلبها .

\*\*\*

وأقلع الخطاب بفؤلكهم في اليم المضطرب ، كل تحدته نفسه بمقتل  
تليهاخوس ، حتى ، كانوا عند برزخ أستريس ، بين ساموس وإيثاكا . . .  
فأرسوا ثمة يتربصون . . .

## أوديسيوس يبحر من جزيرة كاليبسو

هبت أورورا من فراش زوجها الدافئ الحبيب (تيتون) فنشرت  
في المشرقين غلالة سنية من فيض ضوئها ، بينما كان مجلس الآلهة  
منعقداً في ذروة أولمب ، وقد استوى زيوس على عرشه ، ومينرفا...  
ربة الحكمة والموعظة الحسنة ، قائمة بين يديه ، تحصى آلام  
أوديسيوس ، وتبث أشجانته ؛ وتصور للآلهة صنوف العذاب التي  
يتجرع غصصها وحده في هذه الجزيرة النائية السحيقة ، فتقول :

« أبتاه ! يا سيد أرباب أولمب ! جوف ! اصغ إلى ! وأتم يا آلهة  
الخلود ! أعيروني انتباهة واحدة منكم ، فإنها حسبي ! إلى أين تصير  
الأمور إذن ؟ هاكم قد أصبح أمر الناس فوضى ... والطفاة يعيشون  
في الأرض مفسدين ، وكأنكم أغضتم أعينكم عن خيارهم ، ولم يضركم  
ألا تكفؤوا أشرارهم ، فنسيتم الرجل الصالح أوديسيوس الذي طالما  
منحك محبته ، والذي بذل لشعبه مهجته . . . يشوى اليوم في تلك  
الجزيرة الموحشة يجتر همومه ، ويعثر في صفحة السراب آماله ، ...  
كلاً على كاليبسو عروس الماء ... لا يملك سفينة فيقلع إلى الوطن ،  
ولا يجد قلباً إلى جانبه فيبته حزنه ويشتكى إليه لأواه ، وكأنما لم يكن  
بحسبه بعض ذلك ، بل تسلط عليه الأقدار القاسية عصبية من الأعداء  
الألداء يتربصون بانه الشر ، ويتوون غيثلته ، إذ هو عائد من  
أقصى الأرض . من أسيرطة وبيلوس بعد رحلة منهكة باكية ، قام بها  
يتنسم خبراً عن أبيه ، يشقى في قلبه نُغلة ، ويرى في نفسه كلوماً ،

ويجيئها رب السحاب الثقال :

« آية كرامة هائلة انفرجت عنها شفتاك يا ابنتي؟ ألسنت تشوفين إلى سمودة أوديسيوس سالماً آمناً فيطش بكل أعدائه؟ إطمئني إذن ، حر لتحرسي ولده تلميخوس حتى يصل سالماً آمناً هو الآخر إلى أرض الوطن ، و"ليْسَبُوْ" أعداؤه بالفشل ، .

ثم توجه بالخطاب إلى ولده هرمز ، رسول الآلهة ، فقال :

« هرمز ا هلم يا بنى إلى عروس الماء الشقراء كاليسو برسالاتي . سرها أن ترسل أوديسيوس على رمث (١) وحده ، لا أنيس له من إنس ، بولا آلهة ، فليلق الأهل الطوال حتى يصل إلى شيريه أرض الفيشيين ، ملوك البحار وأصهار الآلهة ، فليزودوه بسفينة وزاد وذخيرة من أحمال من ذهب وديباج ، وبكل ما تشتهي نفسه مما يفوق نصيده الذى حصل عليه من أسلاب إليوم ، لو عاد به غير منقوص إلى أرض الوطن ، ثم ليبحر سالماً إلى إيثاكا... بذاقضت المقادير أن يؤوب . . وأن يستعيد سلطانه ووصولجانه ، وملسكه وإيوانه ؛ ويلقى بعد طول النأى خلاًته ، .

وأصلح رسول الآلهة الأمين ، هرمز ، نعليه الذهبيتين ، نخفستابه كالريج فوق السحاب ، وفي يمينه عصاه السحرية العجيبة التى إن شاء داعب بها الجفون فأغفت ، وإن شاء ردها إلى الصحر واليقظة . وماقتى يرف بين السماء والماء ، ويدوّم فى ذاك الفضاء كالغُر نوق (٢) الذى يتوائب

(١) خشب يضم الى بعضه ويركب فى البحر Raft

(٢) بوزن طنبور وبوزن فردوس طائر مائى (النفطاس) .

على أعراف الموج يصيد ما يقتات به ، حتى كان فوق تلك الجزيرة المنعزلة عن جميع العالم . ثم ما برح يُرَنَّقُ هنا ويرنق هناك حتى اهتدى إلى ذلك الكهف السحيق الذى تأوى إليه عروس الماء الشقراء ذات الشعر السكهرمانى ، وقد جلست ثمة تغرد وتغنى وتعمل دائبة فى منسج أمامها ، ويدها تتلقفان الوشيجة (١) الذهبية كما يخطف البرق ، والنار تتأجج فى الموقد بقربها وتتوهج ، وجمر الأرز والصندل يعبق ويتأرجح ، ويملاً كشْرُهُ أركان الجزيرة وفجاجها ... وقد بسقت أشجار الحور والسنديان عند مدخل الكهف فغشته بظلال رائعة ، وظلمة رهيبة ، وقد صنعت جوارح الطير أوكاراً لها فى الدوح الذهب فى السماء، ووَكَنْت (٢) الحدأة بيضها، وقر الغداف (٣) جنب صفاره ، وطفقت البومة ترسل فى الآفاق صفيها ، وتناثرت فوق الشاطئ أفاحيص (٤) الطير من كل نوع ؛ وامتدت السكروم عن يمين الكهف وعن شماله مثقلة بالعناقيد ذوات السننكر ؛ وتدققت جداول أربعة عن عيون كوثرية تسقى السندس الجميل المنضّر بأفواف الورد والبنفسج ... منظر عجب ، وأى منظر عجب يبعث البهجة والانشراح حتى فى قلوب سكان السماء !

ووقف هر مز يمتع ناظريه بسحر هذه الجنة ، ثم دلف إلى الكهف ، ولم يكن يسيراً على عروس الماء أن تعرف من هو ، وأى إله خالد طرق بابها ، ولو أنها هى أيضاً فرد من أسرة الخالدين ... ذلك لأن سكان السماء

(١) المكوك . (٢) رقدت عليه . (٣) النداف بضم النين غراب القيط  
الأسود . (٤) ججور .

يكونون مثلنا أحياناً ، لا يعرف أحدهم جميع الآخرين ، لبعده الشقة ،  
 ونأى الدار . وانقطاع المزار ... ، ... وأرسل عينيه في كل شق من  
 شقوق الكهف . بيد أنه لم يقف لأوديسيودس على أثر ... فأنثى .  
 ويمم نحو الشاطئ ، واستوى على صخر عظيم نائياً ، وشرع ينثر من  
 عينيه الدموع الغوالي ، يطفىء بها في القلب سحر أ سرمدياً يلازمه أبد  
 الدهر ... وكأما عرفت كالبسو من هذه الآية أنه هرمز ، فراحت  
 تسائله ، إذ هي مستوية على عرشها المعرد العظيم :

« هرمز ! يا صاحب العصا السحرية ، يامن طالما أحببته وبجلته ،  
 حدثني فيم أقبلت ، وقد ندر ما قدمت إلى هنا . هلم فقل ، سل حاجتك  
 فسأقضيها إن تكن في وسعي ... ولكن هلم أولاً لتؤدّي لك مراسم  
 القيرى وواجبات الضيافة ... هلم ! »

ومدت عروس الماء سماطاً حافلاً بأشهى ألوان الطعام وصنوف  
 الشراب ، وأقبل هرمز فاغتذى وروى من هذه المائدة القدسية ، ثم  
 توجه بالكلام فقال : « تسألين أيتها الربة فيم أقدمت أ أفاعلى أنفى  
 ما أقدمت عن أمرى ، لكسبه أبى ، سيد الأولب وكبير الآلهة ، هو  
 الذى أرسلنى . إذ أية حاجة لإله فى هذه القطعة المنعزلة من الأرض  
 يحيط بها الملح من كل مكان ، حيث لا عباد ولا خلق يرؤتون الزكاة ،  
 ورتيمون الصلاة ، ولا أثر لعبادة زيوس العظيم إنه جل جلاله ،  
 يقول إنك تحتجزين هنا أتعس مخلوقاته ، البطل الكبير الذى نزع عن

بلادته إلى اليوم فقضى ثمة تسع سنين ثم أبحر عنها بعد سقوطها في  
 العاشرة مع محاربي هيلاس الذين تفرقوا في البحر شذراً مَذَرًا ،  
 فمنهم من غرق ومنهم من قتل ، ومنهم من وصل إلى بلادته . . . إلا  
 إياه . . . فقد هلك كل رجاله ، وقذفه البحر فوق جزيرتك النائية . . .  
 إن جوف يأمرك أن ترديه ، ففي كتاب المقادير أنه لا يهلك هنا . . .  
 بل يعود إلى بلادته ويلقى بها آله ،

وزلزلت كالبسوزلزالا وقالت تجيبه : «ها . . . الظلم والحسد . . .  
 دائماً . . . هذا دأبكم يا آلهة . . . كم تأكل قلوبكم الغيرة كلما ضمت ربة  
 إلى ذراعها أحد بنى الموتي ! وهل نسيتم يوم نرتم عند ما عسَلقت  
 ديانا ذات الأصابع الوردية هذا المتي الجميل أوريون ، وكيف دبت  
 الغيرة في قلب أبوللو فمكر هذا المكر السيء ، ودبر قتل الفتى بيدي  
 حبيبته ديانا ؟ هل نسيتم أيضاً كيف أرسل أبوكم جوف إحدى  
 صواغقه على آياسيون المسكين لأن سيرس ربة الربيع قد هويته  
 فأوته إليها حين شغفها حيا ؟ ! كذلك أتم معي اليوم ، وكذلك أتم  
 غيورون دائماً ، فما أقسامكم إذ تنفسون على رَجُلِي وحيبي ؟ لقد  
 أنقذتة بنفسى من هذا اليم الذى التقم سيفيته بمن فيها حين شطرها  
 أبوكم بسهمه في عبثة من عبثاته ! حبيبي الذى أهواه من أعماقي  
 وأفتديه بروحى ، والذى أمهد له حياة الخلود . . . ولكن . . .  
 وأأسفاه ! كيف أطرده من عندى ؟ وبكى ! إن تسكن هذه مشيئة  
 زيوس فلا أحدثن أوديسيوس ليرى لنفسه ، إذ ليس عندى مركب  
 يأمن فيه غائلة هذا البحر المضطرب ، وإني لناصحة له ، . . .



وكلها هرمن فأندرها غضبة سيد الأولب وحضها أن تعمل على  
إبحار البطل .

\* \* \*

ورف هرمن الرسول في لازورد السماء ، وانطلقت عروس الماء  
تبحث في الجزيرة عن أوديسيوس ، حتى لقيه فوق صخرة ساهماً  
واجماً . تفسرى قلبه الهواجس ، ويعبث به مجال الأمانى ، وقد  
انهمرت فوق خديه عبرات حرار ، واللحظات تذبذب فتسقط من حياته  
في ظلام اليأس كأوراق الخريف ، وقد ملّ هذا المقام الطويل البائس  
في جوار عروس الماء التي كانت تخلع عليه حبها البارد ، وتفسره على  
أن يقضى لياليه عندها في ذلك الكهف السحيق ... وكلما فكر في وطنه  
ونظر إلى الموج المتواثب في أفق اليم ، وعرف أن لا قدرة له عليه ...  
بكى وأن . وتوجّع وتصدّع ، وأرسل في لانهية الماء والسماء  
آهات وآهات . . . . .

واقتربت منه عروس الماء في رفق ورحمة ، وقالت له :  
« أيها التعس لا تنتحب هكذا ، ولا تصهر حياتك انغالية في تنور  
من الآلام ، هلم ... هيا إلى عمل مجيد ... أمامك الدوح العظيم والأيك  
الذاهب فاقطع منه ماشئت واصنع لنفسك رَمَناً يحملك فوق هذا  
العياب المتلاطم . وسأزودك بكل ما يكفيك من طعام وشراب ؛  
وسأمدك بأثواب جديدة تقيك الحر والبرد ، وسأسخر لك الريح  
تهدئ هديك إلى بلدك البعيد ... هذا قضاء من آلهة السماء التي تقدر  
فتعدل ، وتقضى فلا يرد لها قضاء . . . . . »

وتفرّج أوديسيوس لهذه المفاجأة ثم قال : « أوه يا عروس ! بل في الأمر سر تحساولين إخفاءه عنى ... أى رَمَتْ يَحْمَلِي فِي ذَلِكَ الْبَحْرَ اللَّحْمِي ، وَأَي رِيح تُسَخِّرِينَ مِنْ أَجْلِي ، وَإِن السَّفِينَةَ الْعَظِيمَةَ لَتَخْرُ عِبَابَهُ وَهِيَ لَا تَدْرِي أُنْسَلِمُ أَمْ يَكُونُ أَهْلِهَا مِنَ الْمَغْرَبِينَ ؟ لَا ... لَنْ أَفْعَلَ حَتَّى تَعْطِينَ مَوْثِقَكَ ، وَحَتَّى تَقْسِمَ الْقِسْمَ الْعَظِيمَ ، أَنْتَ لَا تَبْطِنِينَ لِي شَرًّا وَلَا أَذَى ! » .

وتبسمت الربة الهيفاء ، وراحت تربت على خديه وهي تقول : « وَيْحَكَ أَكَيْفَ تَسِيءُ بِنِ الظَّنِّ يَا أوديسيوس ؟ آيَةَ حِجَّةٍ تَمَلَأُ بِهَا يَدَيْكَ عَلَى مَا قُلْتَ ؟ وَلَسْكَنَ أَصْغَرَ إِلَى ... أَقْسِمُ لَكَ بِقِسْمِ الْآلِهَةِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَالْدَارِ الْآخِرَةِ ... بِالْقِسْمِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَقْشَعِرُ لَذِكْرِهِ كُلَّ شَيْءٍ ... إِنِّي لَمْ أَضْمِرْ لَكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيْكَ شَرًّا وَلَا أَذَى ... إِنْ الَّذِي تَبْكِي مِنْ أَجْلِهِ ، أَبْكِي أَنَا أضعاف ما تبكي من مثله ، فَلَقَدْ كُنْتَ ضَرُورَةً مِنْ ضَرُورَاتِ حَيَاتِي هُنَا ، وَلَقَدْ عَلِقَ بِكَ قَلْبِي ، وَهَامَتْ بِحَبْكَ نَفْسِي ، وَلَيْسَ قَلْبِي مِنْ صَخْرٍ فَيَحْتَمِلُ الْبَعْدَ عَنْكَ ، بَلْهُ الْإِضْرَارُ بِكَ » .

وانطلقا سويا إلى الكهف ، وجلس أوديسيوس فوق المتكأ الذي كان يجلس عليه هرمنز منذ هنيئة ، ثم أقبل جوارى الماء يحملن شيئاً كثيراً من اللحم والشراب فأكلا ورويا ؛ ثم شرعت كاليسو تحدّثه وتقول :

أهكذا يا ابن ليرتيس العالم ، أيها الحكيم الصانع ، لا تفتأ تحن إلى وطنك ، وتعتزم الرحيل إليه ؟ ولكن . لا بأس يا أوديسيوس .. فوداعاً !

ولكن هل فكرت أيها الرجل في الأهوال الجسام التي لا بد أن  
تصلى بها قبل أن تصل إلى بلادك؟ أليس خيراً لك أن تظل إلى  
جانبي، وتقاسمني كهفي، فتصبح من الخالدين .. وتسى هذا الجمال البقائي  
الذي لا يتفك يُصنّيك ويُصنّيك ، والذي أحسب جمالي وقتي  
لا يقلان عنه سحراً إن لم يزيدا عليه فتوناً؟ ١٩»

فيجيها أوديسيوس الحكيم . أيتها الربة المخوفة ! هوّني من  
حفيظتك ! فأنا أعلم أن بنو بى العزيزة لاتزن من جمالك وفتونك مثقالا  
لأنها هالكة ، ولأنك من الخالدين . بيد أن الذى يُصبيني ويَشوّقنى هو  
وطنى .. وطى الحبيب الذى أحن إليه وأهيم به ، وفى سبيل العودة  
إليه لن يخيفنى هذا اللج المتلاطم ، فلقد بلوت الأعاصير فى البر والبحر  
فى خبار المعمة ، وفى الفلك تحت كاسل الزوبعة ... إلى ، إلى  
يا خطوب ، وأقدمى بكل حولك يارزايا ... ،

\*\*\*

وتوارت الشمس بالحجاب ، وأرخى الليل سدوله فوق الجزيرة ،  
ونامت الربة فى سريرها الوثير ، وهى تفكر طول الليل فى هذا الفراق  
المفاجيء .. حتى إذا نضرت أورورا بالورد جبين المشرق ، هب  
الإلفان وتدثرا ، هذا بثوبه الحشن ، وتلك بشفوفها الرقيقة الثلجية  
الناعمة ، التى كأنما نسجت من نسفات الصباح العطرى ، وراحت تحظر  
فيتانة ريانة ، وقد اتسحت حول وسطها النحيل بمقشر طق (١) جميل ،  
وألقت على أسها بخمار صفيق رقيق ؛ وقدمت إليه فأسأ ذات حدين

(١) انظر طق بضم القاف وفتح الطاء ثوب يشتمل به .

أحدهما كالساطر ، ركبت فيها يد من خشب الزيتون المتين ، ثم لازملا  
 حاداً مرهفاً . . وسارت بين يديه حتى كانا عند غابة عظيمة مُخترِفٍ (١)  
 لاجبة شاحبة ، بسقت فيها أشجار الحور والسنديان والشربين (٢) ،  
 وتركته ثمة ، وعادت أدراجها إلى كهفها .

ولم يهدأ للبطل المسكين بال ، بل شرع من فورهِ يقطع كل أيكه  
 عظيمة حتى اجتث عشرين من أكبر دوح الغابة . . ثم أقبلت كاليسو  
 وقد حملت إليه آلات ساعدته على تشذيب الشجر ، واستطاع بعد لاي  
 أن يضم بعض الجذوع إلى بعض ثم كلها بكلابات كبار ، وأفرغ في  
 وسط الرمث له ولما يحمل مكاناً أميناً ، كأحسن ما يصنع السفانون . .  
 ودعم ذلك جميعاً بالأواح ودُسر ، وصنع قلعاً وجعل في القلع شراعاً  
 ثم سوى الشكان مكانه ، وجعل في الباطن صبارة (٣) كبيرة تقي الرمث  
 الانقلاب ، ولم ينس أن يجدل جوانبه بفروع وأغصان تزيد في قوته  
 وتضاعف من مُنْتَبِه (٤) . . وأتم صنع مركبه في أربعة أيام . وأنزله  
 إلى البحر في الخامس ؛ ثم أدخلته عروس الماء حمامها فغسلته وضمخته  
 بالطيوب والعطور ، وخلعت عليه من ديباج ثمين ، وزودته بزقين من  
 خمر وماء ، وأمدته بشيء كثير من طعام وأثواب

وودع عروس الماء المحزونة ، وجلس عند السكان ، ثم دفع  
 الرمث في البحر ، وابتعد رويداً رويداً

(١) مخرف أى أدركها الخريف ولاجبة لا ورق فيها .

(٢) Fir (٣) أو صبرة يفتح الصاد قطعة حجر كبيرة يترن بها المركب في البحر  
 وتسمى في مصر (صابورة) . (٤) قوته

وكان قلبه يفيض بالبشر، وصدرة يمتلئ بالانشراح... وظل  
الفلك الصغير يجرى به سبعة عشر يوماً، وعيناه في كل ليل ما تريمآن.  
عن الثريا في علياء السماء، وما تفرآن تنظرآن إلى نجوم الدب الأكبر  
التي تنقف للجبار (١) بالمرصاد، كما علمته عروس الماء قبل أن يبرح.  
أن يجعل هذا النجم إلى شماله أبدأ.

ثم بدت جبال فيثشيا الششم كأنها دروع مسرودة فوق صدر  
الأرض الشاحبة... ولكن اوا أسفا... لقد كان الجبار نبتيون  
ثانياً عنانه من سوليا (٢). فلح أوديسيوس فوق رمته يتوائب على هام  
الموج، ويقترّب من الشاطى، فينجو إلى الأبد من بطشه... وثارت  
في نفس نبتيون - إله البحار، وأعدى أعداء أوديسيوس - ثورة من  
الغضب، وظل يعلك هذه الكلمات في نفسه من فوق بطاح إثيوبيا:

«وى ا أو قد تبدلت مقادير الآلهة: إذن، وتحركت فيهم عواطف  
الحنان من أجل هذا الرجل أوديسيوس، فقفوا فيه ما قفوا لأنهم  
يسكنون السماء. ولم يبالوا بي لأنى أسكن الأرض في إثيوبيا؟ إنه  
يرى شاطى فيثشيا قيد وثبات منه، وهو إذا قفز إليه أصبح بنجوة  
من هموم تترصده في كل موجة من موجات هذا اليم... ولكن...  
لا... لألهبئه بألف سوط عذاب قبل أن يصل إلى البر...»

ثم إنه لاعب السحاب بصو لجانه ذى الشعب الثلاث فانعقدت منه

(١) الجوزاء Orion . (٢) احدى مقاطعات آسيا الصغرى وكانت تدعى

ظلمات في أرجاء السماء ، وطفق يهز أعماق البحر فهاج وماج ، وتلاطم  
بالأمواج ، وصاح صيحة برياح المشرقين ورياح المغربين فاجتمعت  
إليه من كل مكان سحيق ... ثم هبت ريح الشمال الثلجية اللاخفة فانظفاً  
لألاء النهار ، وأظلم الليل فجأة ، وطفى العباب وشابت نواصيه بالزبد ،  
وتناوح الموج الغضوب حول الرمث ، وهلع فؤاد أوديسيوس وأصبح  
قلبه فارغاً ، وطاشت أحلامه وذابت أمانيه العذاب ، وراح يحدث  
نفسه هكذا . « يا لتعاستي ! أى قدر قاس يترصدنى ؟ لقد أنذرتنى ربة  
الماء مغبة هذه الرحلة الهوجاء في البحر فما صدقتها ، وتنبأت عن الشدائد  
التي تعتور طريقى إلى الوطن ، فها هي ذى تتحقق ! أية أعاصير هوج  
وأى موج ينتفض من الأعماق قد سلطه جوف على هذا البحر ! بعد  
لحظة أغوص في ظلمة هذه القبور التي ينشق عنها الموج ! ألا ليتنى مت  
قبل هذا وكنت نسياً تحت أسوار اليوم ، يوم أوشكت أن أقضى ثلاثاً  
في سبيل إيقاظ الأترديدس (١) أو يوم أوشكت أن أصرع برماح  
الطرواديين إذ أدفع جموعهم عن جثة أخيل ! ! أجل ! لو أننى مت  
ثمة لأقيمت من أجلى الطقوس الجنائزية ، وأدّيت لى الشعائر الدينية ،  
وذرف فوق قبرى كل يونانى أغلى دموعه وأعز عبراته . وتفاديت  
هذه الموتة المجهولة التي تكاد تلتقمنى ! » .

ثم كانت الطامة ... فإن موجة كالطود فجأته ... فبعثرت الرمث ...  
وأقلت مقبض السكان من بدى أوديسيوس ، فانتثر في اللجة ، ثم غاص  
في أعماقها . وعبثاً حاول أن يطفو ... لأن الرياح تكالبت عليه من

كل مكان ، وكلما نجما من موجة فغرت له فإها موجة أخرى . . . ثم حدثت المعجزة . . . فقد وسعه بعدلأى وعناء شديد أن يدفع بنفسه دفعة اليأس إلى السطح ، وأن يملأ رثيه المنهوكتين بتنفسة من الهواء كانت تخرج بالماء الأجاج المتصعب من جيئنه ، حتى لأوشك أن يفض بها . . . لولا أن لطفت به الصدفة ، فرأى الرمث قريباً منه ، وقد انتزعت العاصفة قَلْعَه وشراعه ، فسيح إليه وأمسك به ، ثم استوى عليه ، وتركه للموج ، تلعب به واحدة ، وتعبث به أخرى ؛ وتجتمع عليه الرياح عن شماله ويمينه ، ومن خلفه وقدامه ، حتى قَيِّضَ له القندر عروس الماء ( إينو ) ابنة قدموس ، التي كانت تعيش في البر . وتعرف فيه بهذا الاسم ، والتي اتخذت اسم ( ليوكوتيا ) بعد أن نزلت إلى البحر وأحبها أحد الآلهة فوهبها الخلود . . . لقد تفجرت في قلبها شأيب الرحمة من أجل أوديسيوس لما رأته في هذا الروع الذي ليس كمثل روع ، فسحرت نفسها ، ووثبت على الرمث في صورة خطاس الماء . ثم قالت له : « ويحك أيها البائس ! فيم أثرت غضبة نينون عليك حتى ليتبعك سرّياً في شعاب البحر » ويصب عليك كل تلك الرزايا . . . ؟ على أنني أنصح لك أن تدفع هذا الرمث ، تدافعه الرياح حيث تشاء ، ثم تخلع ملابسك ، وتقفر في الماء . وتسبح بقوة رجليد حتى تصل إلى شطآن فيثشيا ، حيث تسلم بنفسك . وتكون بئامن من بطش هذا الجبار . خذ ، هاك زناراً (١) من حرير من حياكة السماء ، ملففه تحت صدرك ، فإنه يجعلك بما من حتى من مجرد

(١) الزنار ما يلبسه القميس حول أوساطهم .

التفكير في الموت ، فإذا وصلت سلماً إلى الشاطئ ، فارمه بكل ما أوتيت من قوة بعيداً في البحر ، وأدر وجهك بمجرد أن تفعل ، بشرط ألا تنظر إليه وهو يسقط في الماء .» .

وسلت إليه الزنار الموعود ، ثم غاصت في الماء ، وبقي أوديسيوس مكانه في حيرة شديدة وحزن عميق ، ثم أفاق من غشيته وجعل يهرف هكذا : « أوه ا ترى؟ أذاك شرك آخر تدبره الآلهة لي ولكن لا ... ان أبحر مقياً فوق الرمث ، فالبر بعيد ، ولا ظل مكافى مادامت الجذوع مُكَلَّسَبَة هكذا ، فإذا حطمتها يد الحدنان فلا فعلن كما أشار الإله الذي كان يكلمني منذ لحظة ... . وما كاد يفرغ حتى أرسل عليه نبتيون موجة جارفة حطمت رمثه ، وتركته عالقاً بأحد الألواح ... وأسرع أوديسيوس نخلع الرداء الجميل الديقاجي الذي خلعتة عليه كاليسو ، ولف الزنار الموعود حول صدره ، وقذف بنفسه في الماء ... وراح يسبح !

وكان نبتيون الجبار يرى بعينه ، ويشنى حردَه (١) ، ويقول في نفسه : « ذُقْ يا أوديسيوس وبال أمرك في هذا الطوفان ، قبل أن تصل حبالك بحبال الشعب الذي هو حبيب الآلهة ، وسترى ثمة هل تنتهي آلامك !»

وحثُّ مُطِيه حتى وصل (لإيجه) حيث يشرف قصره المنيف .

وكانت ميزرفا تشهد الكفاح الهائل بين أوديسيوس وبين اليم ، فأطلعت من عليائها ، وداعبت الرياح حتى استنامت وونت ، ثم أطلقت بوريس ، ريج الصبا الشاهي الكريم ججري (٢) رخاء ، يدفع

(٢) الضمير عائد على بوريس وهو مذكر

(١) غضبه وغبطه



أمامه البطل العظيم الذى ظل يناضل الموت ويصرعه يومين أطول من  
دهر ، وليلتين أحلك من غيابة جب ، حتى إذا غابت أورورا فى اليوم  
الثالث، استطاع أن يرى الشاطئ على مرمى البصر ، وهو فوق موجة عالية .

مأحلى الأمل الذى يحيا بعد يأس ! لقد كان أوديسيوس ينظر  
إلى التلال والجبال القريبة ، والغابة النائمة فى أحياها (١) ، كما ينظر  
الأطفال الأبرار إلى أب لهم أنهكته العلة . . . ثم تماثل للشفاء بعد  
تسليم وقنوط !

وتحسس الأرض بقدميه . . . ولكن . . . وأسفا ! الأعماق  
الهائلة ! والصخور والأواذى ! والموج الذى يرتطم بأقدام الجبال  
فيرغى ويزبد . . . !

لم يكن بهذه الجهة مرفأ ، ولم تكن تيموس خلاهما سفن . . . ولقد  
ظل أوديسيوس يكافح ويكافح . . . حتى غم على قلبه ، وكاد يتغشاه  
طائف من الحور ، بعد أمل وطيد !

وجاشت الوسوس فى قلبه ، وطفق يحدث نفسه حديث الهلك  
فى هذه اللجة الرجراج . . .

وكان أخوف ما يخشاه أن يدفعه الموج على نتوء الصخر فيحطمه ،  
أو أن تلمحه أمفتريت ، زوج نبتيون ، عدوه اللدود ، إله البحر .  
فتسلط عليه من وحش الماء ما يلقفه ، أو يقذف به إلى أعماق الأعماق . . .  
كرة أخرى .

وبينا هو فى بحر من ماء ومن هواجس ، إذا موجة هائلة  
يضطرب بها اليم فتدفعه فى قوة وعنف إلى الشاطئ ذى التواء والنوى

(١) جمع جيد وهو جانب الجبل .

فتسكاد تدق عنقه ، وتذرو عظامه ، لولا أن قبض بذراعيه الجبارتين على حافة صخرة بارزة ... فظل معلقاً ثمة حتى أقبل جبل آحر من موج البحر فاحتمله إلى الأعماق كأنه أحد سراطين الماء ... وجاهد المسكين ثانية وثالثة حتى تدافع الموج من خلفه فقذفه في مسيل من مسابيل الماء المنتشرة على الشاطئ ، وعندها ، ظن أوديسيوس أنه بنجوة لولا تيار النهر الذي كاد يسلمه بدوره للمحيط ، مما جعله يضرع لرب النهر ويبتهل ... ويدعو من أعماق قلبه ويصلي ، حتى استجاب الرب الرحيم لصلاته ، فكسر حدة التيار ، وقلّ من غرب الماء ، واستطاع البائس المنهوك أن يصل إحدى العسودتين (١) واهياً متهاكاً محطاً ... فانطرح على الثرى يقبله ... ويلهث ويقول :

« ويح نفسي ماذا تبتغين يا آلام ! لقد أقبل الليل وأنا عيسى<sup>٢</sup> مصدع . ولا قبّل لهذه البقية من حشاشتي بطل العشاة وصقيع الفجر ... فلو أنني استطعت أن أتسلق هذا الحدور فالوذ بأجمة من هذه الغابة ولكن ! وى ! أى وحش ضار يغتذى بلحمي ثمة ؟ » .

يَبدَأُ أنه توقل (٢) في الجبل حتى أوشك أن يضرب في الغابة ؛ ثم كان بين زيتونتين إحداهما مشمرة ، والأخرى عقيم ، كل منهما لفشاء شجرا حتى لا تنفذ الريح بينهما ، ولا تنسرق أشعة الشمس خلالها ، ولا الماء بواصل إلى من استندى بهما .

هنا ... وجد أوديسيوس مأمنه ، .. فراح يمهّد الأرض ، ويبلغ ما استطاع من قش ويحتطب ، حتى صنع لنفسه منامة تكفي اثنين غيره ، من الضار بين المرشدين في الأرض ، ودعم حفافها بفروع الشجر ...

ثم أسلم عينيه لنوم هادى عميق ، سكبته مينرقا فى كاتنا مقلتيه .  
فله ما كان أروعه غاراً فى هذا السفط من القش ، كشعلة من  
زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يعتز بها ريفى شاب فى قرار مكين (١) .

\* \* \*

نام أوديسيوس منهوك القوى .

وذهب مينرقا تدبر له أمراً فى شيريا ، بلد السلالة ذوى المجد من  
أبناء فياشيا -- ملوك البحر الذين فروا من وحه جيرانهم الجبابرة  
السيكلوبس -- فى العصر الخالى ، ونزلوا بهذا البلد ، فشدوا حصونه ،  
وأقاموا أسواره ، وتوزعوا أرضه المخصبة ، وأسكنوا الدور  
والقصور ، وأنشأوا المعابد للألهة عرفاناً وشكراناً .

وقضى ملكهم وزعيمهم نوزيتوس ... ثم استوى على العرش  
من بعده ألكينوس ، حبيب الآلهة ، وصنى السماء .

\* \* \*

كانت الأميرة الحسناء ، نوزيكا ، ابنة ألكينوس الملك ؛ تغطى  
كالملاك فى نوم عميق بين وصيفتين رائعتين من وصيفاتها ، فوق سرير  
وثير فى مخدعها الملصكى الفاخر .

وكان رتاج الباب محكما كأنه رتاج باب الجنة ، ولكن ذلك لم يقف  
بسبيل ربة الحكمة مينرقا ، التى خطرت إلى الداخلى كنسمة نادية  
من نسيمات الصباح ، ووقفت لدى رأس ابنة الملك تزخرف لها هذا  
الحلم الفضى الجميل ، وكأنما تبدو لها فى المنام فى صورة صديقتها وأعز  
أترابها ابنة ديماس السكريم :

(١) كانت النار فى الزمن القديم أغل ما يعتر به الناس .

« نوزيكا ! يا ويح لك أيها الثوم المكسال ! أهكذا تهملين  
ملابسك وأنت موشكة أن تُزفي إلى عروسك ، وعليها يتوقف  
مظرك ومنظرك وَرَوَاؤُكِ » ورواء حاشيتك ووصيفاتك ، كما  
يتوقف عليها زهو أبويك بين الناس . انهضى مع الفسّاق (١) فاذهبى  
بمطارفك (٢) إلى المغتسل عند ضفة النهر فاغسلها وأعدّها ليوم  
زفافك ، يوم تودعين مراح هذا الشباب الخالى ... هلبى ! إني  
سأعاونك ، أنت ياساحرة ألباب شباب الفياشيين ! سلى أباك أن  
يرسل لك عربة وبغالاً تحمل ثيابك ومطارفك إلى عمدة النهر حيث  
لا شاهد ولا رقيب .

وانفتلت مبرقفا ذات العينين الزبرجديتين ، ورقت أسباب  
السماء حتى كانت فوق ذروة أولمب ... حيث السكون والهدوء  
والصمت ، وحيث مستقر الآلهة ، وحيث لا تعصف ريح ولا يتلبد  
سحاب ولا تدمع عين مطر ... وحيث السماء لازوردية صافية  
إلى الأبد .

\* \* \*

وخطرت أورورا فوق عرش المشرق ، وأرسلت من لئنها أميناً  
من رسل النور يداعب جفنى نوزيكا . فهبت وحلها الجميل لما يفتأ  
يساور رأسها الصغير ، وهزعت من فورها تبحث عن أبويها تقص  
عليها أبناء مارات . وقد ألقت أمها لدى المدفأة مكبة على غزل من  
صوف أرجواني مؤشّى بصبغ بحرى ، ومن حولها وصيفات  
يساعدها ... ثم لقيت أباهم يكاد يذهب ليقترأس مجلس شيوخ

(١) الفلق أول ضياء الصبح . (٢) جمع مطرف بضم الميم وفتح الراء الرداء .

المملكة ، فاستوقفته وكلمته في العربية ، واحتجت بملابس إختوتها الخمسة الذين يستحيون أن يراقصوا العذارى في الحفلات بملابس لا تليق بأبناء الملوك ... وعقد الخجل لسانها فلم تذكر مطارف زواجها وشفوف (١) زفافها ... ولم يبخل أبوها بما طلبت ، بل أمر لها بعربة كبيرة عتيدة ودواب ، وزودتها أمها بأشربات وآكال وطيوب و مرؤوخ (٢) .

واستوت مع وصيفاتها في العربية رساطت البغال فانطلقت تطوى الرحب إلى النهر حيث وقفت عند منحرج يترقرق فيه بلور الماء ، عندفقاً من نبع قريب . وسرحت الدواب لترعى العشب الحلو النامى على جفاني الماء ، ثم أخذن في غسل المطارف ونشرها فوق حصباء الشاطىء الذى طممه المد ونضحه الجزر ، واغسلن بعد ذلك وتضمخن ، وجلسن على شفا النهر يتبلغن بلمعات ، ثم نهضن فتلاعبن بالأكر ، وتغنيت ابنة الملك أعذب الأغاني ، وثنت كما تنثن ديانا فى شعاف الجبال وفى يدها القوس والترس ، تصيد الخنازير فى أريمانت - ومن حولها ررب من عذارى الآلهة ، وابنة لاتونا (٣) تنيه عليهن وتدل .. كذا كانت تيمس ابنة الملك فيكسف لالاوها جمال الأخرىات .

وهنا ... شاءت مينرفا أن يهب أوديسيوس من نومه ، ليشهد الغادة الهيفاء التى كتبت فى الأزل أن تقوده إلى المدينة ، فقيا كانت نوزيكا تضرب الكرة لتلقفها إحدى وصيفاتها ، إذا هى تعلقو وتعلو ،

(١) جمع شف بفتح الشين الثوب الرقيق جدا . (٢) ما يمسح به الجسم من دهن أو طيب أو غيرها . (٣) هى ديانا .

ثم تدوم كما يدوم الطائر وتهوى في العباب المصطخب . .  
 وصرخ العذارى صرخة مدوية ، فانتفض أوديسيوس وهب  
 مذعوراً مشدوهاً ليرى هذا المنظر العجب !

ويحيى ! أى بنى الموتى قَطَّان هنا ؟ لست شعري أشوس  
 عراييد أم كرام أجلاويد ! أوه ! إنهن عرائس ماء تفرعن فرجعت  
 الغيران أصداء صراخهن ، وتراقص الحساب فوق العباب من  
 جرسهن ، وتثنى السكلا نشوة في الوادي ! الأدلف نحوهن فأرى  
 إليهن ... ، .

وخطر من دَعِيلَتِهِ<sup>(١)</sup> حَظْرانَ الأسد حاجته العاصفة .  
 فانقدت في عينيه جمرتان من غضب ، أو ظمى<sup>٥</sup> فاشتدت غلَّتته إلى  
 الدماء ... ونشط نحو العذارى ، فما إن رأيته حتى تفرعن ووسلين  
 مذعورات في الشاطى<sup>٥</sup> ذى الثوى ... إلا نوزيكا ! فقد نفخت فيها  
 ميثراً من روحها ، ونزعت من فرائصها رجفة الخوف ، فوقفت  
 شماء الأنف تنتظر القادم ...

وارتبك أوديسيوس ولم يدر ماذا يصنع ؟ أيجثو تحت قدميه  
 يتوسل ويتضرع ، أم يقف عن كسب يستعطف ويسأل الفتاة دثاراً ،  
 ويرجوها أن تهديه إلى المدينة ! وآثر الثانية فتلطف ، ثم قال .

« عمرك الله أيتها الملكة ! أرَبَّة من الخالدات ، أم حسناء من  
 بنى البشر ؟ أصرع إليك أن تجيبي ! فإنك إن كنت ربة ، فما  
 إخالك إلا ديانا ، ابنة سيد الأولب ! ولم لا ؟ ولك قسامتها

(١) الدغيلة والدعل الشجر الملتف .

ووسامتها<sup>(١)</sup> وقدها الممشوق ، وحسنها السويّ وجمالها الرويّ !  
 أما إن كنت إنسيّةً ، فما أسعد آلك بك ، ولشد ما يزهون بجمالك !  
 كلما خطرت في ملعب ، أو بدّحت<sup>(٢)</sup> في مرتع . . . ثم ما أسعد  
 الزوج الذي سيحظى بكل ذلك الجمال ، لا يضارعه في العالم جمال ! !  
 ألا ما أروع ما تبدين كالنخلة اليانعة في ديلوس عند منبج أبوللو ،  
 أيتها الأميرة ! ألا كم أتمنى أن ألثم قدميك ، لولا ما يتابني من  
 روع ، ويفودني من فزع — أنا — ذلك المُعَسَّيّ المحزون  
 المشجون — أنا — ذلك العيسيّ الموهون الذي أفلت من يد المنون  
 أمس ، بعد إذ كشر له عن نابه في ذلك البحر اللججى ، بعد سفرة  
 عشرين يوماً من أوجيجيا ، وسط أنواء وأهوال ، وموج كالجيلال ،  
 حتى شاءت العناية أن تطرحني بشطآنكم الحبيبة ! ولست أدري  
 ما خبأت لي المقادير بعد ! ولكن ، هل ترثي مليكتي من أجلي ، وهي  
 أول من لقيت في هذه الأرض بعد طول عنائي ، فترشدني إلى مدينتها ،  
 وتسبغ علي — أسبغت عليها الآلهة كل ما تتمنى من هناة  
 وبلسم<sup>(٣)</sup> ، وقران قوى العرى لا تتناول إليه أعين الأعداء —  
 دثاراً يسترسو متى ؟» .

وأجابته نوزيكا : « حباً أيها الغريب النازح وكرامة ! إن سيباك  
 تدل على نبل ، وسميتك ينيء عن رفعة ! اصطبر على ما ابتلاك به  
 كبير الآلهة الذي بيده العزة ، يشقى من يشاء ، ويهب لمن يشاء ، وإني  
 سأدلك إلى المدينة ، مدينة الفياشيين ملوك البحر ، التي أنا ابنة ملكها  
 العظيم ألكينوس ، رب نعمائها ومصدر رخائها » وأومات إلى وصيفاتها

(١) القامة والوسامة الحسن . (٢) مشية الهناة . (٣) سعة العيش .

تقول : « مكانكن يا عذارى ! فيم فراركن هكذا من إنسى كريم ؟  
 لقد أبت الآلهة أن تطأ قدم عدو أرض أحبائنا ، بلادنا المقدسة ،  
 التي انزلت في لجج هذا الخضم عن كل العالم . إنه غريب يا عذارى ،  
 جواب آفاق ، قذفه البحر إلى شاطئنا ، فمرحبا به ضيفاً من لدن  
 زيوس ، وأهلاً بوفادته وسهلاً . . . هلم إذن يا محوٍ بحبات فقدمن له  
 طعاماً وشراباً ، ثم هيئن له حماماً في منعرج ظليل عند حفافى النهر » .  
 وأُهرع البنات فقُدن أوديسيوس إلى منعرج ذى ظلالٍ  
 وأفياء ، وأعددن له ثوباً وكساء ، وهيان طيوباً يتضمنخ بها إذا فرغ  
 من حَمَامِهِ ، وسألهن أن يذهبن بعيداً حتى لا يتعرى أمامهن ، إذ  
 « . . . لشد ما ينجلنى أن أبدو عارياً أمام الخُرْد<sup>(١)</sup> الخفرات ا » . . .  
 وتهادين إلى مولاتهن يحدثنها بما قال : بينا هو قد انقذف في الماء يغسل  
 كاهله ورحقوئيه مما حمد عليهما من ملح اللجة ، وصعد فتضنَّمنخ  
 بالطيب الثمين تم أسنخ على بدنه العتيد ذلك الكساء التي منحته إياه  
 نوزيكاً ، ومن أعجب العجب أن ميرانفا نفسها كانت تعاونه في تجميل  
 خنلقه ، وتزيل من شعره الكث الأشعث تلبداته التي كانت تبدو  
 كأنها أزهار الخزامى .. ثم هي بعد كل ذلك تضفى عليه أمواها من البهاء  
 تظللها صداره ، كأنما هي فلكان الصنّاع يعمل حلية من فضة  
 وذهب ، وجلس على الشاطيء في رونق وروعة ، حتى إذا لمحتته  
 الأميرة العذراء أذهلها جماله ، وقالت لوصيفاتها . « نالته

(١) جمع خريدة . الحناء .



باصْوَاحِيَّاتٍ لَقَدْ شَكَّكَتْ فِي حَالِ هَذَا الرَّجُلِ أَوَّلَ الْأَمْرِ ، وَلَقَدْ حَسِبْتَهُ آفَاقِيًّا مِنْ رِعَاعِ النَّاسِ ، لَوْلَا أَنِّي أَتَقَى أَنْ الْآلِهَةَ لَا تَسْوِقُ إِلَى بِلَادِهَا الْحَبِيبَةَ هَذَا الصَّنْفِ مِنَ الْبَشَرِ ... أَمَا هُوَ الْآنَ ، فَلَشَدَّ مَا يَشْبِهُهُ أَرْبَابَ السَّمَاءِ ! أَوَاهُ ! لَوَدِدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي زَوْجٌ فِي بَهَائِهِ وَحَسَنِ سَمْعَتِهِ ، عَلَى أَنْ تَبْقَى آخِرَ الدَّهْرِ هُنَا ... هَلَمْ يَا وَصِيْفَاتِ ... قَدِمْنَ لَهُ طَعَامًا وَخَمْرًا .

وَمَدَدَنَ أَمَامَهُ سَمَاطًا كَبِيرًا ، وَزَوَّدَنَهُ بِأَحْسَنِ الْأَشْرِبَاتِ وَالْآكَالِ ؛ وَأَخَذَ أَوْدِيسِيُوسَ فِي إِكَاثِهِ حَبِيبِيًّا مُتَأَدِّبًا ، يَرُدُّعُنُهُ تِلْكَ الْمَسْبُغَةَ الطَّوِيلَةَ الَّتِي أَنْهَكَتْ قُوَّتَهُ .

وَوَضَعَتْ أَحْمَالَ الْمَطَارِفِ وَالثِيَابِ فَوْقَ الْعَرَبَةِ ، وَشَدَّتْ الْبِغَالَ ، وَاسْتَوَتْ الْأَمِيرَةَ فِي مَكَانِهَا ، ثُمَّ هَتَفَتْ بِأَوْدِيسِيُوسَ فَقَالَتْ لَهُ : « هَلَمْ أَيُّهَا النَّازِحُ الْغَرِيبُ ! إِلَى الْمَدِينَةِ إِذْنُ ! إِنِّي سَأُرْسِدُكَ إِلَى قَصْرِ أَبِي ، حَيْثُ تَلْقَاهُ فِي جَمْعٍ مِنْ أَشْرَافِ الْفِيَّاشِيِّينَ وَسَنَنْطَلِقُ وَسَطَ هَذِهِ الْحُقُولِ ، وَإِنْ لِي مَعَكَ مِنْ أَجْلِ هَذَا لِكَلِمَةٍ ... لَقَدْ بَنَيْتُ مَدِينَتَنَا فَوْقَ صَخْرَةٍ رَاسِيَةٍ ، وَأَحَاطَ بِهَا سُورٌ عَظِيمٌ ، ثُمَّ وَصَلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ فُرْضَتِهَا جِسْرٌ ضَمِيقٌ تَقْرُ عَلَى جَانِبِهِ سَفَائِنُنَا ، رَابِضَةٌ مَتْرَاصَةٌ ، ثُمَّ يَنْهَضُ عِنْدَهَا مَعْبَدُ نَبْتِيُونَ الْعَظِيمِ ، وَبِجَوَارِهِ سُوقُ الْمَدِينَةِ الْمَبْنِي مِنَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ ، حَيْثُ تَبَاعُ جِبَالُ السُّنْفَنِ وَشَرَاعِمُهَا ، وَحَيْثُ تُصْنَعُ مَجَازِفُهَا أَوْ أَكْثَرُ عِتَادِهَا — لِأَنَّ الْفِيَّاشِيِّينَ لَا يَعْنُونَ بِشَيْءٍ عَنَّا يَتَمُّ بِهَذِهِ الْمُنْشِئَاتِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ — وَالَّذِي أَخْشَاهُ أَنْ يَرَانَا النَّاسُ ثَمَّةَ فَيَسْتَهْزِئُوا بِنَا ، وَقَدْ يَسْلِقُونَنِي بِالسَّنَةِ حُدَادٍ ، قَائِلِينَ فِي سَفَاهَةٍ وَتَنْدَرٍ : تَرَى ؟ مِنْ يَكُونُ

هذا الغريب النجيب الحرقلى الذى يقص أثر الأميرة ابنة الملك ؟ أى صدفة جمعت شملهما ياترى ؟ سرعان ما تراها تزف إليه عروساً كاعباً ... قد يكون ضيفاً غير محمود من أرض نائية ؛ أو ربما صادت بصلاتها وتسيدها واحداً من الآلهة أبق من السماء ليقرر معها إلى الأبد ... الحمد لله الذى من عليها بزواج سعيد من بلاد غريبة يشبع أمانها الجاحجة بعد أن رفضت الأيدي الكثرية التى تقدمت إليها من أبناء الفياشين، ... هكذا سيقول الناس إن رأونا أيها الرجل ، ولهم الحق ، فأنا نفسى لا أعنى من اللائمة فتاة عذراء تستبجح أن تمشى مكشوفة مع رجل غريب قُيِّل عرسها ... ولكن أصغ إلى : إنك واصل حتماً إلى أبى إذا اتبعت نصيحتى ... بعد قليل سيصل ركبنا إلى حرج أشجار الحور المقدس النامى فى تخوم الطريق باسم ربة العدالة والحكمة مبيرقا .. وإن عنده لنبعاً يترقرق وسط كلاً وأعشاب .. وإن عنده لحديقة أبى ، الجنة الضحوك الغنساء اقف ثمة حتى إذا دخلنا نحن المدينة وحصلنا فى بيت أبى ، فتقدم أنت وادخل المدينة واسأل أياً من الناس ، ولو طفلاً يافعاً ، عن قصر ألكينوس الملك ، أبى الحبيب ، فإنه معروف مشهور لا يضارعه منزل آخر فى سعته وأهسته . فإذا دخلته فلا تتوان لحظة ، بل سر قدماً حتى تلقى أمى جالسة لدى الموقد المتأجج بجانب عمود مرمرى ، مكبة على غزلها الصوفى الموشى بأصباغ البحر ، ومن حولها وصيحاتها يعاونها فى إنجازها - وقرياً منها ترى أبى مستوياً على عرشه يطعم ويشرب كأحد آلهة الأولمب ...

لا تسكلمه... بل جاوزه إلى أمي الرؤوم ، ثم سل حاجتك تقضها لك ،  
وتسعيدك إلى وطنك مهما كان سحيقاً نائياً... أُرثُ في صميمها عاملاً  
الخير والمحبة ، تردك إلى آلك وذويك وبلادك ... وسلام عليك ،  
ثم إنها ألهمت ظهور البغال فانطلقت تعدو مولية عن النهر الذي  
صار يبتعد قليلاً قليلاً ... وكانت نوزيكا آخذة بزمامها لتكبح من  
جماحها ، حتى لا تغوت أوديسيوس من ورائها .

وكانت الشمس تصبغ بالورس<sup>(١)</sup> جبين المغرب حينما وصل  
الركب إلى حرج مينرفا المقدس ، الذي نهض حوره الباسق في السماء  
فضشراً ملتفماً كما يناجى ابنة جوف ، المدرعة بإيجيس<sup>(٢)</sup> .

وهنا ... وقف أوديسيوس يصلي لمينرفا :

« يا ابنة جوف القوي المتعال اسمي لي ! أصيخى الآن ياربة !  
لقد تصامت عنى إذ كانت اللجج تلتقني فراعيني الآن ! اجعلي لي مرفقاً  
من أمري ، وهبي لي محبة ورحمة في قلوب أبناء الفياشيين أنسى بها  
آلامي .. آمين آمين !

ولبت ربة الحكمة واستجابت لدعائه . بيد أنها ، احتراماً لعمها  
( نبتيون ) الذي لا يفتأ يقتني أثر أوديسيوس عدوه الأكبر ، لم تشأ  
أن تبدوله .

وفرغ أوديسيوس من صلواته ، ووصلت عربة الأميرة إلى القصر  
فلقيها إخوتها الأمراء الخمسة النشجُب ، فخلوا الدواب وحملوا المطارف

(١) الورس صبغ بين الأحمر والأصفر .

(٢) كانت مينرفا تلبس درعا تسمى إيجيس .

والتياب ، وصعدت هي إلى مخدعها حيث كانت خادمها العجوز الشمطاء  
( يوريمديوسا ) تُعنى بنار المدفأة .  
ولم تكذب يور ترى سيدتها حتى حست وبيتت ، وانطلقت تُعيد  
لها وجبة المساء .

أما أوديسيوس فقد هب من مجلسه ، وبم شطر المدينة ، وقد  
نشرت حوله ميزفا — صفيته الوفية — ظلالة وغماماً يحجبه عن  
أعين الناس حتى لا يضايقه أحدهم بسؤاله من هو وفيم أقبل ومن أى  
الاقطار جاء ... بيد أنها لاحت له قبل أن يلبح باب المدينة فى هيئة فتاة  
قروية كاعب تحمل فوق رأسها جرتها ... وتعمدت أن تعترض طريقه  
فاتهزها فرصة وراح يسألها هكذا : « يا بنية ! أسمحين فتدلينى على  
بيت رب هذه البلدة ، ألكينوس الكريم ؟ لقد نال منى الوتنى (١)  
وطول السفر ، وحلت عليكم يا أهل فيشيا الأجاويد ضيفاً غير  
معروف ، من بلد سحيق ، فهل تفعلين ؟ »

وقالت ميزفا — ذات العينين الزبرجديتين — وهى تجيبه :  
« حباً أيها الغريب الوقور وكرامة ! سأدلك على بيت ألكينوس  
بنفسى . فهو غير بعيد من بيت أبى ... ولكن لى إليك وصية ...  
أصحت ما دمت سائراً ، ولا تتحدج أحداً بنظرة ، ولا تكلم من أهل  
هذه البلدة إنسياً ، فقد جبلوا على ازدراء الغرباء وقلة إيلافهم ، وتلتهم  
فى فتور وبرود طبع ، وقد أحبهم نبتيون رب البحار فأذل لهم أعناق

الموج وأساس لسفنهم أعراف الماء ، فمى تخطر فيه كالطير حين ترف أو كالفكرة حين تخطر في الخلد .

وتهادت ربة الحكمة بين يديه ، ودلف هو وراءها ، ولم تره جموع البحارة الحاشدة التي كان يسير بينها ، لأن ميزفا ضربت على أعينهم غشاوة عجيبة حجبتهم عنهم ؛ وكان ينظر بعين الدهش إلى مينائهم وسفائنهم ورحبة السوق التي يأوى إليها أبطالهم ، وإلى تلك القلاع المحدقة بالمدينة في أبهة وجلال ، ثم بلغا بيت الملك ، فقالت ميزفا .

« هاك يا أبتاه القصر الذي سألت أن أدلك عليه . وستلقى فيه رؤساءنا وأمرأنا أصحاب السمو يولمون ويقصفون ، فهلم فالقهم بقلب رابط وجأش ثابت ، فهم أشد الناس إعجاباً بشجاع جرىء ، وأكرمهم للاجئ غريب . وستكون الملكة أريتنا — سليلة الشرفاء الأجداد آباء ألكينوس الكبير ، وحفيدة المردة الجبارة من ذراري نبتيون<sup>(١)</sup> — أول من تلقى . إنها سيدة قومها ، وهي محبوبة مبهجة إلى درجة التقديس من زوجها وأبنائها ومن جميع الفياشين ملوك البحار ، الذين طالما تسككبوا حول موكبها في شوارع المدينة هاتفين داعين ... إنها تجلس وقوراً كإحدى ربات الأولب فتغمر بالمحبة أبناءها . وتقضى فيما يشجر بينهم ... لك الله يا سيدى إن قدر لك فاستطعت لقاءها ... إنها إذن تمنحك برهاً وتُسبغ عليك من بركاتها فتعود إلى بلادك راضياً ، وتلقى آلك وخلانك عزيزاً مكرماً ،

(١) آثرنا ألا نثبت هنا ما ذكر هومر من اسباب مخافة الإملال .

ثم غابت مينرفا عن الأنظار ، وغادرت أرض شيريا الحبيبية إلى  
مرثون - ومن ثمة رفقت رقة فكانت في أئدنا حيث أوت إلى  
قدسها الكريم إركتيوس .

ودخل أوديسيوس قصر الملك هيباً متخاذلاً ، غارقاً في بحر لحي  
من الوهم والفكر ، لأنه ما كاد يطأ بقدمه وصيد الباب الكبير حتى  
بهرد نداء شديد خاطف ينبعث من الداخل ، يزيد في شدته ولمعانه  
تلك الجدران المصفحة بالنحاس ، زينها إطار من اللازورد الأزرق ،  
وتلك الأبواب الهائلة من الذهب الخالص ، والعماد السامقة من الفضة  
المجملوة ، تكالها تيجان من النضار الثمين . وعلى اليمين .  
وعلى الشمال ربضت كلاب من ذهب ، صنعة قلما كان ، صناع  
السماء الخالد ، وخالد أبد الدهر كل ما صنعت يدا فلما كان . ثم تلى بعد  
ذلك ردهة فسيحة مزراية صُفّت إلى جدرانها كراسي كأنها عروش ،  
وربّت فوقها نمارق ذوات أفواف وشفوف . صنعة وصيفات القصر ،  
وهنا ... يولم الملك لأمرأ شيريا ... فيقف الولدان في جلايب من  
ذهب ، وفي يد كل شعلة تسكب الأضواء من فوق المذبح على جموع  
الطاعمين في كل ليلة . . . يا للقصر كأنه جنة الخلد ؟ ... إن خمسين  
من غيد شيريا الرعايب يخدمون الملك ثمة ، يطحنّ القمح وينخلن  
الديق ، ويندف الصوف ويعملن على النول ... مائسات كأفنان  
الدوح يداعبن النسيم الحلو ... حاذقات في الغزل والنسج كأحذق  
عما يكون بحارة شيريا في عنفوان العاصفة .. قد ثقن صناعتن عن  
مينرفا فافئتن وأبدعن إبداعا . ثم تكون البوابة الكبرى ، حيث

غردوس القصر اليانع ، وجنته دانية القطرف ، ذات الأسوار المنيعه  
المحيطة بهذه الأربعة الأفدنة ... للآلهة هذا الدوح قد بسق في جنباتها ،  
وللآلهة أشجار الرمان المثقلة بأثمارها مفتره عن شفاه الأقاح (١) ، وحمرة  
الحجل قد خضبت حدود التفاح والكثرى ، وسالت قطرات من  
الشهد في ثمرات التين ، وأججت أنواراً زاهية في أفنان الزيتون ..  
فاكهة شبيهة جنبية لا مقطوعة ولا ممنوعة شتاء وصيفاً ، يانعة أبدا .  
تداعها أنفاس زفير رب الصبأ فتشيع فيها النضج والنعاء ، كلما قطفت  
يد من جناها ثمرة نمت مكانها في الحال ثمرات ، فما تقل آخر الدهر  
قطوفها وما تنقص .

وخلال هذه الجنة المثمرة تمتد الكروم وذوات الأعناب والرطاب  
والعناقيد من نور ، بعضها يعصر فتقطر الخمر منه ، وبعضها يحف على  
سوقه فيكون زيباً جنياً ... ثم توشى أطراف الحديقة أحواض من  
الزهر المشذب المنسق ، وتنفجر في وسطها عينان نضاختان . يترقب  
الماء من إحداهما كاللجين في مسابيل هذا الروض ، وتندفق مياه الأخرى  
في نهر صغير ينساب إلى المدينة من تحت عتبة القصر ، فيرتوى  
الأهلون منه .

مملك كبير وآلاء وافرة أسبغتها الآلهة على ألكينوس المملك !



وقف أوديسيوس مسبوه اللب ، مشدوه الفسك ، يردد طرفه في  
هذا المنظر العكجيب ، ثم أفأى فحظر إلى الداخل ، حيث اجتمع زعماء

(١) زهر الرمان الأحمر .

المدينة وشيوخها يصبون الخمر باسم هر من رسول السماء تقدمةً وقراباناً  
 وصلاة لخاتم أرباب الأولمب قبل أن يأووا إلى مضاجعهم . ولم يتلبث  
 عندهم ، بل تقدم في خطى حثيثة برغم إعيائه ، وكانت ميزرفاً تحجبه  
 في ظلال كشيفة من أعين الملاء ، حتى وصل إلى حيث الملك والملكة ،  
 فكشيف عنه غطاؤه ، وجثا عند قدمي الملكة يبث شكاته بين دهش  
 الملكين الكريمين وشدة تحيرهما :

« أريتا يا ابنة ركتور صفي الآلهة ! أتوسل إليك وإلى الملك  
 العظيم ، وأضيفكم النبلاء ، من الله عليهم ، وضاعف لهم آلاءه ، وأنعم  
 على ذراريهم وألف بين قلوبهم وقلوب رعاياهم ، أتوسل إليك يا سليلة  
 المجد ضارعاً أن تعطيني عليّ ، وأن تُكسري مشواي ، وأن تعينيني على  
 الرحلة من فوري إلى بلادى التي أتحرق إليها شوقاً ، والتي فصلتني عنها  
 أهوال وأهوال ! » .

وساد سكون عميق وصمت ، وظل البطل المسكين جاثياً عند حافة  
 الموقد المتأجج ، حتى تفجرت شآبيب الرحمة والحنان في قلب إخنيوس .  
 ابن الملك البكر ، فراحت الكلمة الطيبة تتدفق من فمه الجميل العذب  
 في فصاحة وتبيان . وحكمة تقليدية ، وخير ، حيث قال :

« حاشا لمجذك أيها الملك أن تدع هذا الغريب جاثياً هكذا في غبار  
 الموقد وفي وهج النار ، وأن تترك أضيافك ينتظرون أمرك . . .  
 وما تُكلم منهم أحداً ! ألا نخذ بيد الغريب وأقعدّه مقعد الندى ، ومُرمي  
 النَّدمان يسقه من كأس جوف كبير الآلهة ، وحيب الغرباء وذوى



الحاجات ، والنادل يهيئ له عشاء مما تبقى من وليمة الليلة ، .

وما كاد الأمير يفرغ من قوله ، حتى أنقض الملك أوديسيوس وأجلسه على كرسى نفيم بجانب ولده الحبيب الحكيم لأوداماس... ثم أقبلت إحدى وصيفات القصر فصبت الماء على يديه من إبريق فضي ، ثم أحضرت مائدة حافلة بأشهى الأكل وأطيب اللذائذ والأشربات ، فأكل أوديسيوس وارتوى ؛ وأمر الملك كبير السقاة پونتونوس ، فخرج الراح وقدمها إلى الجميع حيث صبوها مقدمة لجوف رب الصواعق وكبير الآلهة ، وحيب الغرباء ، وحمى ذوى الحاجات ، ثم شربوا بعد ذلك حتى رووا .

وقال الملك : « أيها الرؤساء والشيوخ الفياشيون كلمة عفوَ الخاطر ، فاسمعوا وعوا . . . لقد طعمتم جميعاً وستفردون إلى مضاجعكم ، ثم نجتمع عند مطلع الفجر ، نحن ومن لم يحضر من نواب الأمة الأجلاء ، فننظر في شأن هذا الالاجيء الغريب ، بعد أن نضحى الآلهة ... إنه يطلب أن يعود في حمايتنا إلى وطنه كيما يصل سالماً غانماً من غير أن يمسه أذى ، إلا أن تكون ربات الأقدار قد قضت عليه أمراً ، وإلا أن يكون من أرباب السماء الخالدين ... لقد وصلت بيننا وبين الآلهة وشأج القرني ، وطالما غشيت مجالسنا وشاركت في ولائنا وهي تبقى على محبتنا ، فلا تمس بأذى رجلا منا يضرب في الأرض ،

وليس ما بيننا وبينها أقل مما بينها وبين السيكلوس (١) ، أو المردة الجبابرة ، وفي ذلك فخارنا وهو آية مجدنا .

ونهض أوديسيوس الحكيم فقال : « غنغراً غنغراً أيها الملك ! ما أنا في الآلهة ؟ أين لي خالقها السوي » ، وكيانها الساموي ؟ بل أنا شقي من أبناء هذه الغبراء ، أثقلت كاهله أحمال هائلة من الكوارث والآلام ، حتى لا يعرف الناس من شقي شقاءه ، ولا من تحمل مصائبه وأرزاءه .. بلايا صديتها على رأسه الآلهة فصبر وأنا ب.. أوه ! أبداً لا أنتهي إذا سردت عليكم طرفاً يسيراً منها ! ولكن لاداعي الآن ... أرجوكم ... أتوسل إليكم ... دعوني أتبلغ بهذه اللقيات في هذه اللحمة الخاملة من الراحة التي لم أنعم بمثلها منذ بعيد . لشد ما يصرخ الجوع في أذن الجوعان ، وشد ما يعذبه السطوي ! إنه يلح عليه بكل صنوف الألم حتى ينسيه آلامه وأشجانه . إن له لشهية عالية الصخب تطلب العون في مجوار وجنون ، حتى ليضيع في ضجيجها هتاف جميع الآلام ، إلى أن تكتمني . عفواً أيها السادة ! إني أفتأ أضرع إليكم أن تيسروا لي عوداً أحمد ، وأوبة سالمة ، بعد طول العناء . والشقاء الذي ليس بعده شقاء ؛ إنه لا أحب إلى من أن أودع الحياة بعد نظرة واحدة أنزودها من أهلي ووطني .

(١) الكلوبس أو السكيلوبس كمنطقها اليوناني مارد بين واحدة .

وتأثر القوم من أجله فأثنوا عليه ، وانفقت آراؤهم على معاونته حتى يعود إلى بلاده ويلقى ذويه ، ثم نهضوا فصبوا خمر الصلاة باسم الآلهة ، وشربوا نخب رب الدار ، ثم تفرقوا إلى منازلهم ؛ إلا أوديسيوس ، فقد ظل جالساً ساهماً واجماً ، كما ظل الممسكان إلى جانبه ساهمين واجميين ، والشندل فيما بين ذلك يحملون أطباق المائدة وأكوابها ، حتى إذا فرغوا أخذت الممسكة تتحدث إلى أوديسيوس ، وقد لفت نظرها هذا الثوب الفضفاض الذي كان يلتفع به :

« والآن جاءت نوبتي في التحدث إليك أيها الغريب الكريم ، فمن أنت ؟ ومن أين أقبلت ؟ وأنى لك هذا الصدر وذاك الدثار ؟ ألسنت قد قلت إنك غريب نازح أفلتتلك المنايا في لجج البحار ؟ .

وقال أوديسيوس يجيب أريتا :

« أيتها الملكة ! قد لا أفرغ من الحديث إذا حاولت أن أسرد قصتي بحذافيرها ! بل ليس أشقّ عليّ من ذلك ، فقد كرنتي الآلهة بكل أنواع الهموم وصنوف الآلام ، بيد أنني ألمّ بمأساتي الحزنة في كلمات فأقول : « في أوجيجيا - إحدى الجزائر القاصية التي لم تظاها قبلي قدم بشر ولم يخطر بها إله - تقيم عروس الماء المفتان - كليسو - البارة الرائعة الصانع ، ابنة أطلس الجبار التي قدّر على أن أكون أول لاجئ إلى جزيرتها بعد أن ساط جوف صواعقه على سفيتي فشطرها وأغرق كل رجالي ، وظللت أنا متشبثاً بالسارية ليالي وأياما ، حتى دفعنتي المقادير في الليلة العاشرة إلى ساحل الجزيرة حيث آوتني كليسو

الجميلة الريانة ، وأنقذتني من موتة أكيدة ، وأطعمتني وأكرمت مشواي  
 — ثم عرضت أن تهبنى الحياة الخالدة والشباب الأبدى ، لولا أنني  
 تأييت ... ثم أقمت عندها سبع سنوات لم يرقأ طولها دمعى الذى  
 فضحت به أثوابى وما خلعت على من دثار ... وفى الثامنة  
 أرسل إليها جوف كبير الآلهة من يأمرها بإطلاق سراحي ، فأجرت  
 على رمث زودته بالأطياب والأذخار ، والأشربات والآكال ؛ ثم  
 أرسلت بين يديّ ريحاً رخاء ما انفكت تجرى بي فى عباب من بعده  
 عباب ، طيلة سبعة عشر يوماً ... وفى الثامن عشر لاحت قمم جبالكم  
 الشّم خفق قلبى فرحاً ... بيد أنه كان أملاً خسبياً لم يطل أمده ...  
 فقد أبى نبتيون الجبار إلا أن يقف بسبيلى ، وإلا أن يرسل ريحاً  
 معاكسة تثير الموج وتهيج اللج ، وتمزق ما التأم منى ومن فلكى الصغير  
 — الذى كان كل أمله ... ولم يعد بد من أن أ كافح الماء ، وأذرع  
 اليم بالسباحة ، حتى تضافرت الريح والموج ، فخذفانى إلى ساحلكم  
 ذى الثوى ... ولم أحتمل صدمة الصخور ، فنضحنى السيل الرابنى  
 إلى الأعماق كرة ثانية ... وشرعت أ كافح مرة أخرى ، حتى نثرتنى  
 مَرَجَة مَزْبُدة فى نهرٍ وديع متطامن ... فسبحت إلى إحدى عُدوتيه ،  
 واستلقيت على الشاطئ ، خفيق الأحشاء موهون القوى ... وأقبل  
 الليل فتهالك على نفسى إلى دَغيلة<sup>(١)</sup> مهدتها بعساليج وشيء من القشر  
 وفروع الشجر ، ونمت ليلاً طويلاً وضجوة متعبة وظهيرة كلها  
 نهب وإعياء ... ثم أيقظتنى صيحات قريبة مُرِنّة ، فإذا ابنتكم

الأميرة الحبيبة الحسان في ررب من أترابها يتلاعبن كربات الأولمب على رمال الشاطىء... وجثوت تحت قدميها ، ومازلت بها أتملق شبابها الغض بدعوات معسولات ، وأثير نخوة صباها الفينان حتى أمرت لي بطلعام شهى وخمر معتقة ، وأشارت إلى منعطف فتوجهت إليه فغسلت ما على جسمى من خبث ، ثم منحتنى هذا الصدر وذاك الدثار . . .

تلك قصتى أسردها عن قلب محزون... ما فيها أثارة من مَين، (١)  
قال الملك : « لشد ما أخطأت بنيتى إذ لم تصحبك إلى هنا فى جملة حشمها مادمت قد رجوتها فى ذلك أول الأمر ، .

وقال أوديسيوس يخبئه : « إنها لم تخطئ أيها الملك الكريم وما عليها من ملام . لقد كاستنى فى مثل ذلك فأبيت لأنى خفت أن يسوءك ذلك منها ومنى ، ولأنى أعلم أن الناس فى كل مكان ظنانون قوالون ، .  
فقال الملك : « كلا أيها السيد ، إن صدرى لا يحمل مثل ذلك القلب السّزقى ... إن الرصانة والأناة أفضل ميزات الخلق الكريم ...  
تالله يا بنى إنى لأوثرك كولدى ، وبودى لو قبلت فبهرت إلى وتزوجت ابنتى ، وعشت معنا كواحد منا ... وإنى - إن رضيت - لمقطعك الأقطاع الشاسعة ومانحك المنزل الرحب . هذا وليس فى فياشيا كلها من يجسر أن يقسرك على شىء تأباه نفسك . معاذ الله يا بنى ... إن هذا إلا عرض ... مجرد عرض منى لما أنستته فىك من سمو ورجاحة ونبل ... فإن لم يرُك أن تفعل ، فإنى معديت لك أسباب عودتك

غداً ، وستنام ملء عينيك بينما يكون الفلك ينهب اليم ويطوى العباب ،  
مقسرماً فوق الموج بقوة الأذرع الفتية التي تعمل في المجاذيف حتى تصل  
إلى وطنك سالمأً غانماً ، بل حتى تصل إلى أبعده منه . ولو إلى ما وراء  
أيوبيا أبعده الجزائر منا ، حيث يحمل بحارتنا ردمنتوس (١) ذا الشعر  
الذهبي لزيارة تتيوس (٢) جبار الأرض ... إنهم يبجرون به إلى هذه  
الجزيرة ويعودون في يوم في غير عناء أو إعياء ، وستعرف سبب  
نخاري بسفائني وبحارتني الذين يذرعون البحار ويضربون أكبادها  
حين يبجرون بك .

وشاع البشر في أسارير أوديسيوس ذى التجاريد فقال : « أيها  
الآب الخالد ! لله محامدك العُسر ! أنجز يا مولاي يسير ذكرك في  
"بلاد ، وألق أهلي وأنشق نسمة من وطني » .

\*\*\*

هكذا تشقق الحديد بينهما ..

ثم أمرت الملسكة بعض وصيفات القصر فأعددن فراشاً وثيراً في  
الرواق ذى الأعمدة ، وهيانه بوسائد من دِمَقس (٣) ، وبثن فوقه  
الأرائك والحشايا ، وعلقن الستائر والأسجاف ، ووضعن  
البرانس (٤) واللحف ... وكانت كل منهن تحمل شعلة كبيرة تتوهج في  
حوانب القصر . حتى إذا فرغن من كل شيء ، دعون أوديسيوس

(١) ابن زيوس من زوجته أوربا وقاضى العدالة في الدار الآخرة « هيدز » .

(٢) أحد مرده طار طاروس ويطفى جسمه مساحة تسعة أفدنة .

(٣) حرير . (٤) البرانس معناه المعروف عرق فصيح .

في أدب وظرف أن ينهض لينام... وغفا بطل هيلاس ... وأسلم  
عينيه لأحلام سعيدة .

ونهض الملك والمملكة لينعما بطيب المنام .

## حفل أولمبي

وصبغت أورورا بمثل حمرة الخنجل وجنات المشرقين ، فاستيقظ  
الملك ، وهب أوديسيوس من نومه ؛ وذهبها إلى الشاطئ حيث تُلقي  
السفن من أسبها ... وهناك ... فوق مقعد حجري أملس ، جلسا يتحدثان ،  
بينما كانت مينرفا تدق البشائر في شوارع المدينة ، وقد بدت في صورة  
منادى الملك وطيلسانه ، تدعو سادات الفياشيين وشيوخهم إلى مجلس  
الملك للنظر في أمر هذا الغريب الكريم اللاجيء الذي حل عليه  
ضيغاً .. كأحد آلهة الأولمب ، برغم ضربه الطويل في عرض  
البحار ، .

وازدحم سادات المدينة وأشياخها في قاعة المجلس ، وكانوا  
يقتسمون في أوديسيوس نظرات الإعجاب والدهش ، وكيف لا ؟  
وهذي مينرفا قد أضفت على صدره الرحب وكتفيه العظيمتين ،  
وجسمه السامق ، رؤواءً علوياً من الآهة والجلال ، كان ينعكس  
وقاراً ورهبة في قلوب الفياشيين .  
ولما انتظم عقد القوم نهض ألكينوس الملك ، فقال : يا سادة

الفياشيين وشيوخ الأمة ، كلمة مرتجلة ، فاسمعوا ووعوا : لقد حل هذا الضيف الكريم الذى لا أذكر اسمه فى بيتى بعد أن شَرَّق فى آفاق العالم وغرَّب ؛ وإنه ليرجو أن تمدوا له يد المعونة فيعود أدراجه إلى بلاده فى كَنَفِكُمْ سالماً ، إذ طالما كان هذا دأبكم ، إكرام الضيف ، والإحسانُ إلى الغرباء اللاجئين ، وردُّهم إلى ديارهم مهما كانت سحيقة آمنين ... فالبيدارَ إذن . . هلموا إلى سفائنكم فتخيروا أحسنها حالا ، وأصلحها لمخالدة هذا البحر ، ولتتعدوا لها نخبة ذوى بأس من أصلب فتيانكم عوداً وأشدهم مراساً . . إثنين وخمسين عدداً من أيتع زهرات شباب هذه الأمة ، ثم تعالوا إلى " فإنى مولم لىكم تحية لهذا الضيف ، فلا يتأخر منكم أحد أبداً .. وليحضر معكم أحب المنشدين دمودوكوس الإلهى ، صاحب الألحان الخالدة ، والصوت السماوى الساحر ، فليشرف آذاننا بحلو أنعامه التى لا يقدر عليها إلا هو . . .

وانصرف الملك وفى إثره شيوخ الفياشيين ، وانطلق رسول إلى منزل المنشد دمودوكوس الإلهى .. واختيرت النخبة ذات البأس من شباب الملاحين وأعدت السفينة فى مكانها الأمين من اليم ، فنُصبت القلوع ونُشر الشراع وصُفِّت المجاديف . . ثم مضى الجميع إلى بيت الملك ، حيث كانت الجماهير الحاشدة تتكثف الأبهاء ، وتزدحم فى الدهاليز ، وتملأ الصالة الكبرى . . . وجيء بالذبايح ... فهذان ثوران كبيران ذوا خوار . . . وهذى اثنتا عشرة شاة سميئة ، وتلك أربعة



خنزير كناز<sup>(١)</sup> ما كادت تذبح وتنتزع أنيابها حتى أخذ الجميع فيما أقبلوا له من طعام وشراب .. ثم أقبل منادى الملك يقود المنشد الإلهي الأعمى ، رخيم الصوت ، صفي ربات الفنون ، اللأثى عدلان له بقسطين من خير ومن شر سواء ، فوهبته التطريب المعجز ، وسابته النور من عينيه العزيزتين ... وأقيم له عرشٌ مُمَرَّد في وسط الصالة الكبرى ، عند عمود مرمرى عظيم ، فاستوى عليه ، وأعليه پوتونوس بمكان قيثارته المعلقة فوق رأسه ، ووضع بين يديه سلة من طعام ومزة<sup>(٢)</sup> .

وما كادوا يفرغون من آكلهم حتى رقصت عرائس الفنون في فم المنشد المطرب . فأرسل غناء سحر ألبياب الناس ، ورتقى بها إلى أثير الآلهة في قبة السماء .. لقد تغنى هذه الأغنية التي تروى النزاع الذي شجر بين أخيل بن بليوس ، وبين أوديسيوس بن ليرتيس في أثناء الوليمة الإلهية ، والذي جاءت به نبوءة أبوللو ( في دلفوس ) حينما استوحاه أجاممنون عن يوم سقوط طروادة في أيدي اليونانيين .

وسكت المغنى ، ودفن أوديسيوس وجهه الساهم في ذيل ثوبه الأرجواني الفضفاض خشية أن يلاحظه أحد ... وطفق يبكي .. ويستخرط في البكاء ثم كشف عن جبينه ، وسقى الثرى كأساً من خمرٍ صلاةً للآلهة ... ثم عاد إلى بكائه حينما وصل المطرب غناؤه ، وكان يرسل عبراته في كسائه غير ملحوظ من أحد إلا من ألكينوس ، الذي

(١) كناز جمع مفردة مثله كثيرة الشحم واللحم .

(٢) خمر .

عز عليه ما رأى وما سمع من عبارات ضيفه ، ومن تهدياته فقال :  
 « حسينا ياسادة ما طعمنا وما سمعنا ... هلهوا جميعاً نشهد الضيف  
 الكريم بعض ألعابنا ليذكر في العالمين أن أن الفياشيين خير من يجرى  
 ومن يثب ، وأمر الناس في الملاكمة والمصارعة ا » .

ونفض الملك ، ونفض في إثره كل أضيافه ، وتقدم المنادى فقاد  
 دمودوكوس ، وقصد الجميع إلى ساحة السوق الكبرى ، حيث  
 احتشدت كواكب الشجمان والشباب اليافع من ذوى القوى والفتوة  
 والبأس الشديد ، أتوا من كل حدب لهذا الحفل المشهود ... وفي  
 وسط الحلبة وقف الأبطال آكرون وأوكيال وإلاتريوس ونوت  
 وپرميوس ؛ ثم وقف خلفهم الأبطال أخيال وأنايسين وإرتميوس  
 وپونت وپرور وأمفيال وتون ... ثم نهض حليف مارس المبوب  
 يوريالوس ، ثم نخر شباب الفياشيين نوبوليد ... وقف كل هؤلاء ...  
 ثم هب أبناء الملك الثلاثة ... لوداماس ولده البكر ، ثم هاليوس ،  
 ثم كيتون الأصغر . وشارك نفر من أولاء في سباق الجرى ، فأخذوا  
 أهبتهم ، ثم انطلقوا يثيرون التراب في إثر كيتون — ابن الملك —  
 الذى شآهم<sup>(١)</sup> جميعاً ، وتركهم يتعثرون وراءه كما تتعثر الثيران في إثر  
 البغال ... وتلقاهم النظارة بالهتاف العالى والتصفيق الشديد ، ثم كانت  
 المصارعة التى برز فيها يوريالوس على كل أقرانه ، كما برز أمفيال

في الوثب الطويل ، وألاتريوس في قذف القرص ... أما في الملاكمة فقد تفوق لوداما النبيل ابن ملك شيريا ، وكان فوزه مسك ختام المباريات . ثم نهض لوداماس فقال :

والآن أيها الأصدقاء نسأل ضيفنا الكريم عما إذا كان يحنق شيئاً يفخر به من هذه الألعاب ؟ ! إنه لا يزال غريص الشباب ، بادی الفتوة ، مكنتز العضلات ، عظيم منة الساقين والفخذين ، مفتول الساعدين وإن له لعنقاً أى عنق ... كل ذلك بالرغم من بدوات الضى وأمارات العناء ، وما حطم البحر من جسمه الخصب ، وهل أهلك لجسوم الرجال من جبال العباب ؟ ! .

وكانما راقى هذه السكيات البطل يويالوس فطلب إلى لوداماس أن يدعو الضيف إلى النزال ، فهض لوداماس ثانية وقال : « هلم أيها الضيف فأرنا هل تجيد من هذه الألعاب شيئاً ؟ ما استحق أن يعيش من لم يعمل بيديه ويسع بساقيه .. هلم ؟ حاول إذن ! فيم احترازك هكذا ؟ إننا لن نؤخر كقط ، فالسفينة معدة والملاحون على أهبة » . وقال أوديسيوس يجيبه : « أتخذني هزواً حين تدعوني للعب بالوداماس ؟ ! أى لهو وأى لعب وأنا نضو أسقام وطريح آلام ، لا أمل له إلا أن يعود إلى بلاده ، وفي ذلك ما يضرع للبلك وللناس » . وهب يويالوس يصيد<sup>(١)</sup> ويقول . « كلا أيها الصديق ... إنى عذيرك ، فسيماك لا تنبى عن رجل رياضى ، بل أكبر الظن أنك من رجال الأعمال أو حفظاة الخازن ... أو ... إن لم يحب حدسى ...

من أدلاء السفن في الثغور ؛ ومن يدري ؟ فقد تكون عياراً  
أو قرصاناً . . .

وعبس أوديسيوس وبسر ، وانتشرت فوق جبينه ظلمات من  
الهم ، وتهدج صوته فقال : « إنك لم تحسن كيف تتكلم أيها السيد ،  
وإنك لم تبال أن تطلق في لسانك هجس القول كأنني رجل  
لا اعتبار لي ... على أن الآلهة - جلت وعلت - لم يتفق أن منح  
أحداً من العالمين كل آلائها في وقت معاً . . بساطة الجسم ورجاحة  
العقل وقوة البيان :.. فقد يلوح لك هذا الرجل مهذباً محطاً في حين  
قد وهبه جوف بياناً متيناً ولساناً ميبناً حتى ليخلب ألباب سامعيه ،  
وحتى ليرتفع في نفوسهم إلى مصاف الآلهة ... وقد تنظر إلى ذاك  
الرجل كأنما تتدفق في عضلاته قوى السماء وهو لا يحسن أن يقول  
كلمة ... مثلك ... مثلك تماماً .. فلقد أوتيت بسطة في الجسم ، حتى  
لتوشك في ذلك أن تكون مثلاً تقديس عليه الآلهة ، إذا أرادت أن  
تخلق مارداً جباراً . ولكنك - وأسفاه - لم تؤت بياناً ولا حكمة !  
فلقد أثرت ثأري بكلماتك الغلاظ ... العجاف إلى - أيها السيد  
- كما ذكرت - لا أحسن من هذه الألعاب قليلاً ولا كثيراً . . .  
ولكنني كنت فتاهاً وفارس حلبتها أيام كنت شاباً يافعاً غض الإهاب  
ريان الشباب .. أما أنا الآن فواأسفاه ! إن حدثان الزمان لم  
يُبق مني . . . ولا على القذبل شباني في نقع الحروب وسُوح  
الوغي . . . وفي هذا البحر اللجج يغشاه موج من خلفه موج . . .  
كالجبال . . . بيد أنني . . . على الرغم مما ينقض ظهري من ويلات ،

سأثبت في سجل شجاعتكم قوتي ا فإن لما هرفت به من قول السوء  
لأنياً تعضني وتهشني .. أو أدلّ على قوتي وجبروتي .. .

وكان إلى جانبه قرص القذف الذي يستعمله أبطال الفياشيين في  
مبارياتهم فانقض عليه واحتمله بيده القوية المقتولة ثم دفعه دفعة هائلة  
كان لها هزيم وقصف . واستهولها بحارة الفياشيين الشجعان خفضوا  
رؤوسهم حتى استقرت بعيداً خلفهم ... وهنا بدت ميزفا بين الملأ  
في صورة أحدهم ، وهبت عجلالة تقيس مدى القذف ، ثم قالت :  
« ألا أيهذا الغريب الأعشى نفسه لا ينسكرك برهانك الدامغ القوي !  
إنه مدى لا يستطيع أحد غيرك ، فته على هؤلاء الفياشيين إن  
منهم من لا يستطيع أن يباريك في أى من هذه الألعاب فادعهم إليك  
وما عليك من بأس » . وشاعت الكبرياء في نفس أوديسيوس حين  
سمع هذا الهاتف من صميم الفياشيين يطريه ويثنى عليه ، وينصب من  
نفسه قاضياً له ، فقال ، وقد انكسرت حدة غضبه :

«هلوا أيها الشباب فاقذفوا هذه القذفة، أقذف أبعد منها وبقرص  
أكبر وزناً !! هلوا !! ليأت أقوى ملاكمكم فإن له ا وليقف أضرى  
مصارعكم فأنا أخوه اوليجر معى أسرع عدائكم فلن يلحق بغبارى ا  
لقد هجتم تاترى فهلوا !! إني أتحداكم جميعاً إلا لوداماس فإنه مضيق  
وصاحب قرأى ، وليس بي أن أنازل من أكرم مشواى فى دار غربى  
وليس بي من النزق ما يحملنى على شىء من ذلك ... أما غيره فأنا له ،  
وسيعلم مستأزلى منهما يكن مبلغ قواى .. . إنه ليس من ألعاب الناس  
ما يعجزنى ... فأنا رب القوس ، وطالما صرعت الألوف من الأعداء

تحت أسوار طروادة ، وأبدأ مارمى أحدهما كما رميت إلا  
 فيلستيتيس يوم حاز قصب سبشتمها دونى ... على أنه من ؟؟ إننى لم  
 أبلغ من الحول ما بلغ هرقل أو يوريتوس الذى نفس عليه أبوللو  
 مهارته فى الرماية وقتله ... هذا ... وإلى الرمح السمهرى ، فإنى أبلغ  
 به المدى الذى لا تبلغه سهامكم ! على أننى لا أطمع أن أبلغ خفتكم  
 ورشاقة حركاتكم - فلقد قاسيت من الأرزاء ما قصم ظهري ،  
 وصارعت موج هذا الخضم حتى حطمتى وأوهانى ، ولقيت من الطوى  
 ما برانى !!

وصمت الفياشيون ولم ينبسوا . ثم تكلم الملك فقال : . سمحرك  
 الآلهة أيهذا النازح الكريم لقد جلجلت فى آذاننا كلماتك فدلكت على  
 شجاعة وعنفوان ، وأخمت هذا الشاب الذى جرح عزتك وأهان  
 كبرياءك أمام الجميع ، ثم سكت عن تحديك ... ولكن تعال فانظر إلى  
 ما نريك من ضروب الخفة وفتون الرقص وفتون الغناء والسبق فى  
 العدو ، ومهارتنا حين نسوس الفلك فوق أعراف الموج ومُرغاء  
 الزبد ، كما تتحدث بهذا كله إلى أقرانك وبين ظهري قومك ، وتحكيه  
 لأطفالك . سمحرك الله أيها الغريب المكرم إنه لا غر لنا فى ميدان  
 الملاكمة والمصارعة ، بل غاية المتاع عندنا ثوب مُموسى ، وطعام ملون  
 وقينار مُمرة ، ورقصة خاطفة ، وحمام دافىء وفراش وثير ...  
 ... والآن ... هلموا أيها الفياشيون فالهوا أمام ضيفكم والعبوا ، وأروه  
 من رقصكم وشنفوا أذنيه من غنائكم ، فلسوف يتحدث بكل ذلك فى  
 الآفاق ، وحسبكم أن يذكر عنكم أنكم أمة من ركب البحار اهلوا ..

ليحضر أحدكم دمودوكوس الإلهي . . . يعزف قيثاره ويلاعب  
قلوبنا بغناؤه . . . اجلسوا عنه في بعض ردهات القصر . . .

وانطلق منادى الملك يبحث عن المطرب الإلهي ، وانطلق آخر يعد  
قيثاره ، ثم نهض تسعة فياصل<sup>(١)</sup> يمهدون أرض الملعب ويهيئون الحلقة  
ويوزحون الجماهير . . . وأقبل المنادى والمطرب يسعى بين يديه ،  
وجلس في وسط الحلقة حيث أحرق به الولدان اليوانع اليوانع يمسون  
ويرقصون بسيقان تحطف كمثل خطيف البرق، بين دهش أوديسيوس  
وشدة تعجبه ، والمطرب فيما بين ذلك يوقع لهم النغم الحلو ، والموسيقى  
العالية . . . وفرغوا من رقصهم ، فشرع المنشد يتغنى أسطورة مارس  
ومعشوقته الآثمة سيمتريا<sup>(٢)</sup>؛ إذ أغواها رب الحروب المستهتر بمعسول  
الكلام ومطلول الغرام فلانت له . . . وكان أبولو - إله الشمس - يرقبهما  
من مركبته الذهبية في علياء السماء ، فطار بالفصيححة المشؤومة إلى الزوج  
التعس . . . فلكان . . . الذي استطير وثار نأثره ، فراح يصنع  
أنشودة كبيرة كالشرك من حلق الحديد المفرغ الذي لا يقوى عليه  
أحد ، حتى إذا فرغ منها حملها إلى داره ودسها حول سريره ثم ألم  
بالمنعرج النجس حيث أوى مارس إلى فينوس - الزوجة الآثمة -  
وكان مارس يغالب في عينيه أخريات غنفة الضحى ، فليح فلكان  
يطوى الرحب إلى أرض لمنوس - أحب المدائن إلى قلب الإله  
الحداد . . . وطرب مارس أيما طرب . . . وأيقظ معشوقته قائلاً :  
« هلم فينوس . . . انهضى أيتها الحبيبة : لقد ذهب زوجك إلى لمنوس

(١) النيل الحكيم

(٢) فينوس . (الأسطورة في كتابنا أساطير الحب)

أرض البرابرة ... هلمى إلى البيت ... ، وهبت فينوس ... وانطلق  
 الأثميان إلى دار فلكان ، ولكن ... وأسفاه ! إنهما ما كادا  
 ينظر حان حتى انطرحت فوقهما الأنشوطة الهائلة ... وأمسكت بهما  
 إمساكا شديدا ... لم يحدا منه مفرا ، ولم يحدا منه مخلصا ... وكان  
 أبوللو يرقبهما كذلك ، وقد حدث فلكان بما رأى ... فعاد الإله  
 الحداد على عجل ، ولم يكن قد بلغ شطمان لمنوس بعد ... وكان قلبه  
 يدق ... لا ... بل كان قلبه يكاد ينخلع ؛ فوقف في البهو الكبير ثم  
 أرسل صيحة مدوية يستصرخ بها الآلهة : يا جوف العظيم ! يا آلهة  
 الخلود جميعاً ! أنظروا ! إشهدوا كيف تخون فينوس زوجها أو لمة ؟  
 لأنه محطهم موهون اذنب من ؟ إنها جريرة من أنسلوني وجاؤوا بي  
 إلى الحياة .

ولم يكديفرغ من صرخته حتى اجتمع في بيت جوف ذى الأرض  
 النحاسية جميع الآلهة ... وكان أول من أقبل نبتيون رب البحار ، ثم  
 تلاه هرمرسول الآلهة وصاحب القوس ، ثم أبوللو ... ثم غيرهم  
 وغيرهم ... ولم يحضر من ربات الأولب واحدة ! فقد احتجزهن  
 الخنجل عن شهود هذه الجريمة ! ثم هاهم الآلهة يقهقهون ويضحكون ...  
 ويتكلمون بهذا المنظر العجيب ، ويقول بعضهم لبعض : « يا للإثم  
 ساق إلى أوخم العراقب ! ويا للأعرج الأكسح ، يشأني <sup>(١)</sup> السسباق  
 المُجسَّتى ! لقد استطاع فلكان أن يمسك بتلابيب مارس ، الذى هو من  
 هو .. ! مارس ! أسرع العدائين ! إن عليه أن يؤدى الغرامة الفادحة

(١) يسأقه فيبقه .



للإله الأعرج ... . . . ، وتضاحك سكان السماء ، ولسكر نبتيون الذي ساءت هذه الحال خاطب فلسكان فقال : « هلم فلنكافئك هذه السلاسل والأغلال ، وإنى زعم لك ، كنفيل بأنه مؤد إليك كل ما تفرض عليه من غرم اء ... ورفض فلسكان أن يطلق فريسته ... » من يضمن ألا ينطلق مارس وهو لا يلوى على شيء ، غير عابئ بكل ما عساه أن يعبد ؟ . . . وقال رب البحار : « ليظمن قلبك يا فلنكافئك فوعزتي ووجلالتي لأن لم يف مارس لأنجزن أنا ، ولأؤدين عنه غرامته اء . فأجاب رب الحديد الصنعان : « إذن ، فلن يخيب رجاؤك ، ولن يرد طلبك اء ، وتقدم ففك الأغلال عن المجرمين الأثيمين ، وانطلق مارس إلى مأواه بأرض تراقية ، وانطلقت فينوس إلى مرتعها الجميل بأرض بافيا - حيث تلقاها ررب من أترابها بالبشر والترحاب ، فغسلنها ، وضمنها بالطيوب القدسية ، وأسبلن عليها شغوف الصبا وأردية الشباب .



وفرغ دو مودوكوس من إنشاده بين تأثر أوديسوس وتلفف البحارة الفياشيين ، ثم أوما الملك إلى أبنائه فوشبوا وسط الساحة ، وأخذوا يرقصون في خفة ، ويتقاذفون كرة غالية عن صنع بوليب ، فكان أحدهم يرسلها عالية حتى تدنو من السحب ، فيشب الآخر فيلتقطها وهو معلق في الهواء ، ثم يتقاذفها أحدهم بعد الآخر ، بين تهليل الفتيان وتصفيقهم الشديد . وسر أوديسوس بما أبداه أبناء الملك في الرقص ، وأثنى عليهم لأبهم ، ورجاه في الذي رجاه فيه من تهينة عودته ، فتوجه الملك إلى

زعماء شعبه وقال : « يازعماء الفياشين وأشياخ الأمة ! جدير بنا أن نكرم مشوى هذا الضيف الذى بدا لكم من وقاره وحكمته وأثير أرومته الشيء الكثير ؛ هلموا إذن ... إنكم اثنا عشر زعيماً ، وأنا الثالث عشر ... فليحضر كل منكم بكرة من الذهب وصداراً مفضوفاً فتكون من الجميع هدية سنية له ... أما يوريالوس فعليه هدية كذلك ، وعليه أن يعتذر بمافاه به . ووافق الكل على ما اقترح الملك ، وأرسلوا رسلهم يحضرون البدر والصدور ؛ ثم نهض يوريالوس يعتذر ويقدم لأوديسيوس سيفاً جرازاً<sup>(١)</sup> له مقبض من فضة ، وقراب مطعم بالعاج ؛ ودعاه أن تكلاؤه الآلهة بعين الرعاية حتى يرى وجهه وولده وبلاده ، بعد كل الذى احتمل من عناء ونصب . وتقبل أوديسيوس الهدية ، ودعا لصاحبه بحياة الأمن والسلم والرفاهية . ثم علق الجراز فوق كاهله الضخم .

ووصلت الهدايا الأخرى مع غروب الشمس ، فنهض أبناء الملك يتسلقونها . ويحملونها إلى داخل القصر ، حيث أمهم أريتا الملكة ... ونهض الملك فتوجه إلى الداخل كذلك ، وسأل الملكة أن تحضر ثوباً وأكسية ، وأن تعد صندوقاً يتسع لهدايا الزعماء ، وملوك البحر ، التى خلعوها على الضيف ؛ وقدم هو هديته ... كأسه الخاصة من الذهب الخالص ، المحلاة بأبهج الشطرف وأبهى التصاوير ... « ليذكرنى بها ، كلما أفرغ منها الخمر تقدمه الآلهة ، وسألها أن تعد للرجل حماماً ينعشه ، وأن تعطيه الأثواب والأكسية كما يتدثر بها .

وأمرت الملكة خدمها فأعددن الحمام ، وأحضرت هى ثوباً فضفاضاً

(١) سيفاً قصيراً والقراب بكسر الكاف العمد .

فوضعت فيه بدرَ الذهب وكأس الملك وسائر الهدايا ؛ ثم تلفتت إلى أوديسيوس فقالت له : « والآن أيها السيد هلم فغسلناق هذا الصندوق فهو لك ، لتسكون آمناً عليه إذا غفوت في السفينة . ولي أوديسيوس وأغلق الصندوق ثم ربطه بجبل طويل عقده تعقيداً . ثم دعت ربة البيت إلى حمامة ؛ ولله كم ألقت عيناه حين رأى الثوب الدياتي العظيم ، الذى لم يلبس مثله منذ فارق كليدسو... ثم اغتسل وتدثر ، وتضمخ بأحسن الطيوب ، وبرز كأحد آلهة الأولمب... وبيناهو يطوى الأبهاء إذا عوت جميل ذو عنة مهتف به... وإذا هى الأميرة الفينانة — نوزيكا — واقفة خلف عمود وهى تقول : « س . س . س... أيها الغريب النازح اذكرنى دائماً ، أنا ، أول من لقيك هنا !! » وتبسم أوديسيوس وقال : « نوزيكا !! أنت ؟ ابنة أكرم الملوك الكينوس ؟ ! لك الله ! ألا وحق جوف رب الصواعق لو سحت الأحلام ووصلت سالماً إلى بلادى لظلمت آخر الدهر أعبدك عبادة أيتها الجميلة العذراء كما أعبد الآلهة أربابى ! » . وبلغ مجلس الملك فاستوى إلى كرسى بجواره ، واجتمع الفياشيون مرة أخرى ، ودارت الأقداح ، وأجلس المطرب الأعمى الإلهى ، نخر شيرا ، قريباً من العرش ، وقدم إليه أوديسيوس جزءاً من شواء حمله أحد النمل ، فأقبل عليه المطرب حتى اغتذى . ثم توجه إليه أوديسيوس بالحديث فقال : « كم أنت جدير بالثناء يا دومودوكوس ، بل أنت أولى به من أكثر الناس ! ليت شعرى ! هل نقتضت موسيقاك عن عرائس الفنون ، أم أنت قد حذقتها على أبولو نفسه ؟ لقد أنشدت ما كان من جيش الآخيين كأنك كنت شاهد

عِيَانٍ ، أو كأن شاهد عيان قد قصه عليك ! أنشد العَمَشْرُكُ اتحدت  
 عن الحصان الهولة الذى صنعه إبيوس بإرشاد مينرفا ، والذى حمّله  
 أوديسيوس الجبار هو وصحبه إلى قلاع طروادة ، ثم اختبأ هو وهم  
 فيه ، فكانوا أول خراب إلى يوم !! تَفَنَّنَّ ! إني سوف أحمل اسمك  
 فأنشره فى الآفاق أيها المطرب المعجز الذى لا يباريه إلا عازف موسيقى  
 السماء ، أبوللو ! تقدر اسمه .

وتنزل أبوللو على لسان المنشد فراح يقص الوقائع الطروادية  
 منذ حرق اليونانيون معسكرهم ، وبعد إفلاهم من شيطان اليوم ،  
 وذلك الانقسام فى الرأى بين الطرواديين بسبب الحصان الهولة  
 أيقصمون ظهره أم يدقون عنقه أم يحفظونه تذكراً لهذه الحرب  
 ونصباً للآلهة ... على كل حال لقد نقلوا الحصان داخل أسوارهم  
 ليكون القاضى عليهم بمن فيه من هذه النخبة أولى القوة من أبطال  
 الإغريق ... وهكذا قدر عليهم فى الأزل أن يهدموا قريتهم بأيديهم ..  
 تغنى الشاعر المفسنُ بكل هذا ، وأثنى أيما ثناء على أوديسيوس الذى  
 كان يكر كأنه مارس ، ومنلوس الذى كان يفر كالصاعقة ، وعلى بقية  
 الأبطال الصناديد الذين فازوا بالنصر فى ظل مينرفا ربة الحكمة .  
 وكان أوديسيوس ينصت إلى غناء المطرب وإنشاده ، ودموعه تنحدر  
 غزيرة على خديه ، والآهات العميقة تشق صدره شقاً ... كأنها آهات  
 تلك الأم الرؤوم التى وقعت فوق جثمان زوجها الباسل تبكيه وتنعيه ،  
 وقد سقط فى الحومة يدفع عن مدينته أعداءها ، وقد وقف من  
 خلفها بناؤها خضراً يتأذى كأفراخ القطا .. ثم يقبل الأعداء فيخمدون

أنفاس هذه الأم بضربة لازبة ، فتنظر مرة إلى زوجها القليل ، ومرتين إلى أبنائها التعساء ! كذاك كان أوديسيوس ، وكذاك كان يخفى دموعه في طرف ردائه فلا يراها أحد إلا ألكينوس الملك الجالس قريبا منه . وقال الملك متحدثا إلى رعاياه : « أيها الزعماء والأشياخ الفياشيون ، أولى للمشهد ثم أولى أن يفرغ من إنشاده ، فلقد تصدع قلب ضيفك ووهنت روحه مما يسمع من القصص الحزين ! لقد أحببنا فيه أختا ، ووهبنا له محبتنا وودنا وصافي أخوتنا لا ليحزن أو يأسى .. والآن ! هل يسمح ضيفنا فيذكر لنا اسمه الذي يعرفه به آله ويدعونه به ؟ لقد كنتم هذا عنا ، فهل ولد أحد ولم يحمل اسما ؟ من أنت أيها العزيز ، وما بلادك ؟ وإلى أين تحملك سفينتي ويبحر بك رجالى ؟ لقد منحنا نبتيون — رب البحار — الأمان في ذلك اليم وذل لنا غواشيه ، ولكنه ليس أشق عليه من أن تحمل سفننا أغرابا مثلك لا نعرفهم ، فنبحر بهم إلى بلادهم ! ! إنه يغضب علينا ، وقد يفرق سفننا تشفيا وانتقاما حينما تعود أدراجها إلى بلادنا ، فتتهوى إلى الأعماق ثم يسجرها إلى جبل ناتي فوق العباب ، قَبَلِ شيريا ! تكلم أيها السيد ! أصدقنا ! من أنت ؟ ومن أى البلاد قدمت ؟ وأين ضربت بطون الركائب ؟ وأى الأمصار شاهدت ؟ وماذا يفجر هذا الأسى في أعماقك كلما سمعت عن جنود الآخيين ، وكلما ترددت في أذنيك أغنيات طرواده ؟ إن الآلهة تحيك من حاضر المرء طيلسان الهموم لغده ! أقتيل أبوك ثمة ؟ أم صرّ ع أخوك تحت أسوارها ؟ أم قصى جموك في ساحاتها ؟

أم أودى أصدقاءك أحباء في حليتها، كنت تعدهم كبعض أهلك  
أو أعز من أهلك؟ تكلم ، .

### في أرض المردة (السيطوس)

وشرع أوديسيوس يجيب عما تسأل عنه الملك فقال : «أيها الملك  
تعالى جدك ، كشد ما يطرب ما تغني هذا المنشد غناء الآلهة أو لقل  
ما تعدل الدنيا بأسرها هذا المجلس الشادي ذا الأضياف والآكال  
والأشربات! على أنني مجيئك على ما بدهك من دموعى وهموعى، وما لقيت  
وما سوف ألقى بما قسم لي من أشجان وأحزان الإذن فاعرف اسم ضيفك،  
نسر يد الذى لا يجهل اسمه أحد .. ضيفك اللائد بكرمك ، المستدرى  
نحك ، المتشبت بك ليصل في ظلك إلى بلاده مهما تقاصت ومهما نأت ..  
نأ أيها الملك .. أوديسيوس .. أجل .. هو أنا أوديسيوس ذو الذكر ،  
المعروف فى السموات بالدهاء والمكر .. ابن ليرتيس رب إيثاكا ،  
وملك نوريوس ذى الشعاف السامقة ، والجزائر الآلهة حول ساموس .  
ودلخيوم وزاستتوس ، أم الجزائر التى تصافح تباشير الصباح بكل روضة  
فيحاء وخميلة كفساء ، وجنات ذوات شجر وثمر . صبغاً لأبنائها الأوفياء .  
هناك .. حيث احتجزتني عروس الماء كليسو فى كهفها ، وراودتني لأكون  
بعلمها . وهناك .. حيث أغرتني سيرس هى الأخرى ، سيرس صاحبة  
حزيرة إيايا .. التى حاولت أن تتخذ منى خليلاً فأبيت ، ولم أقبل أن  
أخفى بأهلى ووطنى ، ولو أصبحت زوجاً لإحدى الربات الخالدات ..

ولكن لا ، هلم قبل كل شيء أقص عليك من أنباء رحلتي منذ بارحت  
إليوم ؛ و لا دَعُ ما قبل ذلك فهو معلوم مشهور :

« أقلعت بنا الفلك إلى بلد السيكون (إزماروس<sup>(١)</sup>) ، فبدأ لي أن

أزيد في ثروة رجالي وما فازوا به من أسلاب طر وادة ، فأشرت عليهم  
بفتح المدينة واغتنام ما فيها من كنوز وأذخار ، وسرعان ما تم لنا  
ذلك ، فقتلنا العسكر وملكنا القرية ، ووزعت السَّجِي والأسلاب  
على جنودي ، ثم أشرت عليهم بالرحيل فَعَصَوْا أمرى ، وَعَثَوْا في  
المدينة مفسدين ، وعاقروا من الخمر ، وعقروا من الشاء ما أذهلهم عن  
انفسهم ، وأتاح لأعدائهم لم الشعث ، ففجأونا بجيش عرمرم منهم ومن  
جيرانهم ، وناضلونا عن مدينتهم فأوقعوا بنا ، ولم يغننا أنا قاتلناهم حتى  
مطلع فجر اليوم التالى ، بل ظل فرسانهم الصناديد يكرون ويفرون ،  
حتى قذفوا بنا في البحر ، فوقفنا في سفائننا تناوشهم رماحنا ... وصمدنا  
لهم حتى توارت الشمس بالحجاب فانسحبنا نجر أذيال الهزيمة والحزى ،  
بعد إذ انتزع السيكون نخار النصر . وعدت إلى الجند .: فوأسفاه !...  
لقد افتقدت ستة من رجال كل سفينة ... سقطوا في المعركة الخاسرة !

وأجننا الليل ، فجلسنا نتذاكر أسماء القتلى ؛ وما كدنا نفعلى حتى سخر  
علينا جوف رب السحاب الثقال - ريحاً صرصر أعاتية أثار البر والبحر ،  
وعصفت بمرأ كبتنا فأطاحت بقلاعها ومزقت شراعها ، ففزعنا إلى  
المجازيف وأعملنا السواعد ، مستقتلين مستمتين ، حتى نجونا بعد لآى

(١) على الشاطئ الفمالي لبحر إيجه .

إلى البر ، حيث تلبثنا ليلتين طويلتين في أين<sup>(١)</sup> ، وشكاةٍ وشقاء ، نصلح القلوع ونرتق الشراع ... وفي صباح اليوم الثالث تطامن البحر ونام هائجه ، فبادرنا إلى الفلك وأفعلننا باسم الآلهة مجراها ومرساها . وما كدنا نلبح شيطان ماليا ، حتى هبت زوبعة عنيفة تلاعبت بنا ، وحملتنا إلى جزيرة سييرا ... وطفقتنا بعدها نذر العُباب تسعة أيام أخرى . حتى بلغنا بلاد (لوتوفاجي) ، هذا الشعب الغريب الذي يقتات بالفاكهة فحسب ، من دون ما تنبت الأرض وما يدب عليها ... ورسمه نائمة ، وأُهرع الملاحون إلى البر فاستراحوا وسمروا ، ثم تخيرت اثنين من أوثورجالي ، وجعلت عليهما ثالثاً رئيساً ووجهتهم إلى سكان هذه الأرض ليتعرفوا أحوالهم ، فاختلطوا بهم ، وقابلهم اللوتوفاجي باليشر والترحاب ؛ ثم عرضوا عليهم من ثمر اللوتس العجيب ، الذي ينسى آكله ما سلف من حياته ، وَيَنْبَتُ ما بينه وبين وطئه من وشيجة فما يفكر فيه ، وإذا فُكر فيه فما يؤثر أن يرتد إليه ، بل يصبح كل معناة أن يأكل ويأكل ويأكل من هذا اللوتس العجيب ، وأن يعيش أبد الدهر بين أولئك اللوتوفاجي السحراء ! .. وتنهضت عودة رجالي ، بيد أنهم لم يرجعوا ، فاضطرت أن أذهب بنفسى إلى حيث سُحِرُوا ، فحملتهم قسراً إلى الشاطيء بين العويل والضجيج . وقذفت كلا منهم في قرة مغلولا مكبلا مشدود الوثاق ، ثم أمرت الملاحين فأبحروا على عجل قبل أن يأكل بعضهم من اللوتس الملعون فيضلوا ضلالهم وينسوا أوطانهم ، ويظلوا في هذه الأرض جائعين .

(١) الأين الإعياء والتعب .



« وما عتَمْنَا أن وصلنا إلى أرض المردة الجبابرة - السيكلوبس -  
الطغاة العتاة ، الذين لا يخضعون لشريعة ، ولا يأمرون بقانون ،  
الذين تؤتى أرضهم أكلها رغداً من غير كد ولا عناء ... حبياً  
وأباً (١) ، وحدائق غلباً وقضياً وعنباً ، تُسقى مما يفيض عليها جوف من  
مائه المعين ... يعيشون فوضى ، لا تربطهم رابطة ، ولا يقوم بينهم  
نظام ؛ يأوون إلى كهوف موحشة ، وغير ان سحيقة ، في قُلال الجبال  
وأحيادها ... يُعنى كل منهم بنفسه وزوجه وأولاده وقطعانه ،  
ولا يآبه للباقيين ، وتلقاء أرضهم توجد جزيرة معشبة أريضة (٢) شجراً  
فيها من الماعز السائم قطعان لا حصر لها ، ولسكنها مع ذلك بهما (٣)  
مضلة ، لم تطأها فيما عبر قدم إنسان ، ولم يُرَش إلى حيوانها سهم صائد ،  
لأن السيكلوبس لم يحاولوا أن يركبوا البحر مطلقاً ، ولم يعرفوا طوال  
حياتهم هذه الجوارى المنشئات فيه كالأعلام . لذلك سلبت الجزيرة  
بما فيها من خير ، وتكاثرت قطعانها حتى امتلأت بها مروجها الخضراء  
السندسية ... وثمة ، في جون هادى جميل ، ألقينا مراسينا ، ونزلنا  
من سفائننا ، في ظلام الليل الدامس ، وفي حراسة الآلهة ، بعد  
إذ ارتطمنا بسيف البحر ... ثم نمنا على الشاطئ حتى مطلع الفجر ؛  
وأشرقت أورورا تنضرب بالورد مشرق الأفق ، فنهضنا بحجوب الجزيرة ،  
وتشفياً ظلال الحور ، ونرى عرائس الماء ترعى الماعز ، فبادرنا إلى  
سفننا ، وأحضرنا الحراب والأقواس ، ثم تفرقنا ثلاث فرق ،  
وشرعنا نصيد من هذا الحيوان ، فاجتمع لنا منه الشيء الكثير ، ونال

(١) الأب السكلا والمرعى . وعلبا جمع غلباء أى متكافئة وقضيا حدائق أشجارها  
طويلة . مبطوة . (٢) أريضة أى زكية خصبة (٣) مضلة لا يهتدى فيها .

كل من رجال سفائننا الإثنتي عشرة أسع أعنُز ، بعد أن تخيرت عشراً  
لنفسى ؛ ولبتنا يومنا هذا نغتذى بكل شواء حنيد<sup>(١)</sup> ، ونكرع كل  
كأس روية ، في غير تحمة ولا شجى<sup>(٢)</sup> ... وللآلهة تلك الخمر السلاف  
السيكونية التي افترعناها من زقاق أزماروس ثم نظرنا ناحية  
الغرب ، فمراعنا إلا دخان كفيف يَصاعد في الأرض القريبة ،  
ورُغاء وضوضاء كالرعد تنتشر في جنباتها ، وإذا هو لواء السيكلوبس  
المردة ينتشرون في الأرجاء ، وأمامهم قطعانهم من الشاء والأنعام ..  
أعداد لا حصر لها ... عليها إذا عدُّ الحصى يتخلف !

ونمنا ليلتنا مُروِّعين ، حتى إذا بزغت أورورا نهضنا واحتشدنا  
في صعيد واحد ، ثم قمت في رجالي خطيباً . فقلت : « أيها الإخوان !  
لتبق غالبيتكم في هذه الجزيرة ، فإنى ذاهب في نفر منكم نرود هذه  
الأرض ، ونعرف من أنباء أهلها ، ونعلم من أحوالهم ، ونرى هل  
هم ، قوم ظلم وضيم ونضال أم هم رببِّيُّون<sup>(٣)</sup> يهشون للسكرات ،  
ويختبون للآلهة ؟ ،

« وأقلعت في نخبة من رجالي فوصلنا طرفاً من الجزيرة ناتئاً في  
البحر ، فوقه قلاع مشرفة عليه ، فهبطنا فيه ، وذهبنا نروده ، حتى انتهينا  
إلى كهف عظيم ضارب في الصخر ، وقد نما الغار الجميل عالي باباه الضخم ..  
ودخلنا ... وأثار دهشنا هذه الحظيرة الكبيرة في وسط الكهف ، تتسع  
لقطعان لا عدد لها من الأنعام والأغنام والماعز ، ثم هذا الغناء العظيم  
المحدق بها يفصله عنها سور عتيد من الحجر الصلد ، مُتَرَسَّسٌ بمجدوع الحور

(١) حنيد أى يقض دهنه من حسن نصجه .

(٢) الشجى هو الغصص بالشراب . (٣) أناس .

والسنديان ؛ ولقد عرفنا فيما بعد أن صاحب هذه المغارة مارد جبار من أراذل السيكلوبس ، لصق بهذا الطرف من الجزيرة يعسف ويظلم ويملؤه بغيا وعدواناً .. ثم هو إلى الجان والشياطين أقرب منه إلى أى خلق آخر ، فوجهه مر بد عبوس أبداً، وهو إلى ذلك هولة تحسبه إذ تراه قطعة من الصخر نحت منها ناطور<sup>(١)</sup> فوق ناصية الجبل ..،. وتو قلنا<sup>(٢)</sup> وكان معى زق من خمر معتقة مما أعطانيه مارون بن إيفانت ، قس فوبوس، رب إزماروس، لقاء ما أبقينا عليه وعلى زوجه وأولاده يوم غزوتنا لقريته . . . ياله من كاهن سمح طيب القلب ؟ ! لقد نفحني بأكرم اللشمى<sup>(٣)</sup> وأجزل الهبات ، وهل أنسى ما حبيت تلك البسدر السبع من الذهب الخالص، وذلك الدن من الفضة الغالية ، وأتلك الجرار الإثنتى عشرة من الخندريس الصرف التى تُشرب باسم الآلهة ؟ لقد كان يفديها بنفسه وماله ، فلم يكن يعرف نجبأها أحد غيره وزوجه وأمينه. لقد كانت كأس روية واحدة من هذه المدامة تمزج بعشرين ضعف من الماء القراح ، وهى مع ذلك سكر ولذة وروح علوى للشاربين؛ ثم كان معنا ركز<sup>(٤)</sup> به أكل كثير ، وكنا عدداً عديداً من الأبطال الصناديد، ولكننا مع ذلك كانت تعترينا رعدة ، وكان يشيع فى قلوبنا فرح ، أن يفجأنا هنا الجنى صاحب المكان ، الذى لا يخشى فينا شريعة ، ولا يرده عن أذانا قانون .. ثم تو قلنا كذلك ، فأشرفنا على مغارة سحيقة هى

(٢) تو قل . سعد فوق جبل

(١) الناطور تمثال لتخويف الطير

(٤) الركز (الخرج) بضم الراء ما يحمل فيه الزاد.

(٣) العطايا .

مقام السيكلوب ومنامته من غير ريب ؛ بيد أننا لم نجدده عندها ، فقلنا ربما انطلق بقطعانه يرهاها في المروج القريبة ورددنا الطرف في المغارة فرأينا مصافى كثيرة معلقة ينز الحصير <sup>(١)</sup> منها ههنا وههنا . فمرفنا أن السيكلوب يصنع اللبن من ألبان مواشيه، سيما وقد امتلأ المكان بيواط كثيرة مفعمة بالحصير والخيض <sup>(٢)</sup> وعلى مقربة منا شهدنا حظائر واسعة لصغار الشاء والحملان والماعز . وقد قسمت فرقا بحسب سننها وقد بدا لبعضنا أن نذهب بما ههنا لك من جبن وزبد ، وأن نستاق الحملان والجذعان <sup>(٣)</sup> إلى سفائتنا ، غير أنني - وأسفاه - تأيبت ، لأنني آثرت لقاء السيكلوب ، رجاء أن ينفذني من كنوزه ، ويسخ علي من آلائه ؛ ولذا ، جلسنا ريثما يعود ، وأكلنا من جبهه وزبده ، وأشعلنا ناراً نستدفئ ، ثم إذا هو يطوى المروج الأخضر بقطعانه ، وإذا على كاهله الرحب أثقال وأحمال من الحطب وفروع الشجر اليابس . حتى إذا كان لدى الباب ألقاها في بطش فاهتزت الأرض ودوى المكان ، وانهمس وصيد الكهف ، فانقذف الرعب في أفئدتنا ، فمرونا مدعورين صعيقين ، واختبأنا كالحفائش في زوايا المغارة وشقوقها .. أما هو فقد أدخل قطعانه ، واحتجز ذكراهما في الفناء الخارجي ، ثم أخذ في حلب الإناث في الرحبة الداخلية .. وتهض بعد ذلك فسد مدخل الكهف بحجر واحد كبير لو وضع على عربتين عظيمتين لم يستطع عشرون ثوراً ضخماً أن ترحز حه من مكانه .. وجلس يحلب النعاج والماعز ، وكلها فرغ من

(٢) اللبن الحض

(١) الماء يسقط من اللبن

(٣) جمع جذعة صغار الحرفان والبقر .. الخ ..

واحدة أرسلها إلى جدعانها ترضع ما تبقى في ضرعها . . . وكان يقسم  
 لبنه قسمين ، فيحتفظ بأحدهما لشرا به ، ويخض الآخر لبدنه وجبنه ؛  
 ثم فرغ من هذا كله وأضرم ناراً عظيمة ما كادت تلتب حتى رأنا  
 معلةين فوق نوى الكهف . فصاح بنا : « من هنا ؟ وى امن أنتم أيها  
 الغرباء ، ومن أى البلاد نزحتم وفيم خضم هذا العباب إلى هنا ؟  
 آفاقيون ؟ أم تجار ؟ أم قرصان تعيشون في بلاد الناس ؟ » وزلزلنا  
 زلزالاً عظيماً ، وكان صوته الأجش الحشن يلقي الرعب في قلوبنا  
 فتعتلج اعتلاجاً . . . ثم إنى جمعت ما تبقى من وعيى ، وما أبقى عليه  
 الروع والطلع من إدراكى ، فقلت أجيبه : « نحن إغريقيون أيها  
 العزيز وقد ذرعنا البحر اللجى شرقاً ومغرباً ، وتقاذفتنا فوقه كل ريح ،  
 منذ بارحنا اليوم التى فتحها الله علينا ، لأننا من عساكر أجامنون الملك  
 ابن أتريوس الكريم ، قاهر طروادة ، ومبيد الطرواديين . . .  
 وهانحن أولاء ، قد لذنا بك بعد طول النصب . فنضرع إليك أن تنق  
 علينا مما أفاء خوف عليك . وأن تردنا غانمين . . . فيما مولانا أكرم  
 مثوانا . فنحن الأغرأب فى كنف جوف أبدأ . وأيننا نول فإنه معنا »

وتجهم السيكلرب الجى وقال مغضياً مستهزئاً : « حسبك أيها الأخ  
 المغفل ماخوفت من جوف . فنحن السكلوبس لانبألى خوف . حامل  
 إيجيس (١) . ولا سكان السماء قاطبة . . . إنا أقوى منهم بكثير . وأنا  
 نفسى . لن آبه لأيمأ نذير من جوف كبير الأولمب . . . ولكن حدثنى

قبل كل شيء متى أَلقت سفينتكم مراسيها في أرضنا؟ وأين هي؟ أقرية أم قاصية من هنا؟ قل الحق ولا تحف عني شيئاً... وأجبتته في حيطه ورفق، وقد عرفت ما رمى إليه: «لقد نسف نبتيون رب البحار مركبنا في اليم نسفاً، وسلط عليها الزوابع فجرت بألواحها بعيداً. بعيداً من ههنا... ونجوت مع هذا النفر من رفاقي فقط إلى شاطئكم». ولم يندس السيكلوب الجبار بكلمة... بل أقبل نحونا، وانقض على رجالي كالصاعقة، ثم أمسك بأتنين منهم، وأرسلهما في الهواء، ثم ضرب بهما أرض الكهف ذات الثوى، فتهشم رأسهما، وانتثر المخ فوق الحجارة هنا... وهنا... وألقاهما بعد ذلك في البحر المتأجاج حتى نضجا... واستوى كالسبع الرئبال، وطفق ينهشهما... ولم يمض وقت طويل حتى أتى عليهما. غير مبق على عظمة واحدة، أما نحن فيما لآلهة السماء!.. لقد كان هذا المنظر الفاجع يعصف بنفوسنا، ولم نملك إلا أن نرفع الأكف فنبتهل إلى خوف أن ينجينا. وأن يرحمنا؛ ولم يكن لنا مع ذلك من أمل في نجاة!

وبعد أن أشبع الجبار نهمته من اللحم الأدمى الغريص. وبعد أن شرب من اللبن شرب الحليم<sup>(١)</sup>، انطرح بين قطعانه، وجعل يرسل في الكهف شخيراً من عجاً... وقد حدثتني نفسي أن أنقض عليه فأخوض في لَبَّته بجزازي<sup>(٢)</sup>، ولكن فكرة سوداء طامت برأسي، حينما نظرت إلى باب الكهف فأبصرت الحجر الضخم الذي لا يطيق أحد أن يزحزحه،

(١) الإبل الطامثة . (٢) السيف القصير . واللبة قرب الرقبة

وتذكرت الموتة الجاهلية المفزعة التي ستموتها إن فعلت .. فقتضت قنوطاً شديداً ، وأرسلت آهات الحسرة والندامة أنا وأصحابي ؛ وانتظرنا بقلوب فارغة تباشير الفجر ، ورأينا أورا الوردية ترسل أول أشعتها من الكورى الصغيرة ، فهب السكلوب إلى قطعانه ، وأخذني حلب إناتها ، وكلما فرغ من واحدة أرسلها إلى صغارها ترضع وتنخب ؛ ثم إنه قبض على اثنين من رجالي وفعل بهما كما فعل بصاحبينا أمس ، حتى إذا فرغ من إفطاره ، هب إلى الحجر فزحزحه في سهولته ويسر ، كأنما كان يرزح غطاء آنية . ثم استاق قطعانه ، وأعاد الحجر إلى مكانه ، ومضى يرعى بهمهمه ، وبقينا نحن ندعو ثبورا .. وفكرت ألف فكرة في وسيلة أتتقمها من هذا المارد الوحش ، وتوسلت بميزقا أن أستطيع ... وانفرت أسارى فجأة ، وأشروق وجهى بنور الأمل ... ذلك أننى أبصرت بجذع زيتون مشذب أعده الجنى ليكون عصا يهش بها على قطعانه ، فقلت في نفسى : « ولم لا يكون فى هذا الجذع خلاصنا ؟ » . ثم إنى أمرت رجالى ببرى أحد طرفيه ، وكان الجذع طويلا جدا ، يصلح سارية لسفينة كبيرة يعمل فيها عشرون بحارا ... فأقبلوا عليه ينتحتون ويبرون ، وأكبت أنا على هاية الطرف أحده ... ثم اتهمنا من عملنا وأخفينا الجذع تحت القش الكثير الملقى فى الكهف ، وجلسنا نتخير من بيننا أشجعنا وأكثرنا أيدا وقوة ، وأشدنا استعدادا لحمله وغرزه من طرفه المحدد فى عين السكلوب ... واتهمنا من ذلك إلى أربعة ، وكنت أنا خامسهم . ثم عاد الجنى فى موعده فأدخل قطعانه وأرجع الحجر إلى مكانه وجلس يحلب الإناث ويقسم اللبن ويمخضه ، ويرسل كل جذع إلى أمه ؛ ثم نهض إلينا فبطش

بائنين منا وتعشى بهما ، وقبل أن يستلقي على الأرض ليسترخ أفعمت  
كأساً كبيرة بما كان معنا من خمر مارون وتقدمت بها إليه وأنا أقول :  
« ألا أيها السكلوب ! هاك كأساً من الخمر إذا تحسيتها بعد أكلتك  
الهنية من اللحم البشري عرفت أى خمر فقدنا في سفينتنا المغرقة القدر  
كنت أحضرها تكريمة لك إذا أنت أكرمت مشوانا وأطلقت سراحننا  
وساعدتنا على العودة إلى وطننا سالمين ! ولكن ! أواه ! إن سورتك  
طامية أيها القاسي الجبار ، وإن أحداً من البشر لن يجسر على أن يقترب من  
جزيرتك بعد اليوم ! » . وأخذ الكأس فحباها عبأ ، وسر بها سروراً  
كبيراً ، ثم سأل أخرى فقال : « أيها الفتى ما اسمك ؟ أعطني كأساً أخرى  
وإني مشبك عليها . إن لدينا خمرأ صرفاً من أكرم ما تعصر العناقيد ،  
يسقيها جوف من شأبيه . ولكنها أبدأ لا تبلغ هذه الخمر البكر جودة »  
وأعطيته ثانية وثالثة ، وراح المجنون يشرب ويشرب ، ولما شهدت النشوة  
ترقص برأسه قلت له في ظرف : « أيها السيكلوب لقد تساءلت عن اسمي ؛  
ألا فاعلم أنه أوتيس <sup>(١)</sup> ، وبه اسمي في بلادى ! ولكنك وعدت أن  
تثبني على ما قدمت لك من خمر ؛ فإذا عساك مانحى ؟ » فاستهزأ  
السيكلوب وقال : اطمن يا صاح ! سأهب لك أن تسكون آخر من آكل  
من إخوانك ... هذا هو جزاؤك ! وتشاء وتشاء ؛ ثم انطرح وسط  
قطعانه يغط في نوم عميق . وكان يصعداً فاسه بقوة فتقذف من بلعومه

(١) أوتيس Outis معناها ( لا أحد ) ولم يستحسن مترجمو هومر ترجمتها ، لأنها  
قد تعنى ( ذو الأذنين الكبيرتين ) ولم يؤثر ترجمتها كذلك .



شوائب من خمر ، ممتزجة بقضيات من لحم بشرى ... . . . وقفزنا إلى  
 جزع الزيتون فوضعنا طرفه المحدد المبرى في الحجر المتأجج حتى تأجج  
 مثله ، وبكلمات قليلة أثرت النخوة في نفوس إخوانى حتى لا نخذلهم قوامهم .  
 ثم استعنت الآلهة فابتعثت فينا قواها السحرية ، واستجمعنا كل ما فينا  
 من مُننّة اليأس ، ووضعنا الطرف المشتعل في عين السيكلوب المتقلبة .  
 وحررنا الجذع وطفقت أنا أقلبه فيها من مكان علي ، كما يفعل السفّان  
 الصناع بمشقا به في خشب السنديان ... وانجس الدم من عين السيكلوب  
 العمياء ، وجحظ إنسانها كأنه عين حمئة من دم وعازل<sup>(١)</sup> ... وقصاراى :  
 لقد كنت كالحداد الماهر الذى يطفىء سلاحا محمى في ماء بارد !! ولتد  
 صرخ السيكلوب صرخة ردد أصداءها السكف ... ثم رددتها غيران  
 والجبال المجاورة ، وذعرنا نحن ، فلصقنا بالشقوق والزوايا ؛ وراح  
 الجنى الجبار يخبط في ظلام العمى بعد إذ اتزع الجذع المشتعل من عينه ،  
 وهرول كالجبل نحو الباب فوقف عنده ، وطفق يولول ويهتف وبصيح ،  
 ويدعو جميع إخوانه السيكلوبس كلاً باسمه . فاجتمعوا إليه من كل فج  
 عميق ... وقال قائلهم : « ماذا دهاك يا پوليفيم حتى ترونا هكذا في  
 ظلام الليل وحتى تقض مضاجعنا بصراخك النطيع ؟ هل خفست أن  
 يستأن أحد قطعانك ، أم خشيت أن يقتلك أحد بقوة أو غد ؟ ،  
 وقال پوليفيم وهو يتصدع : آه يا أعدقائى ! إنى أموت ولقد فتلى  
 أوتيس ! » فقال قائلهم : « إن كان أوتيس - الذى هو لا أحد -  
 قد ألحق بك أذى فما صنع بك هذا إلا جوف ؟ تملد يا صاح . وادع

أبانا نيتيور ليساعدك . يأتك من أعماق اليم » ثم تركوه وانصرفوا  
لشأنهم ، وضحكت أنا في سريري لاني استطعت أن أعي عليهم بهنا  
الاسم الملقق المفترى : وما برح پوليفيم يبكي و يُعْغول ويهزه الألام  
والأسى ، حتى زحزح الحجر الذي يسد الباب ، وجلس عنده ، ماداً  
ذراعيه لينع أحداً منا أن يفلت أو أن يذهب ببعض أنعامه ... إنه  
يحسبنا بئسها مثله !! . وجلسنا نعمل الفكرة بعد الفكرة ، ونرسم  
الخطط تلو الخطط انجاتنا ... حتى تاحت لي فكرة حسنة ، أيقنت  
أنها تفلتتا من هذا السجن السحيق إن كان شيء مستطيعاً أن يطلق  
سراحنا منه ، لقد فكرت وفكرت ، فبدأ لي أن لدى السيكلوب  
كباشاً كئنازاً<sup>(١)</sup> تستطيع أن تحملنا إذا ربطت كل منا تحت بطن واحد  
منا . لقد كانت الكباش سمينة حقاً ، ذات فراء كثة وقوة كبيرة .  
فقممت من فوري بجدلت من أغصان الصفصاف التي كان السيكلوب  
الشفيع ينام فوقها ، وجعلت من كل ثلاثة حبلا واحداً ، ثم ربطت كل  
رجل تحت بطن كبش كبير قوى جعلته بين كبشين لا يحملان أحداً ،  
بل يكونان وقاية للكبش الذي يحمل رجلا بينهما ... أما أنا فتعلقت  
بصوف الكبش الأخير ، وبقيت ساكناً صامتاً ، ومكثنا هكذا  
نتنظر الفجر المقدس الرهيب ، بعينون واكفة<sup>(٢)</sup> وقلوب واجفة<sup>(٣)</sup> .  
حتى بزغت أوروبورا فهورت الذكران كعادتها للرعى ، وبقيت الإناث  
لسكى تحلب ؛ وتهادت الكباش بالأثقال المعلقة تحتها وهي تكاد تنوء  
بها ، وكان السيكلوب لا يزال يُعْغول ويشكو بشه إلى غير سميع ، وكان

(١) سمانا كارا .

(٢) دامعة .

(٣) خائفة .

يلبس بيديه ظهور السكبات وهو لا يدري ماتحتها ، حتى إذا برز كبشى .  
زلزلت زلزالا ، وسمعته يقول له وهو يتحسسه : يا كبشى الحبيب  
مالك استأنيت هكذا وكنت دائماً سباقاً إلى المرعى على رأس القنطريون  
تقضم الكلاء الحلوى . . . سباقاً إلى الخديرة ذى الخريز تنهل من مائه  
السلسيل ؟ بل كنت سباقاً كذلك إلى مأواك هنا . . . فى كل مساء .  
ويحك ويحك يا كبشى الحبيب ! لقد أسبت لى وحزنت من أجلى .  
وشعرت بما دهمى صاحبك من التعس الرجيم أوتيس ، وأتباعه اللؤماء  
المفلوكين . . . أوتيس الذى سحرنى بخمره . . . ويل له ؟ إنه لن يفلت  
من الموت اليوم ! آه لو كان قلبك مثل قلبى ، وآه لو كان لى بصرك  
الحديد فيدلنى أين احتبأ أوتيس التّعس ! إذن كنت أحطم رأسه  
فوق هذا الصخر ، أوتيس الوغد . . . الذى اسمه لا أحد !! فهو  
لا يساوى شيئاً ؟ . . .

شم. أفلته المغفل فانطلق السكبش فى إثر رفاقه ، حتى إذا كنا بعيدين  
من الكهف ومن صاحبه ففرت من مكنتى ، وعدوت فأطلقت سراح  
رفاقى ، وسبقنا نخبة من أحسن النعاج إلى حيث سفينتنا المحتبئة فى الجون  
الهادى . . . فى ظلال الحور والسنديان . . . ثم أبحرنا من قورنا قوصلنا  
إلى إخواننا فى الجزيرة الأخرى ، الذين هنا وبقدر ما ذرفوا الدموع  
على ضحايا بوليفيم !! واعتزنا الإبحار فاستعد كل فى سفينته . وأقلعنا  
لا نلوى على شىء . حتى إذا كنا على مبلغ الصوت من الشاطئ .  
نهضت وجعلت أهتف بالسكلوب بوليفيم هكذا : بوليفيم ! لقد  
بؤت بما صنعت يداك ، وكان جزاؤك وفاقاً ، أيها النذل الخسيس !

لقد حسبت أنك تغتال رجال قائد لا سلطان له عليك ، ولا قدرة له على الانتقام منك ، فرحت تغتذى كالوحش المحمض ضيوفك الذين لجأوا إليك وتفتأوا ظلالك .. فاهناً الآن أيها الهولة بما حل بك ، وما كدت أصمت حتى ثارت ثائرته وغلت مراحله ، وانتزع صخراً كبيراً من شعاف الجبل ، وقذف به في قوة وعنفران ناحية الصوت . فهوى الصخر على مقربة منا ، وكاد يهشم سكان السفينة ؛ وقد انفرج البحر ، وانشطرت أمواجه ، وارتدت السفينة نحو الشاطئ حتى لمكادت أن تغوص في رماله وتتحطم على أواذيتها<sup>(١)</sup> ، لولا أن أمسكت بالسارية الكبرى وجعلت أذفع وأدفع حتى عادت السفينة إلى مكانها في البحر ... وابتعدنا قليلاً . . . وجاهد رجالى بمجاديفهم حتى كنا على مسافة هي ضعف المسافة الأولى ... وهنا ، حاولت أن أصيح بالسيكلوب مرة أخرى ، غدير أن إخوانى حالوا بينى وبين ذلك ، وسمعت بعضهم يقول : « ويلك أوديسيوس الم تهيج الجنى بكلماتك ، وقد كاد الحجر الذى قذفه إلينا يودى بنا جميعاً ويحطم سفينتنا على الشاطئ ؟ أما نحمد الآلهة التى أنقذتنا من ساعديه الجبارتين ، وهرو لو سمع ركزاً من أحدنا لطشمنا جميعاً قبل أن نغادر غاره ؟ » على أتى ما أصخت لهم ، ل هتفت بالمارد الجبار أقول : « أيها السيكلوب الطاغى ! إذا سألك أحد عن عمالك فقل له أعمانى أوديسيوس ان ليرتيس الإبتاكي ا ، وتأوه المارد حتى كاد يتصدع وقال : « ويلى منك لقد صدقت النبوءة ؟ وتحقق ما قال تلموس يوريميد النبي الذى شب بيننا وطالما تحدث إلينا

معشر السيكلوبس عما خبياً القضاء في صحف الغيب لنا : لقد قال لي إني سأفقد بصرى على يد رجل من البشر يدعى أوديسيوس ، فظلمت أنتظره ، وكنت أحسبه مخلوقاً طويلاً عظيم الجسم بادی القوة ... فإذا هو أنت أيها القزم - اللاشيء - الذى قهرتني أولاً بالخمر ثم أخذت بصرى وأطفأت النور من عيني ! أوه ... ولكن ... عد إلى يا أوديسيوس وحل على ضيفاً من جديد ، أكرم مشواك ... وأصل من أجلك لأبى . نبتيون ... الفخوري ، أن يمد لك البحر ، ويطامن من تحتك الموج حتى تصل إلى بلادك سالماً ... إنه وحده هو اللطيف . وليست قوة في الوجود غيره تستطيع أن تشفييني وترد على بصرى ! فقلت له : « بنفسى لو استطعت ففقدت بك من حالق إلى قرار جهنم فلا يقدر أحد على رد بصرك إليك - حتى ولا أبوك هذا ! » وغيظ السيكلوب وحسق ، ورفع كفيه إلى السماء يصرخ لأبيه هكذا : « أبتاه نبتيون المحيط بالأرض . اسمع دعائى ، يا صاحب الشعير اللازوردى ، إذا كنت حقاً أبى ، وإذا كنت حقاً تفخر بنوتى فاحرم هذا القزم المدعو أوديسيوس بن ليرتيس الإيثاكي من العود إلى بلاده ، إلا أن يكون هذا قضاء فى الأزل فأفم العقاب فى طريقه ، وشرده به طويلاً فى البحر ، وأغرق سفائنه ، وأقبر فى الأعماق أصحابه ، وأحوجه إلى ذل السءال وطلب المعونة من الناس ليدوه بمركب يعود عليه ؛ وإذا عاد فليلق الهمم والغم مقيمين ببابه ... آمين ! » ولبي نبتيون ، ورفع السيكلوب حجراً أضخم من الأول : وجعل يهوم به بكلتا يديه ، ثم قدفه قذفة هائلة ، فذهب يرتقى فوقنا ، وسقط وراءنا بمقربة من

من السكان ، فانشطر البحر فرقين كل فرق كالطود العظيم ، ثم انحسر الماء فجرت السفينة إلى الشاطئ مرة أخرى ، ولكنها هذه المرة أرسيت على الشاطئ الآخر الذي أرسيت عنده سفائنا الأخرى ، حيث أقام إخواننا يشهدون المعركة الهائلة ويجزعون . . ثم إننا نزلنا إلى البر . وفرقنا الأنصبات من نعاج السيكلوب بيننا . وكان من نصيبي ذلك الكيش المفدى الذى نجاني ، فذمته على رمال الشاطئ قرباناً لجوف المتعالى . . وأسفاه إن أكبر ظى أنه لم يقبل قربانى ، لأن أكثر سفائنا أغرقت فيما بعد . . . وأكلنا هنيئاً ، وشربنا مريئاً ، وانتظرنا مد البحر ، ولكنه استأنى علينا . فتمنا حتى نصرت أورورا جبين الشرق بالورد ، ونهضنا . . . ونشرنا الشراع وأصلحنا القلاع ، وأجرنا ، بقلوب واجفة ، ونفوس نال منها الهلع ، لائذين بالفرار .

## أوربوس يروى قصته

(أ) إيولوس وجعبة الرياح الأربع

(ب) فى جزيرة الجبارة

(ج) غرام سيرس

« وبلغنا جزيرة الأيولين حيث يحكم الملك إيولوس بن هبوتاس ، حبيب الآلهة . وهى جزيرة تلوح طافية فوق العباب بسورها النحاسى الهائل ، وشطآنها التى يتكسر فوقها الموج . ولقد زوج الملك أبناءه الستة من بناته الست ، وهو يقيم معهم فى قصره المنيف ، فى فيء وارف من حب الملكة ، وفى بلهتهنية<sup>(١)</sup> ورغد ، وعيش واسع مخفرج<sup>(٢)</sup> ، ونعمى

(١) حياة ناعمة سعيدة . (٢) واسع .

طائلة ، ولذائذ شتى ... يقضون وقتهم في لمو برى، ومرح . ويأوون  
إذا أجنهم الليل إلى سرر موضوعة<sup>(١)</sup> . ووزانى<sup>(٢)</sup> مبهوثة ... وأرائك  
من حرير

ولقد لقينا الملك بالبشر واليناس وأقما في كنفه شهرأ كاملاً ،  
ناعمين طاعمين ، ثم سألتني فقصصت عليه قصة (اليوم) وكيف سقطت  
في أيدينا . وما كان من إبحار أسطول الآخيين بعد ذلك ، وما تم من  
رحلتنا في ذلك العباب ضارين على غير هدى ... ثم إنى ضرعت إليه  
أن يعيدنى في خفارته إلى بلادى ، فأجاب سؤلى ، وأمدنى بكل ما يبسر  
رحلتى ، ثم تفضل فمشى معى إلى البحر ، حيث قدم إلى جعبة مصنوعة  
من جلد عجل كبير جسد<sup>(٣)</sup> ، خيل إلى أنه ذبح فى سن التاسعة ، وهى  
جعبة من صنع جوف سيد الأولمب ، حبس فيها عظيم الآلهة رياح العالم  
أجمع ، وأحكم رباطها بسلك فضي متين ، حتى لا يفلت منها نفس واحد  
إلا بإذن ... وانطلق الملك بعد أن أمر زفيروس - رب النسيم الخلو -  
فلاً شراعنا ، وهب بين أيدينا ... والأسفاه لقد كانت هباته اللطيفة  
الرخية عبثاً ، وضاعت فى غفلة من رجالى سدى ا فلقد جرت بنا الفلك  
آمنة مطمئنة طوال تسعة أيام بليا لها ، ثم بدت لنا شيطاناً إننا كنا نخفق  
قلوبنا فرحاً ، واستطعت أنا نفسى أن ألمح مواطى الأجزاء يوقدون  
النار فى شعاف<sup>(٤)</sup> الجبال ... بيد أنى كنت منهوكاً موهوناً من كثرة  
العمل ووعناء السفر ، وطول السهر والمراقبة ، فداعت عيني سنة من  
الكرى ، لأنى كنت أسهر على القيادة بنفسى طيلة الرحلة ، ولم أكن

(١) مدفوعة ومرصعة بالجواهر . (٢) وسائد وطاقس حريرية .

(٣) قوى لا يهوى ولا يميز . (٤) رؤوس الجبال .

آمن أحداً من رجالى على الاضطلاع بها خشية الوائى<sup>(١)</sup> ، ومخافة التأخير ... وبينما كنت نائماً ، لعب الوسواس فى صدور رجالى ، زاعمين أنى أحمل أذخاراً من الذهب والفضة أسبغها على<sup>٢</sup> إيولوس الملك ... قال قائلهم : « يا للآلهة ! أبدأ ماوطئت قدما أوديسيوس بلاد قوم حتى تهالكووا عليه فرحين معجبين مكبرين ا وهو اليوم يعود من طر وادة ومعه من مطرفها وسلسبها الجم الكثير ... أما نخر فوا أسفاه علينا ا لقد شاركناه تلك الرحلة المشؤمة ، وهانحن نرضى من العنيفة بالإياب ، ونعود منها صفر الأيدى ، لا أمامنا ولا ورائنا ا وها هو أيضاً قد فاز دوننا برفد ملك الرياح ، إيولوس العظيم . هلموا يارفاق ا البدار إلى هذه الجعبة ننظر ما احتوت من أصفر وأبيض ، وأعطيوات وهبات ... والسهسى<sup>(٢)</sup> ا ، وأقبل بعضهم على بعض ، وامتدت أيديهم إلى الجعبة فخلوا رباطها .. واحسرتاه ا لقد انظلمت الرياح الحبيسة ، وزجرت العواصف الموح فى كل صوب ، وطفقت تكسحنا فى شدة وعنف .. بعيداً ... من إيثاكا ا ولقد قفزت من غفوتى خائفاً مذعوراً .. حتى خيل لى أن طوفاناً قد غمرنا ا ... وظللت برهة فى ذهول ودكّش . وطفنت الأحران على قلبى ، ورائت الهموم على نفسى ، وفت<sup>٣</sup> اليأس فى عضدى .. ولسكنى لم أجد من الصبر بدأ : فتمحات الكارثة فى هدوء وصمت ، وعصبت رأسى بثوب شف<sup>٤</sup> ، وانبطحت فى قرنى .. وراحت العواصف تدفع الأسطول فى غير هوادة ، حتى بلغ شطآن الأيوليين مرة أخرى... وهناك بكى صبحى ... ولات حين

(١) القتور والبطء . (٢) هدايا .



بكاء ! وهبطنا الشاطي ، وكان همنا أن نرشف من ماء إيوليا العذب  
 رشفات ، ثم جلسنا نعد أكلة عجلى و نلتهمها ؛ وتوجهت أنا و صديق إلى  
 قصر الملك ثانية . . وقد كان يجلس لولية كبيرة هو و الملكة الحسناء  
 المصون ، و أبناءؤه الغر الميامين ... و لشد ما بدده أن يرانا بعد طول  
 النأي ، فحدثنا وقال : « ويك أودسيوس فيم عدت أدرا جك ؟ و أى  
 سلطان مشوم لوى عنانك بعد إذ أرسلناك من وداً بخير زاد لتصل  
 إلى بلادك ، و تلقى آلك ؟ » . وكان فؤادى ينخلع حين قلت أجيبه :  
 « تبارك الملك ! لقد حاننى رجالى اللؤماء ، و خاننى معهم طائف من  
 الكرى ! فإذا شاء الملك فليجبر ما انصدع منا ، وهو لا يزال صاحب  
 الحرل و الطول ، .. وهكذا شادت المقادير أن أقف ضارعاً إلى هذا  
 الملك مرة أخرى ... و قد تلبث أبناءؤه صامتين لا ينبسون ... و اكفهر  
 وجه الملك وقال : « أيها الرجل انطلق ... أغرب عن جزيرتنا هذه  
 يا أنعس الناس ! إنطلق فوالله إنى لأستغفر الآلهة أن أكرمت مشوى  
 رجل مثلك عدو نفسه ، بمقوت من الأرباب ، مغضوب عليه من السماء ! »  
 وهكذا طردنى الملك شرطردة ، فضيت على وجهى ، و لقيت أصحابى ،  
 و أبحرنا نذرع اليم المصطخب بمجاديفنا ، و نسكب فى هذه الأعماق  
 المضطربة قوارنا ، لا أمل لنا فى الوصول إلى بلادنا . و لارجاء فى  
 الخلاص من هذه البؤوس ! و وصلنا مدينة ليستريجونيا بعد نصب  
 ستة أيام بلياليها ... تلك المدينة الموحشة التى بناها منالاموس العظيم ...  
 و التى تغزو الحشرات مروجها نهراً ، فيخرج الرعاة بقطعان الغنم

ذات الفراء الكثة التي تحمي الحيوانات من ذبابة الماشية وتدفع عنها غائلتها ، فإذا جنَّ الليل عادوا بأغنامهم إلى حظائرهم ، وذهبوا بالنَّعم لترعى في هدأة الليل ، ولتكون بآمن من غوائل الذباب الذي يكون قد غلبه النعاس . . . وصلنا إلى هذه المدينة فألفيتها بحصنة بسور عظيم من الخبجر الصلد ، ينحدر قليلاً قليلاً إلى الميناء ، بمضيق صغير لا تعلو فيه موجة ، ولا يتحرك فيه الماء . . . وقد أدخل رجالى سفائنهم في هذا البوغاز ، وآثرت أنا أن أظل بسفینتی عند فمه مما يلي البحر ، فألقيت مرساى ، وثبتها في حجر كبير ، ثم وثبتت إلى الشاطئ ، وتسمنت ربوة عالية ، وأخذت أجيل نظرى في الجزيرة . . . ولم أفق لإنس أو حيوان على أثر ، وبدت الأرض جرداء بقلعا ؛ بيد أن دحاناً كثيفاً كان يصعد من وسطها ؛ فرأيت أن أبعث باثنين من رجالى جعلت عليهم ثالثاً رئيساً ، ليعلموا لنا من أنباء الجزيرة ، وليتحسسوا أخبار أهلها . . . وقد قص هؤلاء آثار العربات التي يستعملها السكان في نقل الأخشاب من الغابة إلى مدينتهم ؛ ولقوا عند مدخل المدينة فتاة عذراء تملأ جرتها من عين ماء هنالك ؛ فما كادوا يسألونها حتى علموا أنها ابنة الملك آتباتاس ملك هذه البلدة . . . ومشت بين أيديهم حتى كانوا في قصر الملك ، وهنالك لقيتهم امرأة هولة عظيمة الجسم ، كأنها هضبة ، فلم يجسروا أن يمدوا إليها أبصارهم مما غشيهم من الفزع ، وكانت هذه هى الملكة التي صاحت عند ما لمحت رجالى ،

بزوجها ، فأقبل يهتز وتزأزل الأرض من تحته وما كاد يلح هو لاء  
 الغرباء حتى أمسك بواحد منهم وخبط به الأرض فخطمه... كأنما أقبل  
 ليخوض معمعة... ؛ وانطلق الآخرا ن لا يلو يان على شيء ؛ حتى بلغنا  
 سفائننا... ثم زجر الملك بصوت قاصف كالرعد يدعو إليه رعاياه ،  
 فأقبلوا إليه من كل حدب ، مردة جبارين كالأغوال ، لا عدد لهم ،  
 ولا تقح العين على أبشع منهم... ثم تهاووا إلى الشاطئ حيث أرسن  
 سفننا ، فجعلوا يقذفونها بحجارة من سجيل ، جعلت رجالنا كعصف  
 ما كول ، وجعلت مراكبنا حطاما كان يهوى إلى الأعماق ؛ بينما هو لاء  
 الجبابرة ينشلون قتلتانا بجرابهم ليعودوا بهم إلى بيوتهم فرائس سائفة  
 يملأون بها بطونهم... وهكذا استمرت هذه المذبحة الدامية... وكنت  
 واقفاً في مركبي ، وجرأزي إلى جانبي ، فأسرعت إلى حبال المرساة  
 فقطعتها به ، وبادر رجالي إلى مجاذيفهم فأعملوا فيها بأيديهم... وبذلك  
 نجونا من هذا الروع برغم الحجارة الهائلة التي كانت تتطاير فوق رؤوسنا  
 وتهاوى عن شمانلنا وعن أيماننا . فنشيع في فرائصنا خطر الموت...  
 وظلمنا نكافح الموج ونصارعه ، فرحين بنجاتنا ؛ ومع ذلك ، فقد  
 كانت قلوبنا تعتلج هماً وأسى على إخواننا... ثم رسونا آخر الأمر عند  
 جزيرة إيايا ، حيث تقيم سيرس ، ربة الغناء والسحر ، ذات الشعر  
 الكهرماني ، أخت إيتيس الحكيم من أبيها الشمس ، وأمها برس ابنة  
 أوشيانوس . وكأنما مشت عناية السماء بين أيدينا فرسونا في جو  
 هادي ساكن في غير جلبة ولا ضجيج ، ثم هبطنا إلى الساحل فلبثنا فيه

يومين كاملين نستعجم ونستروح بما بنا من أين<sup>(١)</sup> وجهد ، وكلنا فرأى  
لما في أضالعنا من شجو وهم وشجن . ثم إلى تسليحت برحى وسيفي  
وحدثت خطاي في أسناد الجبل حتى كنت في ذراه الشاهقة ، ووقفت  
ثمة أنظر وأحسس ، فلهجت في البعد دخاناً يصاعد بين الدوح والزهر  
من قصر سيرس وبدا لي أن أتوجه إليه من فوري عسى أن أجد عنده  
خيراً . ولقد ترددت بد ذلك كثيراً وكدت أعود أدراجي إلى السفينة  
لأرسل نقرأ من رجالي يكشفون لي الطريق إلى القصر ؛ وما كدت  
أخطو خطوات حتى ساق إلى أحد الآلهة ظلياً غيراً شرد من المرج  
المعشب الحلول يستقي مما ألبح به من ظمأ فأرسلت إليه برحى فقصم ظهره ،  
وسقط يتخبط في دمه ؛ وقطعت شيئاً من عساليج الصفصاف وجدلت  
منها حبالا ، وأوثقت الغزال من أرجله واحتملته على ظمري . ومضيت  
قدماً إلى رفاقي متوكئاً في كل خطوة على رحى إذ لم تعد شيخوختي  
تستقيم لمثل هذا الحمل الكبير ! وهتفت برجالي في مرح وظرف أن : « هلموا  
يا رفاق فلن نقضى قبل أن تحين آجالنا اهلموا إلى ظبي فنيق<sup>(٢)</sup> وشراب  
عتيق ، واطرحوا ما بكم من هم وضيق... » وأقبلوا فرحين وشمروا عن  
سواعدهم وهم يتعجبون من هذا القنص الغريز ، وظللنا يوماً هذا  
نطعم ونشرب ، حتى إذا أرخى الليل سدوله انكفأنا على الشاطيء

(١) تمب

(٢) كريم تربي في عز وأمن

نَسْعُطٍ فِي سُبَاتِ هَادِي... وَذَرَتْ أُرُورًا ابْنَةَ الْفَجْرِ الْوَرْدِيَّةَ فَهْتَفَتْ  
 بِرِجَالِي فَهَبُوا ، ثُمَّ جَلَسْنَا سَاعَةً نَتَشَاوَرُ ، وَأَنَا أَقُولُ لَهُمْ : أَيُّهَا الرَّفَاقُ !  
 يَا إِخْوَانَ الشَّدَائِدِ هَا نَحْنُ أَوْلَاءُ قَدْ لَصِقْنَا بِهَذِهِ الْأَرْضِ وَلَسْنَا نَدْرِي  
 أَيَّانَ نَذْهَبُ ؟ هَلْ نُشَقِّقُ ، أَوْ نُغْرِبُ ، أَوْ نَظَلُّ هُنَا أَبَدًا لِلدَّهْرِ ؟ !  
 وَلَكِنْ هَامُوا نَنْظُرُ لِأَنْفُسِنَا مَخْلَصًا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ ... فَإِنِّي حِينَمَا تَسَمِعْتُ  
 ذَرْوَةَ هَذَا الْجَبَلِ أَجَلْتُ الطَّرْفَ فِي أَرْجَاءِ هَذِهِ الْأَرْضِ فَعَرَفْتُ أَنَّهَا  
 جَزِيرَةٌ تَتَرَامَى إِلَى مَدَى الْبَصَرِ ؛ ثُمَّ إِنِّي آنَسْتُ دُخَانًا يعلو فِي الْجَوِّ مِنْ  
 وَسْطِهَا ، يَنْبَثِقُ مِنْ سَرَواتِ طَوَالِ فِيهَا . فَسَرَوُ الْأَنْفُسِكُمْ أَتَابِكُمْ اللَّهُ ! -  
 وَكَأَنَّمَا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ . وَكَأَنَّمَا حَاقَتْ بِهِمْ ذِكْرِيَاتُ آتِيَاتِنَا وَسُوقِمْ  
 الْمُسْتَرِيحُونَ ، وَمَا لَقُوا مِنْ هَوْلِ السَّكَالِبِ أَكْلَةَ اللَّحْمِ الْبَشَرِي ، فَبَكَوْا  
 سَاعَةً مِنَ الزَّمَانِ ، ثُمَّ اسْتَرْجَعُوا حَيْثُ لَا يَحْدَى الْبِكَاءُ . ثُمَّ قَسَمْتَهُمْ  
 فَرِيقَيْنِ ، جَعَلْتُ عَلَى أَحَدِهِمَا يورِيلا حَوْسَ ، قِرْنِ الْآلَهَةِ . وَجَعَلْتُ  
 نَفْسِي عَلَى الْفَرِيقِ الْآخَرَ ، وَجَلَسْنَا نَقْتَرِعُ عَلَى مَنْ يَذْهَبُ لِارْتِسَادِ  
 الْجَزِيرَةِ فَوَضَعْنَا الرَّفَاقَ فِي خَوْذَتِي ، ثُمَّ كَانَتْ الْقِرْعَةُ عَلَى يورِيلا حَوْسَ .  
 فَخَضِي ، وَتَحْتِ إِمْرَتِهِ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ مِنْ رِفَاقِنَا ، كَانُوا جَمِيعًا يَذْرَفُونَ  
 الدَّمْعَ خَوْفًا وَفِرَاعًا مِمَّا وَجَّهُوا إِلَيْهِ ، وَكُنَّا نَحْنُ نَبَادِلُهُمْ دَمْعًا بِدَمْعٍ وَبِكَاءٍ  
 بِبِكَاءٍ . وَوَجَدْنَا قَصْرَ سِيرِسَ فِي بَطِيحَةٍ <sup>(١)</sup> مَنْخَفِضَةٍ ، فَمَا ذَارُوا أَوْ ١٩  
 قَصْرَ مُنَيَّفٍ مُسَرَّدٍ تَحْدَقُ بِهِ تَمَائِيلُ حِيَمَةٍ مِنْ سِنَاعٍ وَذُؤَانُ سَجْرَتِهَا  
 سِيرِسَ بِعَقْسِاقِيرِهَا ذَاتِ الْقُوَى الْخَارِقَةِ الْخَفِيَّةِ . وَلَمْ تَزِدْهُمْ تِلْكَ  
 الْوَحْشَ ، بَلْ كَانَتْ تَثْبُتُ عَلَى أَرْجُلِهَا الْخَافِيَّةِ فِي دَلِّ وَتَلْطَفُ ، ثُمَّ

تبصص بأذنانها كأنها كلاب السادة العطاء حينما تتملقهم فى وليمة من أجل لقيات ... وتسمعوا ، فإذا سيرس تتغنى بصوتها المعجب المطرب وهى تعمل على نولها ، مشغولة بنسيج سابرى عبقرى عجيب ، ليس يقدر على مثله إلا الآلهة . وكان فى رجال الفريق أمير عظيم هو عندى أربطهم جأشاً فقال : « أتسمعون أيها الأصدقاء إلى هذا الغناء الخلو تردده جنبات القصر ؟ إنه لا شك غناء ربة الدار التى تعمل على نولها ، ولست أدرى أربة خالدة هى ، أم من بنات حواء ... وعلى كل هلموا نهتف بها . وتنادوا ، وأقبلت سيرس فهشت لهم وبشت ، وأذنت لهم أن يدخلوا ... فدخلوا ، وأسفاه ، إلا يوريلاخوس فقد خشى أن تكون ثمة مكيدة أو أحجولة . ثم قادتهم إلى بهو كبير صفت فيه عروش غفمة من ذهب ، ما كادوا يستقرون عليها حتى أقبل الساقى بخرم وعسل ثم جىء بخبز وطعام آخر ، مخلوط بعقاير سحرية تذهب وعى آكلها ، وتسيهم ما سلف من أمورهم ، بل تساهم ذكريات أوطانهم ، ثم ضربت كلاً بعصاها السحرية بعد إذ أكلوا ورووا ، واستاقتهم إلى حظائر ها حيث مسخروا فكانوا خنازير ، وإن أبقى السحر على ألباهم . أما طعامهم بعد هذا ، فقد كانوا يتناولونه من يدها مباشرة ، فكانت تطعمهم جوز البلوط والشاهبلوط والكريز<sup>(١)</sup> الكلابى . وما إلى هذا وذلك من أكل الخنازير الخسيسة السائبة .

وأقبل يوريلوخوس ينتفض من الذعر ، وينعقد لسانه فما يكاد يبين ، ثم هدأ روعه قليلاً فطلق يصعقنا بأبناء ما رأى : « أوديسيوس

(١) الكريز . وجمه الكراز بالضم الأقط ، والمراد هنا فاكهه الكريز .

ياذا المجد القد ذهبنا نتحسس كما أمرتنا، ونزود هذا الوادى الأشب (١)  
فوجدنا قصرأ مشيداً فوق أكمة عالية، وسط بطيحة منخفضة، ذاقبة  
سامقة جلست تحتها امرأة أوربة - لا أدري - ولا تفتأ تعمل على منسج  
بخفة صنعة، وترسل الخاناً حنوناً حلوة، وما كادوا يهتفون بها حتى نهضت  
فلقيتهم بالبشر وفتحت بابها على مصراعيه فدخلوا جميعاً - حاشاي -  
فقد أوجست خيفة، ووقر في قلبي أن ثمة شركاً نو شك أن نردى فيه؛  
وقد راقبت رفاقي إذ هم جلوس لحظة غير قصيرة، ثم هالني ألا أراهم فجأة،  
وما كاد ينتهى حتى قفزت إلى سيني فتسلحت به وأخذت قوسى وسهامى،  
وأمرته أن ينطلق بين يدي إلى حيث ذهبوا من قل، ولسكنه رقع أمامى  
وتعاق بساقى وجعل يرجو ويلحف فى الرجاء ألا أذهب... «فإنك إن  
تفشل فى إعادة رفاقنا فقط، بل قد تفشل فى أن تنجو بنفسك. فانطلق  
بمن بقى منا، ويا حبذا لو استطعنا الفرار، ولكنى أجبته أن له أن  
يبقى هو فياكل ويشرب فى السفينة، ويكون بنجوة مما فرغ منه،  
أما أنا، فلم أر ضرورة لبقائى

وانطلقت لا ألوى على شىء، ولكنى قبل أن أبلغ البطيحة التى  
بها القصر، لقينى هرمن الحبيب إله العصا السحرية. وكانت مخالب  
الصبا وبدوات الشباب تتدفق فى بردتبه، وحمرة الورد تلتب فى خديه؛  
لقينى فصاخنى متلطفأ وقال: «أياها التعس أيا ن تضطرب وحدك فى هذه  
الأرض، وقد حبست سيرس من أرسلت من رجالك فى حظائر ها بعد إذ  
سحرتهم إلى خناير شقية؟ هل أقبلت لسنجيمهم؟ أم جئت لتحتجزك

معهم إلى الأبد؟ ولكن اصغ إلى ؛ إني سأحبط ما فعلت ، وسأحميك وأحفظك . فخذ هذا العقار<sup>(١)</sup> ولا يهتك بعد أن تدخل قصر سيرس فإنه ينتدك من كل خطر ... وهلم أعليك ما عندها من السحر ، إنها ستمزج لك كأساً من الشراب مما عندها من رجس ، وستضع لك منه في طعام تقدمه لك فكل وارو ولا تبال ، فهذه البقلة العجيبة التي أعطيك ستحبط كل ما تحيك لك فلا تقدر على مسحك كمن مسخت من رفاقك .. فإذا عاجلتك بعصاها السحرية فاهجم عليها بسيفك غير هيباب ، وأرسل إليها شرر الغضب من عينيك فإنها حينذاك تنقاد لك ، وتقودك إلى غرفتها . وتحتال عليك بصنعة الحب وتلطفات الهوى ، إياك أن تنصاع لها ، واطلب إليها أن تبطل ما أنزلت برفاقك من سحر وأن تترفق بك فلا تمسك بأذى ، واحذر يا صاح أن تدلس فضل خيرك بما ركب في طبعها من شر . « وانحنى رسول الآلهة فالتقط عشبة من الأرض ثم وضعها في يدي وأخذ يكشف لي أسرارها ويقتصر على قواها الخارقة وذكر لي أن اسمها (مولي) ، وبه يدعوها في السماء . وأن الآلهة وحدهم يعرفون كيف يشفون بها رُقى السحر .. وكانت جذورها سوداً حالكة السواد . أما زهرتها فكانت بيضاء ناصعة البياض كاللبن .. وودعني هرمز ، ثم رف ورف ، وعرج في السماء وانطلقت أنا أخبط في ظلمات من هو اجسى حتى كنت لدى باب ربة السحر التي وجدتها تعمل كما ذكر لي صاحبي على قولها ... وصحت صيحة عالية ، فأقبلت تنهادي



نحوى وفتحت هـ صاريح أبواها ، ودعتنى ، فدفقت وراءها ، حتى كنا عند عرش عظيم بمرد فضى ، ذى درج ، فاستويت عليه ، وذهبت هى فمرجت لى كأساً من الخمر بشىء من عقارها ، وقدمته لى فاحتسيتها ، بيد أنى لم أتعير ولم أتحول عن صورتى ، فضربتى بعصاها السحرية وهى تقول : « هلم إلى الخضيره حيث تقرر مع رفقاءك » ولم تكذب تصمت حتى وثبت من مقعدى وأمتشقت سيفى ، وهجمت عليها ، وفى عيني جحيان من نار الغضب ؛ فرُوسعت ربة السحر ، وزلزلت زلزالاً عظيماً ، وجرت نحوى ، وركعت عند قدمى ، وتعلقت بساقى . وأخذت تضرع إلى وتقول فى بيان رائع وكلمات باكية : « عمرك الله من أنت ومن أين قدمت وما ديارك ؟ تكلم ! أنت يا من لم تسحرك جرعى الهائلة التى لم يذوقها أحد وظل فى صورتها لحظة واحدة ولكنك تحمل قلباً لا تجوز عليه نفثات السحر ... هلم ... تعال ... إلى إلى » أعرفاك أحسن المعرفة .. إنما أنت أوديسيوس الصانع ذو الذكر ، ولقد وصلت إلى هنا من اليوم بدورك فلم يشأ هرمن ذو العصا الذهبية أن يخبرنى بمجيتك ولكن اخمد سيفك ، وهلم ننعم بالحب كزوجين ، وليفرخ روعك وليهدأ بالك ... اطمان يا أوديسيوس ، هلم ! وصمت لحظة ثم انطلقت أجيبها : سيرس ا كيف تتصورين أن يفرخ روعى ويهدأ بالى وقد حبست فى رحابك رفاقى وشركاء رحلتى بعد إذ سحرتهم إلى خنازير أيتها الربة ؟ ثم تحشين إفلاتو فتخادعينى وتبهرجين على بطلاسم الحب ، داعية إياى إلى فراشك لتشوبى صفاء فضيلتى برجس رذيلتك ... لا ... لا ، إنى إن أكتبى لك طلباً حتى تقاسمىنى أغلظ

الأقسام ألا تلحق بي أذى ، وألا تحاولي الإضرار بي ، وراحت  
تحلف وتؤكد الخلف ، وتقسم وتغلف في القسم ، ثم إنى انظر رحت  
في سريرها الفخم الديباجي . وأقبلت أربع من عرائس البحر ، خطرن  
من اليم وأقبلن من العيون والخرج المجاور لينهضن بخدمتنا ؛ أما الأولى  
فقد أصلحت من سريرنا وطرحت عليه مطارف الخز ، وأما الثانية  
فقد عسفت الموائد ورتبت الكراسي ، وجاءت الثالثة بزق عظيم من  
شراب طيب ملأت به الكؤوس الذهبية المنضدة فوق الموائد - أما  
الرابعة فقد أعدت لي حماماً ساخناً وضمختني بأحسن الروائح والطيب ،  
حتى انتعش جسمي الخائر ، وتأرجت روحى الفاترة . . . ثم ألبستني  
ثوبين غاليين من أندر الديباج ، ومشيت بين يدي إلى عرش عظيم  
مزدان بأحسن التصاوير ، مطعم بالذهب والفضة ، فاستويت عليه ،  
واضعاً قدمي على درج من لباد ناعم . . . وأقبلت بعد ذلك عروس  
أخرى فصبت الماء على يدي من إبريق من ذهب ، في طست من فضة ،  
وجاءت بمائدة حافلة بأشهى الآكال فوضعتها قدامى ، لكننى ما مددت  
إلى شيء من ذلك يدي ، لما كان يساورنى من الهم ، وما يشغل بالى من  
الانتقام ؛ فلها لحظت ذلك سيرس أقبلت تيمس ، وأخذت تلاطفنى  
وتقول : « مالك تجلس ساكناً هكذا يا أوديسيوس ، كالذى غشى  
عليه . ما تكاد يدك تمتد إلى شيء . وكأن ألف وسواس يخامرك ؟  
ألا تزال تخشى مكيدة فتخاف أن تتردى فيها ؟ ! ألا ما أكبر غفلتك  
يا صاح ! اطمئن . فلقد أعطيتك موثقي وحلفت لك بأغظ الأيمان  
ولن أطلب إليك حراماً ! » وأجبتها قائلاً : « كيف تمتد يدي إلى طعام

أو شراب ورفاقي لا يزالون في إسار سحرك؟ أبدأ لن أذوق شيئاً حتى ترددهم إلى صورهم ، ثم ألتقي بهم ، ونهضت تحمل عصاها السحرية وذهبت من فورها إلى الحظائر حيث أطلقت رفاقي . وكانوا لا يزالون في صور الخنازير ، ثم جاءت بترياق فمسحتهم به ، فعادوا إلى صورهم البشرية ، وبدوا في أنضر شباب وأصباه ، ثم أقبلوا نحوي يلثمون يدي ، ودموع الفرح تبلل مآقيهم ، وطفقوا يصيحون ويصخبون وتردد أصداءهم جنبات القصر ، حتى تأثرت سيرس نفسها بما رأت ، وراحت تقول : « يا ابن ليرتيس الصناع ، هلم إلى مركبك فاشنددها فوق البر لتسكون بئامن من غوائل البحر ، ثم خبيء كنوزك وأذخارك في غيران هذه الجبال ، وعد إلى » في جميع رفاقك ، وطربت لهذه الفسكرة فمرولت إلى الشاطيء حيث لقيت رفاقي الآخرين يندبوننا ويندرفون دموعهم علينا . وما إن رأوني حتى أهرعوا نحوي يرقصون ويطنبون ويحكيون كهذه البسببهم التي تعود في المساء إلى حظائرهما فتلقاها صغارها بالثغاء والرقاء والضوضاء . وهكذا تلقاني أولئك الرفاق . وبدلت دموع أحزانهم بعبرات المسرة ، وخيل لهم أنهم رأوا في وظهرهم النائي المحبوب إيثاكا ، حيث ولدوا وحيث نشأوا وترعرعوا... قال قائلمهم : « تالله لكأنا رأينا فيك أوطاننا يا أوديسيوس ، وتالله لقد ظفرت قلوبنا حين عدت إلينا فعادت أرواحنا إلى أبدانها . حدثنا أيها العزيز كيف هلك إخواننا في هذا التيه . » وقلت لهم : « هلموا أولانجر مركبنا على هذا السيف<sup>(١)</sup> الهداء ، ولنخبيء أذخارنا وسلاحنا في غيران

هذه الجبال ، ولننطلق جميعاً إلى سيرس حيث ترون جميع رفاقكم في  
أمنسةٍ وعز وطعام وشراب ، ونعيمٍ مقبم . وصدعوا بما أمرتهم إلا  
يوريلوخوس . فقد سُمِّرَ مكانه ، وكأنه لم يفعل بما أخبرت به ،  
ثم حرك شفتيه فقال : « ويح لنا نحن الأشقياء البائسين ا فيم ذهابنا  
نحن الآخرين إلى قصر سيرس ، وقد تمسخنا جميعاً إلى سباع او ذؤبان  
أو خنازير ، ونظل إلى الأبد نحرس عرينها مغمين ؟ لقد ذهب كثير من  
منا ضحية هوس أوديسيوس وقلة بصره ، يوم حبسنا السيكلوب من  
أجل أطماع رئيسنا الطياش <sup>(١)</sup> ، وأوشكت أن أضرب رأسه بجرأزي ،  
فيختر إلى الأرض برغم ما يربطني به من آصرة الوطن ووشيجة الغربة ،  
لولا أن هب رجال الآخرون يصرخون ويقولون : « أوديسيوس  
الكريم ! لنتركه هنا ليحرس فلكتنا ، أما نحن فراحلون معك إلى قصر  
سيرس ، ولو كان ملئهُ الفرع الأكبر ، وتدفقوا من السفينة على  
الشاطئ ، وانخرط يوريلوخوس بينهم متصاعاً لنظراتي المتأججة ...  
أما ما كان من سيرس حينذاك ، فإنها أدخلت رفاقي إلى حمتّهما ثم  
ضمختهم بأحسن الطيوب ، وخلعت عليهم أنخر الملابس ؛ ولما  
وصلنا وجدناهم يطعمون ، فما إن رأونا حتى هبوا يعانقون  
صحابهم ويبكون ، ثم جلسوا يستمعون إلى قصة ما حل بإخوانهم ،  
وهم يصعدون زفرات الحزن ، ترددها قباب القصر . ونهضت  
سيرس فوجهت إلى الخطاب إذ تقول : « ابن ليرتيس العزيز  
هون عليك . وليرفه رجالك عن أنفسهم ولا يستسلموا هكذا

لغربة الحزن ، ولترقا دموعهم جميعاً ... إني لا أجمل ما تجشموا من  
 أهوال في ذلك البحر المضطرب ، وما لقوا من فواحش في كل أرض ،  
 بما كتب لهم في لوح القضاء ... ولكن ، تعالوا جميعاً .. أنعشوا  
 نفوسكم الخالدة بكتوس الراح ، ولتستشعروا بأسمك الذي كنتم  
 تستشعرونه يوم غادرتهم شيطان إيثاكا العزيزة .. إنكم إن لم تناسوا  
 آلامكم فإنها تفت في عضدكم وتوهي من قوتكم وتكون أبداً حائناً لكم  
 وإلباً عليكم ، ولا تعودون تشعرون معها بلذة العيش وبهجة الحياة ،  
 ووقعت كلماتها في قلوبنا فأقبلنا على الطعام والدمام ؛ ثم إننا أقمنا عندها  
 عاماً بأكمله في أرغد عيش وأحسن حال ، متقلبين في أرفه نعيم ؛ ثم  
 استدار الزمان ، وهتف بنا قارن الأزل ، فدعاني رجالي إلى جلسة  
 خارج القصر فقلوا لي . « تذكر يا مولانا وضمنا الأول ، فإننا نحن إليه  
 ونتمنى لو ساقنا المقادير إلى شطآنه ، وكأنا نبهوا مني غافلاً . فتلبثنا  
 يوماً هذا على مائدة ربة السحر في بلهنية وعيش مخفرج وخمر ،  
 وأقبل الليل فأوى كل إلى فراشه ، وأويت أنا إلى سيرس فداعبتها  
 ولاطفتها في صونٍ و طهر ، ثم قلت لها في رجاءٍ وظرف : « سيرس  
 ياربة ؟ حبذا لو وفيت يعهدك فأرسلتنا فوق هذا البحر رحمة بنا ، لنقضى  
 حاجات الوطن ، ولتنتقطع شكاوى صحابي التي مزقت نياط قلبي ، .  
 وقالت سيرس : « أوديسوس العزيز ، المعروف بأعسالة الرأي  
 ورجاحة الفكر ، إني لن أقسرك على البقاء هنا ، لأنت ، ولا أحداً  
 من رفاقك ، ولكنك قبل أن تفكر في شد رحالك إلى بلادك ينبغي

أن تذهب في رحلة شاقة بعيدة المدى ... إلى هيدز (١) ... دار بلوتو (٢) و برسفونيه ... حيث تلقى النبي الصديق الصالح تيريزياس ، الذي احتفظ وحده في عالم الموتى بكل أسراره وقواه الغيبية الخارقة ، والذي يشوى في رحاب مليكة الغناء يتبأ لها وتستوحيه وتستشيريه فيعرف (٣) لك عما همك ويقفك على ما ينطوى لك من صحف الغيب ، وما كادت تنتهي حتى احلوك لكت الدنيا في عيني وتدفقت الهموم في نفسي ، وأجهشت وأجهشت ، ثم استخرطت في بكاء طويل . وما كدت أصحو من هذه النوبة حتى قلت لها : « أنى لي ياربة أن أذهب إلى هيدز ؟ ومدنا الذي يحدونى إليها ، ولم يسبقنى إليها أحد من أحياء البشر ؟ » فقالت تجيبنى : ياسليل ليرتيس العظيم ليفرخ روعك ، ولا يحزنك ألا يكون لك إلى هيدز من دليل . بل هلم إلى سفينتك فأصلح قلاعها وانشر شرعها وستهب الصبا (٤) سرجسجاً فتد هديكم رويدا ، فإذا جزتم هذا البحر المحيط ، وبلغتم الشاطئ النز (٥) الذى تنمو فوقه أشجار الحور والصفصاف الباسقة ، ثم باسم پرسفونية ، فادفعوا إليه بسفينتكم ثمهاووا إلى مشوى بلوتو الساحيق الذى يبتدى عند الصخرة الهائلة التى تتكسر فوق أواذها أمواه أشيرون (٦) وستيكس وكوكيتوس فاتركوا سفينتكم ثمه ، واحفروا عندها حفرة ذراعا فى ذراع ثم صبوا فى جهتها الأولى قرباناً من لبن وعسل ، وفى الثانية

(١) الدار الآخرة . (٢) إله الموتى وزوجه . (٣) يتكهن — من العرافة بالسكسر . (٤) ربح العمال وسجسجا أى هبواً لطيفا . (٥) الذى ينز الماء مصدر استعمل صفة . (٦) تنطق الشين كفاً مشددة وقد آثرنا الشين فى كل كتبنا لتسهيل النطق . وهذه كلها آتاه فى العالم الثانى فى أساطير اليونان .

خمرأ معتقه من أحسن ما تعصرون ، وفي الثالثة ماء قراحا ، فإذا كانت الرابعة فانثروا الدقيق فوق الجميع ، واصنعوا ذلك باسم الموتى جميعا ، ثم انذروا لهم أن تذبجوا يوم تعودون إلى إيثاكا سالمين عجلاً جسداً من أحسن قطعانكم : وانذروا كذلك لتيرزياس كبشاً سمثوريا ليس في أغناسكم أسمن منه ولا أقوى جلادا ، فإذا فرغتم من صلواتكم وندوركم وأدعيتكم بجميع الموتى من كل الأمم فاذبجوا في الحال كبشاً ونعجة سمورية ، على أن تكون رأسا الضحيتين تلقاء إربوس وعلى أن تشيخوا بوجوهكم تلقاء الشاطيء ، فإذا صنعتم كل هذا فسرعان ماترون أرواح الموتى تقبل نحوكم من كل فج ، فسارعوا إلى ذبائحكم فاسلخواها وألقوا بلحومها في النار مصلين ملبين داعين كما تهدأ نفسا بلوتو وزوجته برسفونيه ، ولا تسمحوا لأرواح الموتى أن تقرب أضحياتكم ، وذودوهم عنها بأسيافكم حتى تلبحوا تيرزياس قادماً فيلقاكم ويحدثكم ويوضح لكم ما غم عليكم من سيديسكم في هذا البحر الرجراج المتلاطم بالأواج ، . وسكنت ، وابلج الصبح ، فنهضت تصلح من أثوابها وتضفي عليها من شفوفا البيضاء كالندف ، وتثر فوق رأسها تلك الغلالة الرقيقة كالثلج . أما أنا فنهضت كذلك ، واكتسيت صدارى ودثاري ثم توجهت إلى رفاقي فأيقظتهم وحثتهم على الإبحار من تونا كما رسمت سيرس . وقد هبوا جميعاً إلا قتي يافعا لم يكن له يدان في هذه الشدائد ، بل كان كل همه في كأس من خمر ينطرح بعدها وهو لا يبى شيئا . وكان اسمه أليثور ، وكان قد غرق في سبات عميق فوق سطح

القصر ، وقد أفرغته ما سمع من جلبة أسلحتنا فهب من نومه مخموراً  
متخاذلاً وساقته قدماه إلى حافة السطح فزَلَّتَا وسقط إلى الأرض ،  
ودُقَّتْ عُنُقُهُ ، فسبقت روحه إلى هيدز . وقلت لأصحابي لما اكتمل  
جمعهم : « أنظرون أنا مبجلون إلى أوطاننا !! كلا يارفاق أفأماننا رحلة  
طويلة شاقة إلى هيدز ، حيث ينبغي أن نلقى تير زياس النبي الصالح  
ليُعرِّف لنا ويقفنا على صفحة مما يطوى لنا الغيب ، وهذا رسمت  
سيرس ، وإنا لنصيحتها لسامعون ! » وخفقت قلوب إخواني ، ونظر  
بعضهم إلى بعض ، ثم جالسوا يشدون شعورهم من الحسرة ، ولكنهم  
صدعوا أخيراً ، بعد إذ أيقنوا أن لا شيء غير هذا ينفعهم . وانقلبنا  
إلى البحر ، وكانوا لا يزالون يذرفون دموعهم ويصعدون حسراتهم ...  
وقمنا نحن ذاهبون ، كانت سيرس تسوق إلى السفينة كبشاً عظيماً ونعجة  
سمورية ... وإن كنا لم نرها قط ، ومن ذا الذي تستطيع عيناه أن  
تريا ربة كريمة رائحة أو جائية إن لم تشأ هي أن تكشف عن نفسها ؟ »



## رحلة أوليسيس إلى العالم الثاني

• وذهبنا إلى الشاطئ وأزلنا الفلك إلى الماء ، ثم أصلحنا القلاع ونشرنا الشراع ، ووضعنا القرابين على السطح ، وذرفنا من الدموع ما شاءت لنا الهوموم والآلام ... وأفلعنا ... وأرسات سيرس بين أيدينا ريحاً رخاء كانت خير معوان لنا وخير رفيق في سفرتنا الرهيبة هذه ، حتى • لتركتنا لها مقاليد الفلك ، وانسكد<sup>(١)</sup> حنا<sup>(٢)</sup> فوق السطح من غير ما عمل . ولم تزل تجرى بنا طول هذا اليوم ، حتى إذا أوشكت الشمس أن توارى بالحجاب ، وقارب الظلام أن يلتمى أردانه على الكون الهادي . أشرفنا على تخوم البحر الأعظم ، حيث تمهض مدينة السمريين التي ينعقد من فوقها دجن .<sup>(٣)</sup> كتيّف وظلمات داجية ، فلا تنفذ إليها شعاعه من نور ، ولا يحجبها رسول من شمس هذه الدنيا العاملة الدائبة . التي يسطح في سماواتنا ركبها الفخيم ، فهي أبدأ في ليل متصل مدطم ، لا تنجاب عنها غواشيه . وهنا ، ألقينا مراسينا ، وأزلنا السكبش والشاة إلى البر ، وانطلقنا فوق سيف البحر إلى حيث أمرتنا سيرس ، وتركنا يوربلاخوس بن برميد عد القربانين ، وعنيت أنا باحتفار الوهدة فجعلتها ذراعاً في ذراع ، ثم شرعت أصب تقدمات الشراب باسم الموتى فبدأت بمزيج من اللبن والعسل

(١) انسكح : نام وقرج بين سائيه

(٢) السحاب المظلم .

المصنى، وأتبعته بالخر المعتقة؛ وثلث بالماء القراح؛ ثم نثرت على ذلك كله دقيق الشعير. وصلت من أجل الموتى، ونذرت - إن عدت إلى إيثاكا - أن أضحي لهم بعجل عظيم ذى خوار يكون أسمن وأقوى ما فى قطعانى؛ أذبحه وأحرقه فى نار مجللة بكل ما يشوق الأشباح من أرواح وطيرب. وخصصت الكاهن الطيبى (تيرزياس) فنذرت أن أضحي له بأحسن كباشى وأعظمها مئة، ثم شمريت عن ساعدى، وذبحت القربانين فتدفق الدم فى الوهدة... وهنا... أهرعت الأشباح من كل فج، وأقبلت مهطعة كأسراب الدبى<sup>(١)</sup>... يا للآلهة!! هنا، زرافات العذارى جر عن كأس الحمام فى ميعة الصبا، وهنا، جموع الشباب اليانع كأفواف الزهر غالهم عادى الردى، وثمة، عرائس سادرات تسربلن بسواد الحزن، فجأتن المتايا ليلة الزفاف، وهناك، أطفال كأكام الورد لما تفتح قطفقتهم أيدي المنون، وعن كشب، وقفت كواكب المحارين الذين لطنخوا بالدماء وجه البسيطة... والآباء والأمهات والأجداد... أقبلوا يتدافعون نحو الوهدة صائحين صاخبين، قاذفين فى قلوبنا الرعب... ثم هتفت برجالى فشرعوا يحرقون القرابين ويصلون لرب هذه الدار - بلوتو - ولزوجه، ورحمت أنا أذود الأشباح الهائمة عن دم الضحايا بسيفى أضرب به ههنا وههنا، حتى لمحت روح رفيقى أليثور<sup>(٢)</sup> الذى تركنا فى أرض سيرس دون أن نقيم له شعائر الموت لما كنا بسبيله من هموم... لمحت روح رفيقى فتصدعت، ثم ذرفت عبرات وعبرات، وكتبته قائلاً: «أليثور!

(١) الجراد.

(٢) أليثور الثمل الذى سقط من الطح فدق عنقه (الفصل السابق).

ياصديقي اكيف وصلت إلى ظلمات هذه الدار الآخرة في مثل هذه السرعة ولم تحملنا إليها سفينتنا إلا بعد لآي؟ عمرك الله هل سبحت في الهواء؟ أم ظويت إليها الرحب ماشياً؟، وانهمرت من عينيه دموع ودموع . ثم قال يميني: يا ابن ليرتيس النبيل، المعروف في العالمين بالحكمة ودقة الفهم، لقد أودى بي السكر فسقطت من سطح سيرس فندق عنقي. وأسرعت من ثمة على درج الظلمات إلى هيدز ... على أنني أستحلفك بكل عزيز عليك، ببندوب، بالنار المقدسة التي تتأجج عن قلبها حياتك، بولدك الأوحدهاتيك أن تجمع ما تبقى من سلاحى وعتادى إذا عدت إلى سيرس، وإنك إليها لعائد حين ترجع أدرجك من عالم هيدز، وأن تحرق جثمانى فى نيران هذا العتاد، ثم تصلى له، وتضرع إلى الآلهة من أجلى حتى أفرهنا، وتهدأ فى تلك الظلمات روحى، وأن تغرس فوق السكومة التى تشمل رفاقى، مجدافى العزيز الذى عملت به فى البحر تحت إمرتك، وفى ذرى سلطانتك وقيادتك، حتى يذكرنى فى العالم الفانى الذاكرون . ووعدته أنى فاعل، ثم لم أزل أذود الأشباح عن الدماء المتدفقة. وشفاعة لحت بين أرواح الموتى شبح أمى الأمى المحبوبة أنتكليا ابنة الشجاع أوتولىكوس، التى تركتها يوم يممت شطر طر وادة قوية، غريضة الصباريابة الشباب وما وقعت عيني عليها حتى أجهشت وأجهشت، ثم انهمرت من مقلتي أحر العبرات ... ومع ما كان يعتلج به صدرى من الأسى عليها، فقد ذدتها عن الدماء كذلك، وبى من الهم لتلك الفعلة ما أوهنتى وأضوانى . ثم أقبل نبي طيبة وكاهنها الجليل، يتوكأ على عصاه الذهبية . وما كاد

يحملق في قلبها حتى عرفني وخاطبني يقول : « لم غادرت الدنيا الدافئة المشرقة أيهذا التعس، وقدمت لترى هؤلاء الموتي ولتضرب في ظلمات هذا العالم العبوس ؟! ولكن تخ هذا السيف قليلا حتى أخرج من تلك الدماء ، وإن لمحدثك حديث الصدق عما جئت من أجله » . وأخذت سيفي ، وأخنى الكاهن فعب من الدماء ما شاء ، ثم قال لي : « أوديسيوس ! إنك تجتهد أن تعود أدراجك إلى بلادك ، غير أن طريقك إليها مخوفة بالمسكاره ، ممتلئة بالعقبات ؛ وإن لك فيها لعدواً لدوداً يتأثرك ، ذلك هو نبتيون الذي أسخطته بما سمعت عين ولده السيكلوب (بوليفيم) على أنك واصل بعد أهوال جسام إلى وطنك ، فإنك إن كبحت جراح شهواتك ، أنت ومن معك ، فإنك واصل يوماً إلى شطآن تريناشيا ، وتكون قدأقلت من روع اليم وأرزائه ، فإذا كنت ثمة فاحذر أن تمس قطعان رب الشمس السائمة في الجزيرة بأذى إن كنت جد حريص على العودة إلى بلادك سالماً ، مهما أقتحمت بعد ذلك من عباب وعقاب . فإذا مسها منكم أحد بأذى ، فويل لكم جميعاً ! إن فليتك تغوص إلى الأعماق ، ويفرق رجالك أجمعون ، أما أنت فتنجو بعد جهد ، وتلتقطك سفينة عارة وتعود بك بعد شقاء وبلاء ، وعناء أيما عناء ، إلى وطنك الذي ينتظرك فيه ألف ويل وويل ! ستجد قصر ك المنيف محتلاً بطغمة أشرار من خطاب زوجك الوفية لك ، يريفون خيرك ويذبحون شاءك ، ويغرون بنلوب بالعطايا والرشي لتختار من بينهم بعلأ لها ... ولكنك ستنتقم منهم وتنتصف لما قدموا من سوء ، وستبيد جموعهم ، فإذا تم لك

النصر عليهم فانطلق من فورك إلى الشعب الذي لم ير البحرَ أحد من أهله ولم يذق الملح أحد منهم قط ، وليكن معك مجداف عظيم يدلك عليهم فإنهم إن رأوه عجبوا من منظره ، وظنوه منارة مما يذرى به القمع : فإذا عرفتهم فاغرس المجداف في أرضهم ، وضح لنبتيون رب البحار بعجل عظيم وكبش سمين وخنزير كنانز<sup>(١)</sup> ، ثم تهتل إليه وأخبت ، وانطلق إلى وطنك وضح بأحسن ما تملك من الشاء والنعم للآلهة ، وصل لكل منها واخشع ، تعش آمناً غانماً ، وتمت بعد حياة هائلة مودة فريرة ناعمة بعد حكم عادل طويل ، وشيخوخة هائلة موقورة .. هذا من أنباء الحق عرفتها لك . .

وقلت له : « أنا لا أكذبك يا تيرزياس فيما كشفت لي من أنباء الغيب ولكن جعلت فداك : إن الملح شح أمي جاثماً بالقرب من الدم دون أن تتعطف بكلمة واحدة على ابنها الحبيب ، فمن ذا الذي يشعرها أني - أنا ابنها الأوحده - قريب منها ، فقال : « لا أيسر من ذلك يا بني ! فإنك إن تركت أيّاً من هذه الأشياح يرشف رشفة من ذاك الدم ، فإنه يتحدث إليك بعد ، وينبئك بما نشاء . » ثم غاب شبح الكاهن في ظلمات مملكة بلوتو ، وسمرت أنا مكاني أنتظر شبح أمي ، التي ما كادت تتذوق الدم حتى عرفتنى ، وانطلقت تكلمني فرفق وحنان : « أي بني كيف أتيج لك الضرب في دياجير هذه الدار الآخرة وأنت لا تزال حيا تدب على رجلك ؟ ! ألا ما أشق هذا على بني الموتى من أهل الدار الأولى ! إن ههنا أنهاراً من حميم يدور بعضها على بعض ، وقد تظفي

(١) بالسكر سمين .

على شطآنها بعباب حميية ، ويحيط بها البحر الأعظم الذى لا تشق أجباله  
فُلك ، بلبه قدم سائر عابر ! أو اه ! لقد ذرعت البحار شرقاً ومغرباً  
فى رحلتك من اليوم ، أنت ومن معك ، ولما تصل إلى إيثاكا العزيزة !  
وسكنت قليلاً ، فسألتها : « الظروف القاسية وحدها يا أماه هى التى  
قادتى إلى مملكة بلوتو ، ليعرف لى الكاهن الصالح الطيبى تيززياس ،  
ولقد تجشمت الأهوال الثقيل منذ توجهت مع أجا بمنون للقاء أبناء  
طروادة ... وهأنذا منذ ذلك اليوم لم تطأ قدماى أرض وطنى ... ولكن ...  
نبئينى يا أماه أية ضربة أودت بحياتك الغالية ؟ هل سفك دمك أحد ؟  
أم أصماك سهم من ديانا ؟ ... وحدثينى كذلك عن أبى السند الشيخ ،  
وعن ولدى تليماك ، وحدثينى عن ملكى وعتادى ، هل غلب عليهم ما  
أحد من سادات البلاد ، حين يئس السكل من عودتى ؟ وخبرى عن  
زوجى ، الأتزال تعيش مع ولدى مخلصه وفيلى ، أم تزوجت من أحد  
أمراء هيلاس ؟ ! ، وقال الشيخ الكريم يجيبنى : حاشا يابنى ! إنها  
لا تزال وفيه لك ، مبقية على ذكراك ، مقيمة فى قصرك ، وإن تكن  
تقضى لياليها وأيامها فى حزن ممض عليك ، ودموع جارية من أجلك ،  
وآلام ما تنتهى لبعذك . أما أملاكك فلا تزال لك ، وما يفتأ ولدك  
يغلها باسمك ، وما يفتأ يغشى الولائم فى أبهة الأمراء ، ورؤاء الأماثل  
العظام ! ولم يزل أبوك مقبياً فى مزارعك ، عزوفاً عن المدينة وبهرجها ،  
وأرائك القصور وزرايتها ، وهو يقضى أيامه يصطلى نار المدفأة فى  
الشتاء ، قابعاً على فروته الفقيرة المتواضعة ، غاراً فى أثماله ومزقه ، فإذا

جاء الصيف ، أو بفأه الخريف ، اعتمكف في ناحية ، وانطرح على  
الهشيم المتساقط من الأشجار ، وراح يعالج من الحزن عليك ، والبكاء  
بسببك ما يوهيه ويضنيه ، طوال تلك السنين السوالف ؛ وهكذا  
هلكت أنا الأخرى من طول التفجع عليك ، والتصدع من أجلك ،  
فلا ديانا أصمت فؤادى بسهم ، ولا اعندى على معتد . بل الحزن وحده  
يا أوديسيوس ، والوحشة والضنى ، وطول الوجد ، وذكراك في كل  
حين ؛ كل أولئك يا بنى اختضر غورد حياتى ، وعجتل إلى ممانى ، وما  
كادت تفرغ من حديثها حتى أزرقت<sup>(١)</sup> إليها أودلو ضممتها إلى  
صدرى ، بيد أنى فثلت مرة وأخرى وثالثة ، إذ كانت تنفتل في كل  
مرة من بين ذراعى<sup>٢</sup> كما ينفتل الظل ، أو كما يسرى الحلم . ولم أطق على  
ذلك صبراً فقلت لها : « لساذا تأبين على عناقك يا أماه وقد تتداوى به  
بما بنا من شجو ، ولو كنا هنا فى مملكة بلوتو ١٩ أم ياترى أرسلت إلى  
پرسفونيه شجراً يعبث بى ويتضاحك على ١٩ ، قالت : « أواه يا بنى ،  
يا أتعس بنى الموتى ! أبدأ ما حاولت ربة هيدز أن تعبت بأحد ، ولكنها  
طبيعة الموتى هنا ، فهم لاعضل ولا لحم ولا عظم ، ولا ما ذهب به النار  
بعد الموت فى الدار الأولى . بل هم أرواح تشبه الظلال أو الأحلام فى  
خفتها وسرعة انقلاتها . . . ولكن هلم فعد أدراجك إلى النور . فلقد  
جاءك من الحلق ما هو حسبك . ثم همهمت حولى أشباح الغدارى  
والأزواج من بنات هيدز ، سعين من عند پرسفونيه ، فامتثقت سيقى ؛

وظفقت أذودهن فلا يقربن الدم إلا ياذن واحدةً بعدواحدةً، لتقص على كل منهن قصة حياتها. ولقد كملت تيرو الحسناء، كريمة المختد، طيبة الأعراف فذكرت لى أنها ابنة سالمون وزوجة كريتيوس بن إيولوس - وأن أينوس إله السلسيل، أعذب أهار الدنيا - قد كان مشغوفاً بها حباً، وأنها طالما كانت تعشى شطآنه النضر، ونمائله الخضر من أجل ذلك. وأنها كانت يوماً تلعب هناك، فإذا شبح جميل كأنه شبح حبيدها يظهر فجأة ثم يأخذها بين ذراعيه، ثم يعلو طوفان من اليم فيطوهما معاً. ثم تفيق فترى نفسها بين ذراعي نبتيون الجبار رب البحار الذى يشاكيها غرامه هو الآخر، ويبشها حبه، ولاعج قلبه، ثم يهوى بها إلى أعماق مملكته السحيقة. ويعاشرها كزوجة، ثم يرسلها بعد أن يوصيها بولديه التوأمن منها، ثمرة الحب السرمدى المقدس... ويعوص فى اليم. وتعود هى إلى بلدها فتضع ولديها العظيمين - وزيرى جوف الأكبر - بلياس ونليوس - ويشب بلياس ويضرب فى الأرض، فينتهى إلى مروج إياؤلخوس ويرعى ثمة بهمه وقطعانه؛ أما نليوس فيسكن البلقع الجذب من أرض بيساوس.. وتتزوج كريتيوس بعد ذلك كله. فتنجب منه أنباءها الثلاثة الآخرين، ذوى الشهرة والمجد. ثم كملت أنتيوب ابنة آسوب التى راحت تفخر بما كان بينها وبين جوف - كبير آلهة الأولمب - من هوى وصباية وحب، وأنها أنجبت له ولديه العظيمين أمفيون وزيتوس منشىء طيبة العظيمة ذات القلاع والتلاع والأبواب السبعة.. ولقيت بعدها ألكمينة ابنة أمفثريون.



حبيبة جوف ، وأم هرقل الحديدى الجبار . . . وقد ذكرت لى أنها تزوجت من كريون بعد ، فأنجبت له ابنته ميجارا ، زوجة ابن أمفتريون . . . ؛ . . . ولقيت الحسنة يوكلسته أم أوديوس الملك التعس . الذى تزوجها وهو لا يدري أنها أمه بعد أن ذبح أباه ، فصبت عليه السماء سياط عذابها ، وذهب على وجهه فى الأرض حيران ، أما أمه فقد سبقت روحها إلى هيدز بعد إذ شنت نفسها فى سريرها ؛ تاركة ولدها لربات العذاب يسمونه الخسف ويحرقونه الأوصاب . . . ولقيت الغادة الحسان خلوريس التى هام بها نيلوس ونثرت قدميها هداياه ، فأسلست له ، ورزق منها أبناءه الثلاثة نسطور وخروم وبركل ، الميامين ذوى المجد . . . ثم كهنتى ليدان زوجة تندار ، أم كاستور الصنديد وپوللكس الملاكم العتيد ؛ إنهما ينعمان بنعمة زيوس أبى الآلهة ، فهما يتبادلان الموت والحياة ، سنة<sup>(١)</sup> فسنة<sup>(٢)</sup> ، وفاء منهما ومحبة وإعزازاً . . . ؛ . . . ثم رأيت إفيمديا الحبيبة التى نخرت هميام نبتيون والتى أنجبت له طفليه الجميلين أوتوس وإفالت اللدين بزا بجها لهما كل من دب على وجه الأرض ، باستثناء أوريون . . . يالهما من طفلين !! لقد شبا نيران الحرب على آلهة السماء وحاولا رفع أوسا إلى قمة الأولمب فجعلا بليون على أوسا ركاما ، وقد أوشكا أن يفلحا لولا أن ذبحهما زيوس وولده أبوللو ليكونا عبرة لغيرهما . . . فى الموت ، هذا المعتدى على شباهما الغض ، فأذبل الخدود وأذوى الورود !

(١) وردت عنهما أسطورة رائمة سنشرها قريباً فى الجزء الثانى من كتابنا أساطير الحب والجمال عند الإغريق .

ورأيت بعد ذلك فيدرا، ولقيت آريادن المفتان وپروسيز اللعوب،  
 أما آريادن فقد حملها ثيزديوس من كريت إلى فراديس أثينا... ولكن  
 وأسفاه! إنهما تمتعت ثمت لا قليلا ولا كثيرا أفقد أصمتها ديانا الغادرة  
 بسهامها، وشهد فعلتها المنكرة باخوس العظيم... في ديا  
 ورأيت ميرا... وكيمينيه... وإريفيل التعسة التي قبلت أن تنال  
 ثمن روح زوجها من الذهب.

والآن!! وقد أوشك الليل أن يلقى علينا طيلسانه فما أحسبني  
 أستطيع أن أحصى زوجات الأبطال العظام وبناتهم اللائي لقيت في  
 هيدز، فأرجو لو أمر الملك فانطلقت لأستريح في سفينتي... أو هنا إن  
 أذن... وكلية ثقة فيكم وإيمان بالآلهة أنكم ستدبرون أمر إبحاري  
 إلى وطني حتى الصباح..



وسكت أودسيوس. وصمت الجمع المحتشد في الردهة الملكية فكان  
 على رؤوسهم الطير من روعة ما حدث، حتى نهضت أربتا الملكة،  
 ذات الذراعين العاجيتين، فقالت: «أيها الفياشيون كيف أتم وهذا  
 المهاجر النبيل الذي زادته الآلهة بسطة في العقل والجسم، وأضفت عليه  
 هذا البهاء وذاك الرواء؟ إنه ضيفي، بيد أنكم تشركونني في ضيافته  
 والاحتفاء به، نغليق بكم ألا تسرحوه على عجل كما يجب، بل حرى بكم أن  
 تستبقود أيا ما حتى تلغوا عليه، وتقدموا له أطرف الهدايا وأعز اللطهي  
 وتُفيموا عليه مما حبتكم السماء، فكلكم غنى جهم الغناء، مُشْرِ واسع  
 الثراء... وتكلم البطل إخنيوس، أكبر أمراء فياشيا وأتلد هم ذكر أ

فقالت : « إن مليكتكم ذات المجد والكبرياء يا أصدقاء لا تبدي رغبةً فحسب ، بل هي تصدر عن إرادة عالسة وأمر سني ، فخذوا لو أصختم وصدعتم... على أن كل شيء هو رهين بمشيئة الملك ، فليس يرَ إذن رأيه » .  
وقال الملك : « إنى أوافق على ما رأت الملكة ، زهرة فياشيا وسيدة البحار ؛ ليق الضيف إلى غد إذن ، برغم ما يحذوه من الشوق إلى بلاده ، حتى أسبغ عليه ، وأدبر أمر عودته التي يُعنى بها الجميع ، وكأنما صادف مقال الملك هوى في فؤاد أودسيوس ففض وقال : « ألكينوس يا ملك فياشيا العظيم ا بودى لو بقيت هنا عاما بأكمله ليتم الملك نعمته على ، وليدبر أمر عودتي سالماً إلى أرض الوطن... فسا أجهل أن أعود بالعطايا والهدايا والنعم ، لأملأ عيون مواطني ، ولأكسب احترامهم وأنال محبتهم بعد طول السأى وفدح البعاد » .

فأجابه الملك : « لله ما أروع ما حدثت يا أودسيوس ! ويكأنما حدثت بلسان ساحر عليم يهرج القصص ويوشق الأخبار ، ويروق ويروق ، في زكاته وفطانه وحذق وترتيب ؟ أبدأ ما حملت هذه الأرض ألب منك ولا ألبق في رواية وتحديث ، وأبدأ ما تساكبت الموسيقى والنغم الحلو من لسان كلسانك الذرب الحبيب ! ولكن ماذا عندك من أخبار الأبطال الإغريق ، الصيد الصناديد ، المذاة المذاويد ؟ حدث يا أودسيوس ! قل ، قص علينا أخبارهم ؛ أرأيت أحداً من شهد معك وقائع طر وادة ؟ إن الليل لا يزال في عنفوان يا صاح ، وما بأعيننا من سنة فناوى إلى فراشنا في مثل تلك الساعة ؛ هلم فحدثنا ، فبنا إلى حديثك شغف ، وكلنا إليه شوق ، ولو حدثت حتى مطلع الفجر ، إن لم ينل منك وصب أو يعيبك ملال » .

وقال أوديسيوس : « بورك سيد فيا شيا الملك الكينوس الايزال في الوقت متسع للحديث وللنوم معاً ، وإن شئت حدثتك لطائفة من الأحدث عن أبطال الإغريق سواء منهم من ثوى تحت أسوار طروادة ومن أفلت من الموت ثم فترصدته المنايا في أرض وطنه حسباً من كف زوجه الأثيم الزنيم ! إليك إذن : ... وحينما هتفت برسفونيه -- ربة هيدز -- بأشباح العذارى وأرواح الحسان فاثنتين عى إلى ظلمات دار الفناء ، بدالى طيف أجاممنون -- ابن أترىوس -- ومن حوله كوكبة من أشباح الذين قتلوا معه فى داره بيد إيجستوس ... أهرع إلى الدماء فرشف مها رشفات ، ثم نهض فعرفى ، وكأما شاعت فيه رعسة من الدهشة والذعر ، وتحدرت دموعه الحرار السخينة فوق خديه ، ثم مد إلى ذراعيه يود لو عاقنى ، ولكن ... وا أسفاه اوهل يعانق الشبح إنسياً ؟ ا وبال منى الحزن فبكيت من هذا المنظر الفادح الأليم ، وفلت أكله فى أسلوب بائس وعبارة باكية . ويحك يا ابن أترىوس يا ملك الدنيا العظيم ماذا جرعت كأس المنايا ؟ خبرنى ا هل جرعتها فى قرار اليم مغرقاً بيد نبتيون أم فوق ظهر الأرض حين كنت تسوق قطعانك ، أم قتلت وأنت تحارب من أجل بنات أخايا إذ هن محاصرات خلف أسوار مدينتهن ؟ ا » فقال يحيى : « أودسيوس الزعيم النبيل ، يا ابن ليرتس الحكيم أبدأ ما مت مغرقاً بيد نبتيون . ولا فوق ظهر الأرض فى حومة حرب زبون ، بل ذبحنى اللثيم إيجستوس بعد أن دبر غيبتى مع زوجتى الأثمة ، حين ملسق<sup>(١)</sup> لى وبالغ جهده

(١) ملق فلاناً وملق له تودد .

في الاحتفال بي ، ثم ذبحني كما يذبح الثور في مذوده وكر على رجلى  
 فذبحهم كما تذبح الخنازير لوليمة في عرس أو في حفل لزعم عظيم . أوه  
 أودسيوس الا جرم أنك قد شهدت ألف معركة ومعركة جنسدت  
 فيها أبطالاً وراء أبطال ، بيد أنها جميعاً لم تك شيئاً في ذلك الحدث  
 الرهيب ! لقد هويانا فنحبط في دماننا التي ضرجت الأرض ، تحت  
 أخاوين<sup>(١)</sup> حافلة ناطيب الآكال وأشهى الأشرات ... ثم . . . جاجلت  
 في أذني الصرخة الرهيبية . صرخة ابنة پريام ، فكانت ما أروع  
 وما أهدح ! لقد انبطحت على الأرض إلى جانب كاسندرا ، قتيلة بيد  
 روجتي كليتمنسرا . . . ومع ذلك لم أفقد الأمل يا صديقي بل حاولت  
 أن أمشق جسرأزي ، لكن الخائفة انسحبت كالأفعى ، ولم تعبا بي ،  
 بل لم تشأ أن أعغمض عيني ، أو تسند ذفتي ، في اللحظة التي أوشكت  
 أن أطرق فيها أبواب هيدز ؟ اويلاه ! وويل على المرأة التي طاوعتها  
 يدها فأتت هذا المنكر . وار تكبت إثم قتل زوجها ورفيق صباها !!  
 لقد حسبت حين عدت أدراجي أنني سأقابل بالأهل وبالسهل من  
 أبناء وأهلي وحاشيتي ، ولكنها . . . الفاجرة الغادرة ، التي برزت  
 بفضورها كل صنوف الفجور ، قد سحبت على نفسها أذيال العار  
 والخزي ، بل هي قد سحبت أذيال الامار والخزي على كل شيء لم ترالنور  
 بعد ، وعلى كل الصالحات الطيبات من بنات جنسها . . .  
 وسكت أجامنون ، فقلت بدوري : « يا سماء !! ما أقسى ما قصت  
 يدريوس على بيت أنريوس منذ البدء ! كاه من الآثي دائماً ! لقد

(٢) أخاوين وخون وأخونة ، جمع خوان موائد الطعام

قتلنا في غير رحمة ولا رفق من أجل هيلين<sup>(١)</sup>؛ وتدبر لك كليتمنستر أن  
تلك الفعلة بينما أنت نازح بعيد عن ديارك ١١ ،

قال : « من أجل ذلك أوصيك ألا تلين عريكتك لامرأة قط ،  
وَألا تجعلها موضع شرك ومحل ثققتك ، بل إن أسررت لها بشيء ،  
خفيء عنها أشياء ، هذا وإن تسكن زوجك وفيه خالصة لك ، لا يخشى  
عليك منها رفق . ولا غدر كهذا الغدر ، لأها ابنة إيكاريوس وحسب  
ذات الحصافة واللب ، لقد غادرناها ولما تزل عروسا يوم غادرناها إلى  
اليوم . وعلى صدرها الوفي ولدك الحبيب ، الذي ينتظرك لطفان ليضمك  
إلى صدره يوم تعود إلى إيثاكا ... وإنك إلى إيثاكا لعائد ، وبذا قضت  
الآلهة ... أما أنا فوا أسفأ على أورشليم ، ولدى المسكين ، الذي قتلته  
الغادرة قبل أن أتزود منه بنظرة ! اسمع يا أوديسيوس ، أصغ إلى ،  
إني سأفئ عليك من كنوز خبرتي وتجاريبي ، عليك بالسرف في أوبتك  
إلى وطنك . واستعن على رحلتك بالكتمان لأنه لا ثقة في امرأة بعد  
اليوم<sup>(٢)</sup> ... ولكن اصدقني بربك ، أين يأوى ولدى الآن ؟ هل يقسم  
في بيلوس ؟ أم يثوى في أرخوميثوس ؟ أم هو يستدرى بذرى جدته  
أمى الحببية ، في قصرها المنيف بأسبرطة ؟ إنه لا يزال حياً يرزق ،  
ولم يأو بعد إلى دار الضلال هيدز . واعتذر إليه أنى لا أعلم إذا كان  
حياً يرزق أو أنه غدامن أشباح هيدز ، وظللنا نتحدث شجون الحديث ،  
ونذرف الدموع على كل ذكرى حتى وافى شبح أخيل البطل ، ابن بليوس

(١) التي فر بها باريس وكانت سببا في حروب طروادة ( إقرأ قصة الإلياذة لنا )

(٢) وهكذا عاد فاستمسك برأيه في النساء حتى في بنلوب

العتيد ، وفي إثره شبح ترزبه بتروكوس العظيم وبمقربة منه طيف أنتيلوخوس يتدهدى مع طيف البطل المغرار أجاكس الذى امتاز ببسطة الجسم وجبروت المظهر على الجميع ما عدا بيليدس وحده . . .  
وعرفنى شبح العدة الكبير إياسيدس<sup>(١)</sup> فقال مخاطبى فى خفة وظرف :  
« أوديسيوس يا رجل الدهاء والخدع : أى تدبير ليست فيه تدبيرك  
الماضية وحيالك السوالف شيئاً ما ، أئى بك إلى هذه الدار ؟ أضيف  
أنت ؟ أم هو طيشك وقلة مبالاتك جعلاك تضرب فى دياجير هيدز ؟  
هيدز الرهيبه بيت الأرواح والظلال والأشباح ؟ ، فقلت : « أحيل !  
يا ابن بليوس العظيم ، يا أشجع أبناء أخايا قاطبة ، لقد سمعت إلى  
شطمان إبثا كا الصخرية ، لأنى عيبت بالزوابع والعواصف فى عرض  
اليم ، فما استطعت أن أصل إلى أخايا أو أن أرسو فى بلادى . . . إنى  
أغبطك يا أخيل من أعماقى ! فلقد عشت فى هناء وعز ، وبجأك  
الناس كأحد آلهتهم ، وهما أنت ذاتك تحكم هنا وتنهى وتأمر على جميع هؤلاء  
الموتى ، فما أجدرك ألا تأسى لأنك مت هذه الموتة فى الدار الأولى ،  
وأجانبى على الفور : « أوديسيوس ذا الذكر ، لا تخالن عزاء يخفف  
من وطأة الموت ! لقد كنت أوتر أن أعيش فى الدنيا كأحقر الأجراء  
الأذلاء ، وأتبلغ بلقعات قليلات لا تقيم أود الشميخ الفانى ، على أن أقيم  
هنا ممسكاً فى جميع هذه الأشباح والتهاويل ! ! ولكن تعال ؛ هلم  
فحدثنى عن ولدى الحبيب ، هل وصل ما انقطع من حياتى الحربية ،

(١) قد يكون هذا من أسماء أخيل

أم هجر السيف وطلق المعمة ؟ وحدثني عن أبي بليوس الكريم ،  
الأيال يتمتع باحترام الناس وتبجيلهم وحب المير ميدون<sup>(١)</sup> وفدائهم ،  
أم تجرد من الأبهة ونزل على حكم المشيب والكبر ، والأيام التي  
أوهنت عظامه ؟ أو اه يا أبتاه ! ليس لك اليوم أخيل كان ينشر الرعب  
في جنبات طروادة ؛ أو اه لو وسعني أن أعود إليك لحظة ، إذن لقسرت  
الناس على الخضوع لك ، ولأرغمت كل جبار عصي على تمليكك وبذل  
العبودية لك ، بدل الثورة بك ، وقلة الاحتفال بشيخوختك ، . وقلت  
أجيبه : « أنا لا أعلم لي بما كان من أمر بليوس أبيك ، ولسكني ذاكر  
لك ما ترامي إلى من أخبار ولدك نيوبتلوس<sup>(٢)</sup> لآني حملته على  
سفائني من سكيروس إلى الجيوش الحاشدة من أخايا ؛ ولقد كئنا نجتمع  
للشورى<sup>(٣)</sup> تحت أسوار إليوم فما كان يتكلم إلا لماماً ، وما كان ينطق  
عن الهوى إذا فعل ، وإذا استثنينا نسطور . . . و . . . وأنا . . . فما كان  
أحد ينهض إلى مقامه ، أو يقارن به من جميع الأبطال الإغريق . . .  
وكنا نكر حول طروادة ونفر ، فما أعرف أن أحداً كان أجراً منه  
كراً ولا أحذق فزاً . . . ولقد جندل من أبناء طروادة الصناديد  
أقرانا وفرساناً حتى ما أستطيع سرد أسمائهم جميعاً ، بيد أني أذكر  
فيمن أذكر منهم يوزيتيلوس بن تلفوس البطل الذي أغرى (پريام)  
الضاعة بالرشى لمقتنجه نحوض غمار الحرب إلى جانب الطرواديين ،

General

(General)

(١) جتولا أخيل سقى مخروجه طرواديين

(٢) هوبيروس في مأساة راسين (أندروماك) د - خ

(٣) يحسن بالقارىء أن يذكر أن أخيل قتل قبل سقوط طروادة .



فما زان به حتى خاضها هو وجنوده السيتيون . . . لله ما كان أجمل  
وما كان أروع !! أبدا ما رأيت زعيما ولا سيد قوم ، باستثناء ممنون ،  
أبهي منه ولا أصنى جمالا ! وما أنس لا أنس يوم حصان إبيروس  
الخشبي ، يوم قمت أنتخبر الصناديد المذاويد من أبناء هيلاس ليكونوا  
معى داخله . وكنت على أن أظل عند بابيه السرى لأرى فى فتحه  
أو إغلاقه ما أرى . . . لا أنس ما كان من هلع أبطالنا وذعرهم  
وذهاب نفوسهم وتحدر دموعهم من هذه المهمة رعباً وقرعاً ؛ أما بلدك ،  
فيأما كان أشجع ، ويأما كان أربط جأشاً !! إن عبرة واحدة لم تنسرق  
من عينيه ، بل إنه كان يحشنى ويحرص جد الحرص على أن أختاره .  
حتى إذا فعلت تقدم متبخترآ يجر رحه الظمى ، ويغلى صدره بنار  
الانتقام يورد لو يصبها على طر وادة وأبنائها جميعا !! واما إن فُتحت  
علينا ، وأبنا منها بالعنائم والأسلاب والسبي حتى نظرت إليه فبل أن  
يبهر فما وجدته يشكو رميةً ، ولا يئن من جرح . ولا أثر فى جسمه  
لخدش مما تصنع الحرب ، وما تسجل فعال مارس .

وزهى أخيل من كثرة ما أثبتت على ولده فرأج يتخايل ويدل  
وسط شجر السبر واق (١) . . . وكانت جموع من أشباح الموتى تملأ  
الرحب ، وقد جلس كلُّ أو هام على وجهه يبكى ويتكوى به لغير سميع .  
وقد رأيت بينهم شبح صديق التيلامونى - أجاكس - وكان يحدجنى  
فى الفينة بعد الفينة ، ولكنه لم يشأ أن يكلمنى !! آه ! إنه لا يزال ينقم  
على ما شجر بى وبى وبينه من نزاع على عُدّة أخيل ( بعد مقتله ) ،

(١) شجر كان يزرعه اليونانيون على قبور موتاهم وقد ذكره الفيروز ابادى .

وما كان من طلب ذيتيس<sup>(١)</sup> ألا يلبس دروع ولدها سواى ، ثم ما كان من تأييد مينرفا للأم الرؤوم فيما طلبت . لقد كان انتصاراً لى . كم كنت أؤثر ألا يكون ، لأنه كان فيما يبدو سبب مقتل أجاكس المغوار الذى لم يكن فينا من هو أشجع منه إلا أخيل نفسه ... ولقد وجهت إليه ألين الخطاب لَأَفُلَّ من سورة غضبه . فقلت له : « أيها العزيز أجاكس . يا ابن تيلامون المجيد ، أما تستطيع أن تغضى وأنت فى الدار الآخرة عما شجر بيننا بسبب هذه العدة المشؤمة ؟ لعنتها الآلهة من عدة كُتبت فوقها صحيفة موتك ، نخسرنا فيك أشجع فرسانا وأعظم مقاتلينا ! إنا ما نفتأ نبكىك ونشكو رُزْناً فيك ، ونعد ففقدك كففقدنا أخيل نفسه ا ولكن لا تثرىب على أحد قط ، فجوف كبير الآلهة الذى ما ينفك يصب لعنته على جيوش آخايا ، هو الذى قضى عليك بالموت . أيها البطل هلم نحوى كما تسمع إلى السكلم الطيب الذى أجد أن أترضاك به ؛ لتخمد جذوة الغضب على فى نفسك ، ولنحسم ما بيننا من خصام ! » بيد أنه ما حرك شفتيه . بل لوى عنانه وانخرط فى جماهير الأشباح الهائمة ، وترك الرغبة الملحة المشتعلة فى صدرى شوقاً إلى تكليمه تنظفء رويداً ... فقلبت نظرى فى الأرواح القريبة عسى أن أعرف منها أحداً فأحدث إليه ، فلمحت بينها مينوس سليل جوف الأكبر ، وكان يجلس على عرش ممرد للقضاء بين الموتى ، وفى يمينه صولجانه الذهبى الثمين ، ومن حوله زرفت جموع سكان هيدز ، فمنهم الواقف ومنهم الجالس ، ومنهم المنتصب يشرح للقاضى شكواه ،

(١) أم أخيل وهى إحدى عرائس الماء .

ويشبه بلواه ، بينما قد أهطعت الرؤوس وانحبت النفوس . وتكأ كأت  
الموتى عند البوابات الكبيرة الهائلة تنتظر دورها ... ثم راعنى أن أرى  
بين تلك الجموع أوريون الجبار يسوق قطعانه التى ذبحها بيديه فى الدار  
الأولى ، وهو يرهاها على أوراق البرواق ... ورأيت فى من رأيت  
تيتوس الجبار ، سليل هذه الغبراء ، وقد كان منبطحاً على الأرض  
بحيث يشغل فضاء تسعة أفدنة ، وعلى كل من جنبيه أفعوان هائل أرقم  
يتغذى بمضغ من كبده الكبير الدامى ، وينغب من أحشائه الغلاظ ،  
جزاءً بما حاول أن يستذل لاتونا اللعوب الطروب ، عشيقة جوف  
سيد أولمب ، التى فرت من وجهه فى بطأح بيتو إلى فراديس بانويوس .  
ثم رأيت تانتالوس فى ضعف من العذاب رأيتته يتخبط فى عين  
حمئة من حميم ، وقد غاص فيها إلى ذقنه ، والموج يضرب وجهه ويسفغه ،  
وهو مع ذاك يلهث من الظمأ ، لا يجد ما يبل به غلته ، أو يطفىء  
جسوده<sup>(١)</sup> وصداه فهو إن حى رأسه غمرته اللحم ، وإذا رفع  
جسمه كزّت الأرض على قدميه بأمر ربها فهو فى عذاب مقيم ...  
ولله أشجار الفاكمة دائية قطوفها فوق رأسه ، من رمان حلو وتفاح  
عطرى ، وتين معسول وزيتون ، كلما اشتهى أن يقطف ثمرة وكاد ،  
هبّت الرياح عاتية فذهبت الغصون عالية فى السحاب ١١ . ثم رأيت  
سيسفوس ذا الأنياب يضنى ويشقى ويتعذب ؛ يدفع أمامه حجراً  
جلوداً عظيماً يجعله فى رأس جبل ، حتى إذا انتهى إليه غاصت الأرض  
من تحته بقوة خفية فكانت بئراً عميقة ، فيهوى الحجر من عل .

فيعود المسكين إلى نصيبه عوداً . . . على بدء ، ويتحدر عرقه على  
 جسمه العظيم ، ويتبخر من رأسه كأنما ينقذ من بركان . . . ثم شهدت  
 هرقل الحدبدى القوى الجبار . . . شححه فقط ، لأنه هو قد منح بركة  
 الآلهة وخاودها ، وهو أبدأ يحضر ولائها في شعاف الأولب . . .  
 شهدته يحتضن ابنة جوف الجميلة المفتان . هيب . ذات القدمين الناصعتين  
 والنعلين الذهبتين : رأيته وأشباح الموتى ترف من حوله صافات  
 كالطير ، ثم يقبضن . . . وراعى أن أراه عابساً كالحأ كقطعة من  
 الظلام . وقد حملت بعينه في الأرض وفي يديه قوسه وسهامه يوشك  
 أن يرميها ، وعين وسطه حزامه الرائع المموه بالذهب ، وقد نقشت  
 عليه صور مئات من الدبية والنؤبان والسباع ، ينقذ الشرر من  
 غيرها ، دائمة في عواء وزئير وتقاتل ونهش ، صنعة معجزة لم يقدر  
 على مثلها أحد من قبل ولا من بعد . . . وما كاد يتبيننى حتى عرفنى ،  
 وظل يقلب في عينيه السادرتين . ثم قال لى : « آه يا ابن ليرتيس النبيل  
 ذا المجد ما أتعتك ! ما أظنك إلا معنياً ببعض المجازفات التى كنت  
 أشغف بها فى حياتكم الدنيا . . . ها أنت ذا ترائى هنا ، فى ظلمات  
 هيدز . عبداً رقيقاً لإله أحقر منى شأنأ وأقل قدراً ، لائى وأنا ابن  
 جوف الأعظم ، قد كتب على أن أشقى هنا لأصل آلام الحياة  
 ولأواها . . . أتصدق أنه يأمرنى أحياناً أن أسوق كلبه ، مع ما فى  
 هذا الأمر من سخرية وتحقير ؟ ولكنى لن أنسى أنى جذبت من  
 ملكسته هيدز إلى نور الحياة الدنيا بمساعدة أخى هرمنز ، وبمعوثة  
 ميترقا ذات العينين الزبرجديتين ، ثم هام على وجهه فى ظلمات مملكة



# تمام قصة اوريسوس

١ - السيرينات المغنيات

٢ - سكيلا الهولة

«والآن ، وقد احتملنا العباب ذو الرشد ، وذرعنا اليم المتراحي ،  
وعتمنا نضرب في موج كالجبال ، فقد وصلنا بعد لأى إلى جزيرة إيايا  
المرجانية حيث ترتع أورورا ابنة الفجر الوردية وتلعب ، وحيث مطلع  
الشمس وراء البحر المضطرب . . . وألقينا من أسينا ، وتلبثنا فوق رمال  
الشاطئ نرقب انبلاج الفجر ، حتى إذا لاحت تباشيره أرسلت طائفة  
من رجالى إلى قصر سيرس فأحضروا جثمان إليفور (الذى خر من السطح  
فدبح عنقه) ثم إننا بكيناه أحر البكاء . وجمعنا له من الخطب  
والخشب ما وسعنا ، وطرحتاه وسط الكومة التى صنعناها من هذا  
الوقود ، وطرحناه معه سلاحه ، وأقننا إلى جانبه مجدافه العظيم ؛ ثم أدبنا  
له الشعائر الجنائزية التى أرويناها بأذكى دموعنا ، وأشعلنا النيران بعد  
إذ أقننا نصباً جليلاً ، تحية وذكرى ولم تعلم بعودتنا سيرس<sup>(١)</sup> ، بيد أنها  
مع ذلك أقبلت فى ررب من وصفاتها الحسان الأتراب يتهادين نحونا ،  
حاملات دنائنا من أكرم الخمر . ووقفت بيننا العروس الهيفاء ثم قالت :  
« ويحكم أيها الأشقياء كيف حلالكم أن تموتوا مرتين بينما يموت

(١) نطقها اليونانى كبركة ونحن نفضل النطق الحديث دائماً

جميع الناس مرة واحدة؟ ولكن تعالوا هلموا إلى طعامكم، وتحسبوا من هذه الخمر لتقضوا يومكم فوق رمال الشاطئ. في شراب وآكل، فإنكم ضاربون في ظلمات ذلك البحر بجزر غدو. وإنى منبئتم عما يروءكم في طريقكم عسى ألا تضل بكم. وياما أكثر ما تتجشمون من أهوال في البر والبحر!، ولينا دعوة الربة المضيايف، فأقبلنا على طعام شهى وشراب رفوي طيلة يومنا، حتى إذا توارت ذكاء بالحجاب، وشملنا ظلام الليل، تطرح رجالي فوق الرمال النسائمة، ثم انتحيت أنا وسيرس ناحية، وجلست قبالتها، وراحت هي تحدثني وتقول: «أما وقد أوشكت متاعبك أن تنتهي، فأصغ إلى، إفقه ما أقوله لك وتدبره، فهو وحي يوحى إليك من السماء ينفعك إذا جذبك الجد، وأزفت حولك الآزفة.. ستصل أول ما تصل في رحلتك عبر هذا البحر إلى جزيرة السيرينات الشاديات اللاتي يسحرن بغنائهن القلوب، ويحلبن بجرسهن الألباب، ويطيبين<sup>(١)</sup> كل من أوصله سوء حظه إلى جزيرتهن بجلو تطريهن وجميل شدوهن حتى ليلصق بأرضهن وينسى آله وأوطانه، ولا يخطر في باله أن يعود إلى بلاده ليهنأ بلقاء زوجته الحبيبة وأولاده الأعراء، بل يجمد مكانه من الشاطئ حيث يكون بمسمع من السيرينات وتكون عن يمينه وعن شماله رفات الضحايا الكثيرين الذين عرجوا من قبل ليشنفوا آذانهم بغناء أولئك العذارى فجمدوا مثله، وذهلوا عن أنفسهم حتى ذووا، وذبلوا وضووا، وحق بهم الفناء بينما يخطر السيرينات بين شجر

(١) اطبي القوم فلاناً خانوه وقتلوه .

الرواق مهاديات فوق السندس الحلو الجميل . . . فأوصيك أن تفرغ في آذان رجالك من سائل الشمع قبيل أن تبلغ أرضهم ، فإنهم بذلك لا يسمعون شдохن ولا يسحرون بغنائهم . أما أنت ، فلك أن تنصت إلى ذاك الغناء إن شئت ؛ بيد أنه ينبغي أن يشد رجالك وثاقلك في قلع سفينتك شدأقويأ محكأ ، فيربطوا ذراعيك وساقيك بأمراس وأحبال ، حتى لا يسببك ما يُشنف أدنيك من غناء وشдохن فلا ترضى إلا أن تتوى بأرض السيرينات ؛ فإذا اشتدباك الوجد من سحر ماتسمع وطلبت إلى رجالك أن يخلوا عنك لزم أن يزيدوا في رباطك ويحكموا وناقك أضعاف ما فعلوا بك من قبل . . . فإذا مجزتم تلك الجزيرة وغابت مناظرها عن أبصاركم . فلرجالك أن يطلقوا سراحك . . . على أنني لا أدري أى السبل ينبغي أن تسلكها بعد هذا ، فهالك طريقان أحلاهما مر ، وأيسرهما غناء وضر ، وإني وأضفة لك كليهما وأدع لذكائك أن يختار لك . . . إنكم بالعون في سبيلكم إلى صخور هائلة نائمة في البحر ، تتكسر فوقها أواذيه ، وترطم بجلاميدها أمواجه ، وتدافعه على أحيادها أمفتريت ( زوحة نمتيون ) الجبار . وقد أطلق الآلهة على هذه الصخور اسم ( إيراتبك ) وهى قلال موحشة لا يستطيع مخلوق أن يقترب منها ، ولا يجسر الطير أن يهبط فيها ، بل طير أينا جوف نفسه الذى يحمل إليه غذاءه الإلهسى المقدس لم يجازف مرة فخط فيها يستجم من سفر ، ولما يعلم من أنها مهلكة زلقة . ولم ترس عندها سفينه قط إلا ارتطمت فوق توتها وهوت إلى القاع بما حملت ، أو ابتلعها العواصف اظوج فغابت



حيث لا يدري أحد. ولا يعرف أحد سفينة جازت مهالك هذه الصخور إلا السفينة (آرجو) التي حاطتها جونو<sup>(١)</sup> برعايتها رحمة بجاسون وحناناً من لدن سيدة الأولمب ، حين أقلعت من جزيرة إيايا ، وقوام تلك الصخور هضبتان شاهقتان شاهقتان ، تمثل إحداهما صنماً هولةً ضخماً يضرب في السماء بروّقيه وتتراكم فوقه منذ الأزل ثقال السحاب التي لا يذيبها خريف ولا صيف ، لأن الشمس لم تنشر عليها أشعتها قط ... ولو أن أحداً من العالمين له عشرون يداً وعشرون رجلاً ما استطاع أن يرقى عليها أبداً . لأنها ملساء ناعمة كأنما صقلتها يداً مثال صناع .. وإن في سنده<sup>(٢)</sup> الغربي لكهفاً سحيقاً نقر ثمة باسم إريوس<sup>(٣)</sup> ، وإني لأحذر ك أن تقترب منه حين تجوز به يا أوديسيوس ، بل كن بنجوة منه ، بعيداً بقدر ما تستطيع ، أو على الأقل على مرمى سهم مرش من سفينتك إلى وصيده ، ذلك لأنه مأوى سكيللا<sup>(٤)</sup> الخيفة التي تدوّى بصوتها وعواثها ، ويفرق الناس والآلهة من وجهها المسكلم القبيح ، وحسبك أن تعلم أن لها اثنتي عشرة قدماً كلها أمامية ، وأن لها ستة أعناق طوال ينتهي كل منها برأس كبير فظيع ، سلاح بثلاثة صفوف من أنياب حداد أصلها ثابت وحشوها سم زعاف ، وهي تربض في غور كهفها السحيق ، بينما أروؤسها بارزة من فوهة الكهف تبحث في الماء عن الدلافن وكلاب البحر ودواب الماء وجميع حيوان مملكة أمفريت وليس يجسر بحار أن يفخر بأه نجما مرة من شرها فهي تنقض كالصاعقة على السفينة العابرة ، وتلتقم

(٢) سنده جابه  
(٤) ونظفها الأصلي سكولا

(١) هي حيرا زوج زيوس كبير الآلهة .  
(٣) إله الظلمات الذي تزوج من أمه (ليلة)

بأفواهها الستة الجائعة ستة من بحارتها مرة واحدة تقضمهم قضمًا . وتلقاه  
هذه الهضبة ، هضبة أخرى على مرمى سهم يا أوسيسوس وقد تمت فراقها  
تيسة برية كبيرة ذات أفذان وعساليج حائيات فوق الماء ، وتحتها عين  
خارٍ بديس الحمئة التي يغيض فيها ماء البحر كله ثم تعود فتَمُجُّه ثلاث  
مرات في اليوم . ويك أودسيوس اخذوا حذركم افوالله إنكم إن  
دنوتم منها فإنها تبتلعكم ، ولا يستطيع نبتيون نفسه بعد ذلك أن ينجيكم  
وإني أرى أن تدنوا من الصخرة الأولى فتلتقم سكيللا ستة منكم ، فهو  
حير لكم من أن تغرقوا جميعاً « وسكنت سيرس ، وقالت أسائها :  
« بحق الآلهة عليك يا ربة أن تخبري : أما أستطيع أن أنقذ رجالي  
المساكين من سكيللا إذ نجونا من خارٍ بديس ؟ فقالت تحييني : « أيها  
التعس ، أما تفتأ تحن إلى مجازفات الحرب و خوض غمار الوغى ؟ إنه  
لا سلطان للآلهة نفسها على سكيللا . وهي ليست مخلوقاً مما يجوز عليه  
الفناء ؛ بل هي غول سرمدى شديد المراس ، شكس شديد الشراسة ،  
لا يغالب أحداً إلا غلبه ، فأطلق سفينتك للريح ، ولذ منها بالفرار .  
وإياك أن تفكر في التسلح لها ، فهي لا بد ملتقمة ستة من رجالكم ، وإذا  
حاولت مدافعتها فإنك منهم ١١ فإذا بعدت فاضرع إلى كراقيس ، أم  
هذه الهولة التي هي إلى الأبد طاعون للبشر . أن ترد كيد ابنتها عنكم فلا  
تتبعكم في سبيلكم ولا تلتقم منكم أكثر مما فعلت . . . وإنكم بالغون  
( ثريناشيا ) بعد هذا حيث ترعى الربتان الحسنواوان : لمستبا وفييتوزا  
ابنتا هيريون من عروس الماء فيرا ، قطعان أبيهما السهجة التي يشمل كل

منها خمسين شاة ذوات صوف ناعم كالنلج .. وكل هذه الشاة يرعى  
ثمة باسم رب الشمس العظيم . فإذا كنتم حقاً تشرفون لبلادكم ،  
وتتحرقون شرفاً إليها ، فاحذروا أن تصيبوا تلك القطعان بسوء . فإنكم  
إن فعلتم غرقت بكم سفينتكم وذهب رجالك أبابيد أما أنت ، فتنجو  
بعد لآي وبعد نضال وأهوال ، فتصل إلى بلادك ملوماً محسوراً ،

وتنفس الصبح الندى الرحي وذهبت تبتخرت وتجرر أذيالها إلى  
قصرها المنيّف ، وذهبت أنا إلى الشاطئ فأيقظت رجالي ، وأمرتهم فجروا  
السفينة حتى استوت في الماء ، ورفعت مراسيها . ثم جلس كل إلى مقعده  
وأعملوا أيديهم في مجاذيفهم فتدافعت الفلك في البحر . وما هي إلا لحظة  
حتى أرسلت سيرس ، الربة المقدسة ، نسيماً رخاءً كان خير رفيق لنا ،  
إذ كيفانا عناء التجديف ، فتطرحنا في المركب ، واشتدت الريح في غير  
عصف فأسرعت بنا ديراً كما . ثم كلمت رجالي وفي قلبي وجيب فقلت .  
« أيها الأصدقاء تعالوا أحدثكم عما نلّبت به سيرس لنا في رحلتنا هذه .  
فإنه سيان إن أفلتنا من العذاب أو تردينا فيه ؛ بل أردت أن أطلعكم  
على ما خبأته المقادير لنا لتأخذوا حذركم ، وتبرموا أمركم . ويكون كل  
على نفسه وكيلا . لقد حذرتي أن يستمع أحدكم إلى غناء السيرينات  
الشاديات وحلو تطريبيهن ، وأجازت لي وحدي أن أصغي إليهن . بيد أنها  
أوصتني أن أخبركم أن تشدوا وثاقى بأمن الأمراس في سارية السفينة  
فلا تطلقوا سراحي حتى نبعد عن جزيرتهن . وكلما رجوتكم أن تحلوا عنى  
شددتم وثاقى أكثر فأكثر (هذا إن أردتم أن نسكون بنجوة من الهلك

في تلك الأرض الملعونة ) . وهكذا نهبته غافلهم بتحذيري . ثم إننا انطلقنا في اليم ، وأخذنا نقرب من جزيرة السيرينات ، وعرفت ذلك لما هدأت الرياح لجأة ، ونام الموج ، وخفتت أنفاس الطبيعة . وشمل الركود كل شيء حولنا ، كأننا مسحت يد مقدسة علوية كل هذا الوجود الرحب . ونشط الملاحون إلى مجاذيفهم فالتع تحتها بساط الماء ، ثم نشطت أنا إلى قدر من الشمع فعالجته بسكين ، ثم قوّمته براحتي وتركته كي يلين قليلاً في أشعة الشمس ، ثم جعلت منه في آذان رجالي واحداً فواحداً . . . واستسلمت لهم بعد هذا فشدوا وثاقى في شراع السفينة شداً محكماً ، وجلس كل إلى مجدافه ، وانسربت الفلك في الماء تشقه وتجر جر فيه . . . وصرنا على مدى ما يبلغ الصوت من الجزيرة إلى آذاننا فأصغيت وأصغيت ، وإذا السيرينات الشاديات يتعنين هكذا :

« أودسيوس أيها الزعيم ايا من لهج بذكره كل لسان »

« ألقى في جزيرةتنا مراسيك يا نخر اليونان ،

« تلبست عندنا أيها العزيز وشفن أذنك بأغانينا ،

« فما من أحد جاز بجزيرتنا حتى عرج يتزود من هذا الغناء »

« ثم يقلع أسعد ما يكون ، وأظن ما يكون ،

« ذلك ونحن نعلم من أنباء ما أصابك كل شيء » ،

« ما خضت من معمعان طروادة ، وما أصابتك الآلهة من مصيبة ،

وما لقي قومك في كل مكان »

« تعال تعال . . . هلم نحدثك فعندنا علم كل شيء »

وهكذا شرع العذارى يسكنن إرنانهم الجميل في قلبي ، وكأننا كن  
ينفثن فيه السحر فيصغى ويصغى وتلح عليه الرغبة في الإصغاء ، ورحمت  
أنا أضرع إلى قومي أن يفكوا قيودي ويطلقوا سراحي ويخلوا بيني وبين  
السيرينات المطربات ، فلم يسمعوا لإشاراتي ولم يستجيبوا لتوسلاتي ،  
بل هبَّ يوريلوخوس وپرميديس فضاغفوا أغلالاً وشدوا على حبالى ...  
ثم بعدنا . وظللنا نبعث ونبعث ، حتى إذا كنا حيث لا يصل إلينا من  
شدو السيرينات شيء ، نهض رجالى فأزالوا ما كنت قد جعلته في آذانهم  
من الشمع ، ثم عمدوا إلى فأطلقوا سراحي ... وما كادوا يفعلون حتى  
أبصرت في ظلام العدم موجاً كالجبال كأنه ظلمات بعضها فوق بعض ،  
ورأيت دخاناً كثيفاً ينعقد في الحر . ثم إذا بي أسمع رعداً قاصفاً يصم  
الآذان ا وقد ذهل رجالى عن أنفسهم ، وطارت المجاديف من أيديهم  
فلم تعد تجددهم نفعاً ، ووقفت السفينة كأنها الأرجوحة على رأس الموج ؛  
وذهبت أنا أشجعهم رجلاً فرجلاً : أيها الرفاق ! ها نحن تلقى أولى  
عقباتنا . وهى ليست على كل حال أشد هولاً من مصيبتنا يوم حبسنا  
السلكوب في كهفه السحيق ، وكيف احتلت لفرارنا من وجهه ؛ وسيأتى  
يوم نذكر تلك الشدة المفاجئة بمثل الغبطة التى نذكر بها الشدائد  
السوائف . . . هلهوا إذن فاثبتوا في أما كنكم ، واصمدوا لهذا اللج  
المصطنع ، واضربوا فيه في جلد وصبر ، عسى أن يسكلكم جوف ربكم  
فينجيكم منه . وأنت أيها الربان أصغ إلى ، إنك تقبض على ناصية الحال  
فتحاش أن تقترب من هذا الدخان وتلك الأمواج الثائرة ؛ إبتعد  
ما استطعت عنها ، وخذ سبيل هذه الصخرة ، ذلك أدنى ألا تقذف بنا

في جمأة الخطر ... » وظللت أنفخ فيهم روح الصبر حتى فاءوا إلى أمرهم فاستقتلوا في مجاهدة الأمواج استتقتالاً . . . وتسلحت أنا بكل ما استطعت من عدة . وجعلت في يدي رحمين طويلين ، ووقفت أرقب سكيلا الهولة من بعد ، ولم أجسر أن أذكر كلمة عنها لرافقي حتى لا نفرغ أفئدتهم فرقاً فيهربوا من عملهم ويكتظوا في بطن السفينة مخافة أن يمسهم مها أذى ... وشرعنا نعبّر البوغاز ، .. ولشد ما أفرغني أرأى سكيلا ترمقنا وتتلظظ ، وقد انتصبت كالموت على الشاطئ القريب ، ثم أرى في الوقت نفسه خار بديس على الشاطئ الآخر تخرج في حلقها الرحب الفظيخ عباب الماء ثم تمجه ، فكأنما تقذف من جوفها ماء فائراً يعلو في الجو كالخيم ، ثم يهمر وبله في كل فبح ، وتعود فيفيض في البحر من بلعومها ، ثم تقذفه ، وهكذا دواليك ... يالروع ، ويالفرع الأكبر ا تالله لقد كنا ننظر ما تبدى خار بديس وما تعيد في جزع وفي هلع ، بينما كانت سكيلا تتوثب وتتوثب ثم ترسل رؤسها الستة فتلتقم ستة من رجالنا كانوا وأسفاه أشجعهم جميعاً ، وكان قلبي يتمزق حين راحوا يهتفون بي وينادونني باسمي وأنا كالذي أسقط في يديه ، ما أستطيع شيئاً فأصنعه ، بل أنظر إلى أذرعهم وأرجلهم تتقلب في الهواء وهم يصيحون ويمعولون ، وأنا ساكن ذاهل أقلب كفي ولا أفعل شيئاً آخر ! واحزنناه ! ما كان أشبه سكيلا المتوحشة بصائد السمك الذي أطعم سناره وأرسلها من فوق صخرة تداعب السمكة المسكينة ، حتى إذا حان الحين جذبها إلى أعلى تترنح هنا وهناك . هكذا كانت هذه اللعينة التي جذبت إلى كهفها أشجع رجالنا وراحت تقنات بهم بين الصراخ والبكاء ، وبين التوجع والأين ، وكلهم يمد إلى ذراعيه مستنجداً

مستغيثاً في قووط ويأس !! أبدأ ما وقعت عياني في جميع مخاطراتي ،  
على منظر أبعث للأسى ، وأعضد للنفس ، وأجرح للفقواد ، من ذلك  
المنظر الرهيب !

وما كدنا نقلت من سكيلا وخاربديس بعد تلك الفاجعة حتى  
اقتربنا من أرض الشمس ، حيث ترعى قطعان هيريون<sup>(١)</sup> الجبلية  
الكثيرة ذات الفراء الناصعة ... ولقد كنت أسمع ثغناءها ورغاءها  
إذ أنا على ظهر سفينتي في عرض البحر . وسرعان ما ذكرت ما قاله لي  
السكان الطيبي الأعلى ، تبرزياس في هيدز ، عن هذه القطعان ، ثم  
ما أنذرتني به سيرس سيدة إيايا من وحوب الابتعاد عن هذه الجزيرة  
التي كانت منذ الأبد غواية الدشر ، حتى قمت في رجالي فجعلت أحذرهم  
وأقول : « أيها الرفاق اسمعوا : هذه هي جزيرة الشمس الهائلة التي حذرنا  
تبرزياس السكان الطيبي من الرسو بها أو الاقتراب منها . وكذلك  
حذرتني منها سيرس ربة إيايا . فإن كل ما لقينا من أهوال ليس شيئاً  
إلى الهول الذي يحيق بنا إذا حملنا بها . فاسمعوا نصحي وسيروا بنا نذرع  
هذا البحر نسلم من شر مستطير ، وبلاء لا يجبرنا منه مجبره ، وكانوا  
يصغرون إلى في حيرة وذهول . وما كدت أفرغ حتى انتصب يوريلوخوس  
يرد على شئ جفيرة وضيق : « أوديسيوس ، أيها القاسي الطاغية ،  
أما أوهنت كل تلك الشدائد جسدك ؟ أم مخلوق أنت من حديد فما  
ترق وما تلين ؟ أتأبى على رجالك الموهوبين المسكودين أن يرسوهم هذه

(١) في بعض المصادر أن الشمس غير هيريون ، وفي بعضها أنها هو ، وفي بعضها أنه

أحد سواس عربتها .

الجزيرة الفيحاء المشبهة ليرىغوا بما بها من آلاء ، وليطعموا من خيرها الكثير ؟ أتصرفنا عنها بنزقك وقلة بصرك لنخبط طول الليل في هذا البحر الأجاج خبط عشواء مع ما تكون الريح عليه حينئذ من شدة وعنف ؟ خبرنا أيها الأحقق ماذا نصنع إذا عصفت بنا نكباء من الجنوب تحطم فلبكتنا ولا ينجينا من بطشها أحد حتى الآلهة ؟ أليس الأفضل لنا أن نرسو في هذه الجزيرة فنقضى بها ليلتنا ، حتى إذا انفلق الإصباح أقلعنا منها على هدى ؟ ! .

وحبذا الملاحون ما قال ، فدار في خلدي أن لا بد مما ليس منه بد ، وأن لا بد من وقوع القارعة الكبرى بنا ، فقلت في كلمات يائسات : « لا ضير يا يوريلوخوس ! وليس بي من بأس أن أخضع لما ترى الجماعة ؛ ولكن تعالوا جميعاً فأعطوني موثقتكم ألا تذبجوا شاة ولا تجزروا نعمة مما هنا من هذه القطعان ، مهما ألح عليكم السَّخَّابُ ، وأضواكم الجوع ... بل يكون حسبكم ما حملتم من آكال من عند سيرس ، .

وأقسموا أغلظ الأقسام أن يفعلوا ، ثم يعموا بالفلك في جون هادي فوق الشاطئ . ترتفع في وسطه نافورة رائعة ؛ فأرسوا ثم وتدفعوا وراحوا يعدون وجبة المساء ، بيد أنهم سرعان ما نسوا مسغبتهم حين تذكروا إخوانهم الذين غالتهم سكيللا ، وراحت تتغذى بهم أمام كهفها السحيق فأخذوا ويكونهم ويذرفون عليهم دموعهم حتى غلبهم النعاس ، فاناموا ... وفي الهزيع الثالث من الليل ، حين عبرت النجوم فكانت في كبد السماء ، ساق جوف رب السحاب الثقيل ريحاً جابت البر والبحر ، وغمرت بما منهمر ، ثم عقدت في الكون ظلمات فوق ظلمات يتدجى



بعضها في بعض ... ثم أشرقت أورورا الوردية ، فنهضنا من مرأقنا ، وسحبنا الفلك إلى غار كان لبعض عرائس البحر يقصن به أو يستروح فيه . وما كاد شملنا يجتمع ثمة حتى نهضت في رجالي أقول : « أيها الرفاق إننا ما يتقصنا غداء ، وما بنا من حاجة إلى أكل . فنعنا من ذلك الشيء الكثير ، فإياكم أن تمسوا هذه القطعان بأذى ، وحسبكم أن تعملوا أنها ملك خالص لربة الشمس التي تراكم أيها كتم ، وهكذا أيقظت في نفوسهم النخوة . ثم إننا لبثنا في هذه الجزيرة شهراً ما نرى عنها وما كان لنا إلى غيرها متحول ، ذلك لأن الدبور<sup>(١)</sup> ظلت تهب من الجنوب في صرامة وشدة ، فإذا هدأت ، لم تهدأ إلا لتهب ريح شرقية أشد منها عنفاً . ولم يمسا قطعان الجزيرة السائمة بأذى ما دام لم ينفذ ما كان معهم من طعام ، فلما تناقصت ميرتهم راحوا يتلمسون صيد البر والبحر ، أما أنا فكسنت أجوس حلال الجزيرة عسى أن التي لها أضرع إليه فيجعل لنا من أمرنا مخرجاً .. وبيننا أنا أجوب الجزيرة إذ بي أبعد كثيراً عن رفاقي . فبدأ لي أن أسكن إلى «نعطف دائي هادي» على سيف البحر . فأغسل<sup>(٢)</sup> يدي مما علق بهما من قدر ، ثم جلست أصلي للآلهة وأدعو واحداً بعد واحد أن تهني لنا من شدتنا مرافقاً ، ولكنها جميعاً — وأسفاه — أصمت آذانها عن دعائي . ثم أرسلت علي طائفاً من الكرى ... فنمت نوماً عميقاً ... بينما كان يوريلوخوس التعس يوسوس إلى رفاقه فيقول : « أيها الإخلاء ! أنا أخوكم في البلاء فاسمعوا

(١) ريح الجنوب ضد الصبا .

(٢) كان غسل اليدين كالوضوء عندنا شرطاً لا تعص الصلاة اليونانية بدونه .

وعوا . ليس أشنع من الموت إلى النفس ، ولكن الموت جوعاً هو أشنع ألوان المنايا التي يرتجف منها الإنسان .. هلموا ... لنذبح من هذا الشاء والنعم . ولنضح للآلهة بأضخم ثيران الشمس ، ولننذر أن نبنى للرب المبارك هيبيريون هيكلًا عظيمًا حالما نصل سالمين إلى إيثاكا ، ولننذر أيضاً أن نجعل في الهيكل من الطُّرْف والتحف ما يرضى الإله ويكفر عن سيئاتنا . أما إذا آثر أن يغرق فليكننا وتضافرت معه جميع الآلهة على ذلك ، لأننا ألحقتنا أذى بعدد من قطعاه . فإني أول من يجاهر بقبول الموت مرة واحدة في أعماق هذا اليم ، على أن أموت هذا الموت البطيء جوعاً ، « وزن لحم ماقال ، فاستاقوا أسمن مافي القطعان التي كانت ترعى العشب قِياً منهم ، ثم أطعموها أنضير أوراقي الشجيرات الباسقة إذ فرغ كل مالمسيهم من الشعير ، ثم صلوا للآلهة ، وجزروا الحيوانات البائسة ثم سلخوها ، وفصلوا الأنخاذ والشحم ، وقذفوا بها إلى النار تقدمه للآلهة وقربانا .. ولم يكن معهم خمر ليتموا بها الشعائر القدسية . فمذفوا في النار بدلامنها ماء قراحاً ... وجلسوا بعدهذا يعدون شواءهم من الخوايا<sup>(١)</sup> والسكبد وما إلى ذلك بما في جوف الهيم ، حتى إذا طعموا ملء بطونهم انظر حوا في مرأدهم بينما استيقظت فجأة من سباتي ونهضت لأنطلق في طريق صوبهم . وما كمدت أشرف عليهم حتى ملأ خياشيمي قنار<sup>(٢)</sup> ما فملوا ، فرجمت وجوماً شديداً ، ثم أجهشت ، ثم استخرطت في بكاء طويل وضرعت إلى الآلهة وظلمت أقول ، أهكذا

(١) الأعماء .

(٢) ربح الشواء .

يا أرباب السماء تلقون عليّ ذلك الطائف من الكرى فيفعل أصحابي ما فعلوا إذ أنا غط في نوم عميق؟ ... وطارت لميتيا بالخبر المشوم إلى إله الشمس فثار ثأره وطفق يصخب ويهتف بالآلهة ويقول: «يا جوف العلي، وأنت يا آلهة السموات! إن أرى لما فعل السفهاء من رجال أوديسيوس! لقد اجتروا أو فجرروا من نعمي وشأني التي هي بهجتي وأنسى والقي أرمقها أبدأ من علياء السماء، فإن لم تنتقمي لي فوعزني لأهبطن بشمسي إلى هيدز فأنير آفاقها وأضفي أضواءً على الأشباح ثمة، وأدع هذا العالم المشرق الجميل يضرب في دياجير ما مثلها دياجير». وأحابه رب السحاب الثقال فقال: «يا إله الشمس على هيئتك، بل ظل مشرقاً على بني الموتى الدائبين في تلك الأرض، وإلى مسخر صواعقي على سفينتهم في لمح البصر فتذهب بها وبهم أباديد»... أما من أخبرني هذا فقد حدث به هر من رسول الآلهة.. ثم وقفت ففهم أتهرهم وأنعي عليهم. ولكن.. وأسفاه! أي انهيار وأي نعي وقد سبق السيف العذل؟! ثم حدثت المعجزة! وبدأت السماء تشهد آياتها فقد تحركت الجلود الملقاه على الأرض وزحفت نحونا ثم سمعنا مضعج اللحم الغريض سواء ما ظل منها دون أن يمس وما علق منها بالسفايد، وقد أرسل ثغاء وخواراً كأنها لا تزال على قيد الحياة... وهكذا ظل رفاقي يجزرون كل ثور حنيد من ماشية إله الشمس ويغتدون بجواياها طوال ستة أيام، حتى إذا كان السابع أمر جوف العاصفة فبدأت، والبحر فتطاعن، فأهرعنا إلى الفلك فأنزلناها في اليم، ونشرنا الشراع، وأقلعنا حيث لاندري ماذا يراد بنا! ثم غابت الأرض عن الأنظار، ولم يكن إلا البحر من ورائنا

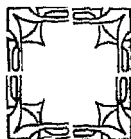
وأماننا وعن شمائلنا وأيماننا... ثم السماء من فوقنا... ثم شرع  
 زفيروس<sup>(١)</sup> يهب ويهب، ويقلب اللج من حولنا، ثم اشتد واشتد  
 وصار ريحا عاصفاً هو جاء، كسرت قلاعنا وحطمت سكاننا، وذهبت  
 بقلب الربان المسكين فلم يعد له صبر ولا جلد.. ثم سلط علينا جوف  
 صواعقه فقصمنا، وحطم سفينتنا فترنحت أول الأمر، ثم غاصت إلى  
 الأعماق، وطفونا إلى سطح البحر الغاضب بلا أذى في أى شيء  
 بله العودة إلى بلادنا... ولقد كنت أرقب حطام الفلك يطفو معنا  
 ويغوص، حتى عنى أن أعلق بخشبة قريبة منى، فطويت عليها قطعة  
 من الشراع الممزق وجعلتها لي ثماماً<sup>(٢)</sup> لصقت به، بينا نامت الشمال لسوء  
 حظي، وأخذت الجنوب تهب في عفوان وبأس، وتدفعني بقسوة  
 وقوة حتى خيل لي أنها ستنتهي بي إلى عين خار بديس الحمئة...  
 يا للهول لقد مضى على ليل أيما ليل... حتى إذا أشرفت ذكاه،  
 رأيتني ويا للأسف عند صخرة سكيلا. وعلى مسافة من عين خار بديس  
 ولحسن حظي كانت اللعينة قد ابتلعت كل مياه الشاطئ... ثم دفعتني  
 موجة من الأعماق فاستطعت أن أعلق بأحد أغصان التينة الهائلة النامية  
 فوق صخرتها. فقيت لاصقا به كالحفاش لا يمكنني أن أهبط أو أن  
 أتسلق لعظم ما كانت الأغصان تبتعد من الأرض وتمتد من حولي، ولأنها  
 كانت تعرش من فوق خار بديس، حتى كنت أرتعد من فزع وهلع عندما  
 كنت أبصر تحتي فأرى العين الحمئة الملعونة تبتلع الموجة إثر المرجة. ثم

(١) إله الصبا.

(٢) الثمام أقل ما يتعلق به الفريق

رأيت الخشبة وقطعة الشراع التي كنت عالقا بهما ينقذفان نحوها  
ويكونان تحتي، فطربت، ولو أن هذا جاء متأخراً حتى ريع قلبي ووهنت  
قواي، وغمرني شعور الذي انفرجت أزمته . وكشفت عنه غمته ،  
فهويت إلى الماء ، وتعلقت بهما بقبضتين مستميتين ... ويلاه عليّ !!  
أواه لو لمحتني سكيلا الهائلة طافياً هنالك !! إذن ما استطاع إنقاذي  
رب الأرباب نفسه من مخالها وأنيابها !! ثم بقيت هكذا تسعة أيام  
بلياليها ... يصرعني البحر وأصرعه ، ويناضلني الموج وأناضله ، حتى  
رئت الآلهة لحالي فساقتنني في العاشر إلى أوجيجا ، جزيرة عروس الماء  
كلييسو ، فرسوت ثمة في ليلة ليلاء ، مظلمة طنجياء ... وقد نالني من  
كرم العروس وجميل معروفها مارد إلى قواي ، وأثابني عما لقيت من  
شقوة وأرزاء ...

ولكن لم هذا ؟ لقد سمعتم قصتي مع كلييسو من قبل ، إذ رويتها  
للبلك ولزوجه أمس ، وإني لأكره الحديث المعاد .



## أوديسيوس يصل إلى إيتاكا

وفرع أوديسيوس من حديثه ، وجلس القوم في الردهة ذات الظلال مسبهين مشدوهين مزروعة ما حدث ، ومن غريب ماروي ، حتى تكلم الملك فقال . «أوديسيوس ، يا أيها العزيز ! صفا بالك وطاب حالك واستذريت من ذرى هذه القبة السماء بركن ركين ، فلن ينالك أذى بعد اليوم ، ولن تقدر عليك الرياح الهوج في رحلتك الآمنة إلى بلادك ، وإن يكن مثلك لا يبالي الحدثان ، ولا يابه لصروف الزمان ، بعد إذ رضع لبانها ، وتقلب طويلا في أحضانها ... وإنه والله ليس أحب إلينا من أن تقيم آخر الدهر عندنا فتمتحنى معنا من أكرم هذه الحنجر . وتشتنف أذنيك بما يتغنى مطربنا الحبيب الإلهي ، وإلا ، فذاك صندوقك العزيز وفيه أذخار الهدايا وأعز اللهي . من مطارف الديباج ، ومكشون الذهب الوهاج ... ولسكن على رسلك ، هلموا يا معاشر الفياشيين فليحضر كل منكم للنازح الكريم طرفةً من أبرّ الطرف ، وتحفةً من أجل التحف ، ولتسكن ركيزةً من الذهب وأصيصاً صغيراً للزهر ؛ وليساهم الشعب في هذا ، ذلك أدنى ألا تطيقوا ثمنها .»

وصادفت مقالة الملك هوى في قلوب السادة زعماء الفياشيين ؛ ثم نهضوا فتفرقوا إلى عنازلهم يلتمسون الراحة ، ويتعمون بطيب المنام ؛ ونضرت أورورا ابنة الفجر جبين المشرى بأفواف الورد فهب الزعماء العظام من مرأدهم ، وادروا إلى السفينة هداياهم التي وصف الملك .

وقد كان ألكينوس نفسه ينتظرهم ثمة ؛ وكان يتناول كل هدية بيديه فيضعها الأمين تحت مقاعد المجدفين حتى تكون بنجيرة من ضرر بصيدها ، أو أذى يلحق بها ، حين يكون الملا حرن مشغولين فيما هم بسبيله من عمل البحر ومصارعة الموج ... حتى إذا أسلموا تذكاراتهم عادوا مع الملك إلى قصره المنيف لوليمة الوداع الفاحرة وقد قرب إلى جوف الكبير المتعال ، رب الأرباب ورب السحاب الثقال . بشر جسدي عظيم ؛ واعدت من نخذه شواء شهى أقبل عليه القوم يأكون ويروغون<sup>(١)</sup> ، بينما يسكب في آذانهم غناءه ديمودوكوس مطربهم الخديق الحبيب . وكان أوديسيوس يرز بظرفه المشتاق إلى الشمس يود من أعماقه لو عجائز إلى خدرها ، وكان يضجره منها جريباتها الوثيد ، فهو دائماً يرقب مغيبها بعين الزارع الشقي الجرعان الذي أجهده طول النصب في حرث حقله ، فعلق بصره بالشمس يتمنى لو هبطت فجأة في المغرب ليلوى أعمه بهائمته إلى كوخه ، وليتلغ هناك لمقدمات ! وما كادت تتوارى بالحجاب حتى وجه الخطاب لزعماء الفياشين في شخص الملك ، فقال : « مولاي الملك الجليل ألكيرس ! يا فخر شيرا وعماد الفياشين اتميت لو أدبت الصلاة الخيرية يا مولاي وتفضلت فأذنت لي ووداعكم . مادتم قد أعدتم لي الهدايا واللّهبي ، والابغال الصناديد من رجالكم الملاحين ... وإني لأضرع إلى الآلهة أن ترعاني في رحلتى في اليم ، وأن أصل إلى بلادى فألقى فيها إلى وعشيرة سالمين . كما أسأل أرباب الأولمب أن ترعاكم وأن تقر أعينكم جميعاً بنوكم .

(١) يدسون القمحة .

وأن تفيء عليكم من نعمائها ، وتحفظ بلادكم من عاديات الزمان وملبات  
الحدثان ، وسر الجميع من مقاتلته فهتفر اله ، ورجوا الملك أن يأذن  
له في السفر ، فالتفت ألكينوس إلى مشيره وقال : « هلم يا بنشتون  
فأدهق الزق واحمل الخمر إلى جميع أضيافنا ليريقوها خالصة لوجه  
سيد الأربلب ، كي نتأذن لاوديسيوس بالرحيل إلى دياره » ولبي المشير ،  
وأخذ كل كأسه . ولم ينتظر أوديسيوس حتى يصل إلى الندمان إلى  
الملكة المبعجة الوقور ، بل هب مسرعاً وقدم إليها كأسه الهائلة ، وقال :  
« وداعاً يا مولاتي الملكة أحر الوداع اوداعاً إلى آخر العمر ! واين  
عمر أوفوراً مُخَفَّرِجاً<sup>(١)</sup> تفرين فيه بمولاي الملك والسادة النجب  
أبنائك المحبوبين وشعبك ، وحيّاً وبيّاً ، ثم أهرع إلى المرفأ ومشير  
الملك يسعي بين يديه ، وثلاث من وصيقات الملكة يتهادين في إثره ؛  
أما أولاهن فكانت تحمل الثوب الديباجي الموشى . وأما الثانية فكانت  
تحمل الصندوق الثمين ذا الأذخار ، وحملت الثالثة مئونة حافلة من  
أشهى الآكال وأطيب الشراب ... حتى إذا كن عند السفينة ، سامن  
ما حملن للملاحين الشجعان وانثنين من حيث أقبلن ... واشتغل بعض  
البجارة بإعداد فراش وثير في قرة<sup>(٢)</sup> خلفية من أجل أوديسيوس ...  
الذي آوى إلى منامته واستغرق ثمة في سبات لذيذ ، بينما كان الملاحون  
دائبين في فك الحبال ورفع المرساة من صخور الشاطئ . حتى إذا  
انتهزوا تبرزعوا إلى مجاديفهم وأعملوا فيها أيديهم ، فهمت الفلك واحتواها  
الماء ، وأقلعت تشق الأمواج ، وتأخذ سيدليها في البحر سرّاً . . . هذا

(١) واسع الرزق . (٢) القمرة غرفة في السفينة .



بينما كان النائم البريء قد استسلم لطائف من الكرى يشبه طائف الممنون .  
وعمر ك الله (١) هل رأيت أربعاً من صافنات الجياد تبارى في حلبة ،  
وقد أذن المؤذن فاندفعت تهب الرحب ، وترسل في الهواء أعرافها ؟  
لقد كانت السفينة تتواثب على أعراف الموج مثلها ، والعباب الزاخر  
يصطنح من ورائها . واللجة من بعد اللجة تجيش وتضطرب تحتها ،  
كأنما تتحدى اليم في طمأنينة وثبات ، أو تسابق في الجو البواشق  
البراة !! وكيف لا ، وقد حملت رجلاً لا كالرجال ، وبطلاً بن أبطال  
وحكياً ترباً (٢) للآلهة في المسكرات وعظيم الفعال . وقرناً ليس كمثل  
قرن في يوم كريمة أو نزال ؛ لم يغضب من قبل هذه الغفوة الناعمة التي  
باعدت يديه وبين ما تجشم من آلام وأحزان وأشجان .

وتلآلات في الأفق الشرقى نجمة الفجر الصادق ، حينما كانت الفلك  
مُقبالة الأرض الموعودة ... إيتاكا ... بعد إذ أتمت رحلتها الحافظة في  
جنح الليل . . . وهناك في شاطئ المدينة ، أنشء مرفأ أمين باسم  
فورسيز رب الأعماق يُدخل إليه بين حاجزي أمواج ممتدين على مدى  
الجنون الجميل . بين ذراعى الميناء ، فما تستطيع ربح أن تعبت بما فيه من  
سفين ، وقد بسقت أشجار الزيتون على الشاطئ وامتدت امتداداً هائلاً  
إلى كهف حريز تاوى إليه طائفة من عرائس البحار يقال لها السياد .  
وئمة ، أى في هذا الكهف المقدس ، صفت أباريق من حجر وجرار  
كثيرة ، يأتي النحل فيودع فيها شهبه ؛ وقامت فيه أيضاً عمد من حجر

(٢) الترب بالكسر اللدة أو المشبه

(١) أستحلفك بالله

يقال إن عرائس الماء تنسج عليها أثوابها العجيبة . وفيها أيضاً عيون من ماء زلال تسقى ساكنيه . ويؤدي إلى الكهف طريقان عظيمان ، أحل أحدهما للناس يضر بون فيه ما يشاءون ؛ أما الآخر فلا تطؤه إلا قدم إله كريم ، ويعرف بطريق الجنوب المقدس .

ويمم البحارة بفسلكهم شطر الميناء ، ثم أرسوا فيه . وجنحت السفينة بنصف حيزومها<sup>(١)</sup> على رماه . . وحملوا أوديسيوس الزعيم دون أن يوقظوه ووسدوه على فراش<sup>(٢)</sup> وطأوه على الشاطئ ، ثم حملوا كل متاعه وأذخاره فجعلوها إلى جانبه خلف زيتونة ضخمة تحجبها عن أنظار المارة ، حتى لا يعث بها عيسار إذ هو مستغرق في نومه العميق . . وركبوا الفلك بعدهذا وعادوا أدر اجهم إلى شيرا . . وأحس نبتيون الجبار رب البحار وعدو أديسيوس الأكبر بما فعل الفياشيون فثار ثأره وقال يعتب على زيوس : « أيها الإله الأعظم الأبدي ، أبدأ ما أحسب أنال نصيبى من التقديس والتبجيل بين الآلهة منذ اليوم ، ما دام شعب فياشيا لم يأبهوا أن يحقرونى أو يمالوا بى ، فقد كنت عولت على ابتلاء أوديسيوس بأروع صنوف البلايا قبل أن تطأ قدمه أرض بلاده . ولم يكر فى تصميمى أن أحول بينه وبين العودة إليها لأنك كنت قد وعدت بتمهيد السبيل لهذه العودة ، ولكنهم حملوه على فلكهم غاراً فى أحلى المنام ، ثم حملوه إلى الشاطئ الإيثاكي بما معه من العطايا والأذخار ، ومطرف النحاس ، وتحف النصار ، ومطارف الديباج ، وما حمل من كنوز لم يكن يحمل

(١) حيزوم السفينة مقدمها

(٢) فى نسخة أنهم حملوه بفراشه

شيئاً منها حتى لو عاد بنصيبه من أسلاب طرودة ا وا أسفاه و أسفاه ا ،  
وقال يجيبه رب السحاب الثقال : « ما ذا تقول يا منزل الشيطان والخلجان  
يا ذا المسكوت والجروت ، يا أيها العظيم نبتيون ؟ ا لا عليك يا أخى ا  
لا عليك ، فإنه لن تحقرك الآلهة ولن تستخف بك ا فإذا استخف بك  
ملاً ضعيف من بنى الموتى — عبادنا البشر — فما يضريك ؟ أليس فى  
يديك ألف فرصة للبطش بهم والانتقام منهم ؟ أربع عليك يا نبتيون ،  
وصل ملاذك ، فإنك لست عبداً لأحد ، قال نبتيون : وجوف يا رب  
السحاب إنه ليس أحب إلى من أن أبطش بهم كما أشرت ، ولكنى  
لا أخشى إلا تحديك لى دائماً بغير حق ، وإنى أرجو أن أعصف  
بسفيتهم فى دأماى<sup>(١)</sup> اللجى حتى لا يحملوا ضارباً فى البر والبحر مثل  
أوديسيوس مرة أخرى ، وإنى مقتف آثارهم الآن ، فضارب فلكرم  
اللعين ، فساحره فى الحال إلى طود عظيم ينهض بروقيه أمام مدينتهم حتى  
ليحجبها عن كل سارب فى البحر فلا يراها أحد أبداً ، فقال جوف  
يجيبه : « هلم يا أخى فاصنع ما بدالك ، وافعل فعلتك التى رسمت ،  
وليكن ذلك حينها يقتربون من مدينتهم حتى يرى أهل شيرا ما يحل  
بسفيتهم لتسكون لهم آية ا . » وانطلق من زلزال الأعماق فى أثر الفياشين  
حتى إذا كانوا قاب قوسين من الشاطئين أرسل يده تحت فلكرم  
فضربها ضربة هائلة أرسلتها فى الهواء وهوت بها إلى اللج ، ثم تركت  
مكانها جبلا عالياً أشم ، ولوى عنانه إلى أرحاء ملكة الرحب .

ووقف الفياشيون - ملوك البحار - على شاطئ البحر مسبوهين دهشين يسأل بعضهم بعضاً: من ذا الذي أرسى هذا الجبل الهائل مكان سفينتهم تلقاء المدينة حتى ليحجبها عن أنظار السفن العابرة في اليم؟ والتفت الملك وكان واقفاً بينهم فقال: «يا للآلهة! لقد ذكرت نموءة قصها على والدى فيما غير من الزمان... فلقد ذكر لي أن شعبنا المجيد مأذون له من نبتيون أن يحمل الناس من كل فج، من ضل سبيله منهم إلى بلادهم مهما تناءت. وقد ذكر أيضاً أن سفينة من سفننا بعد إذ ترقد من رحلة لها إلى بلد رجل غريب نازح، ستغرق في اليم ويبسق مكابها جبل عظيم شاهق يحجب شيرا عن البحر... وها قد تحققت النبوءة، فهلوا تقرب لإله البحار نبتيون باثني عشر بجلاً جسداً تكون أعظم عجوانا وأغلاها قيمة، عسى أن يرثي لنا فيكشف عنا هذه الغمة ولا يحول بين البحر وبين مدينتنا بهذا الطود الكبير الراسي، وتفزع زعماء الفياشيين وبادروا إلى عجولهم فجزروها باسم نبتيون، وتكبكبوا حول مذبحه فصلوا له، وسبحوا بذكره... أما أوديسيوس فقد هب من نومته وهو لا يدري أين هو، ومع انه كان ينام الذنوم فوق شاطئ بلادته، فإنه لم يعرفها لطول ما شطت به النوى<sup>(١)</sup> ولأن مينرفا السكريمة، سليلة جوف العظيم، كانت ألقت حوله ظلالاً تحجبه عن أعين المارة مخافة أن يعرفه أحد منهم قبل أن تلقنه من حكاها ما هو ضروري له في حالته هذه... كأنما أرادت ألا يستبينه أحد من مواطنيه ولا من أصدقائه

وذويه حتى يبطش البطشة الكبرى بالخطاب الفساق الذين استباحوا  
عرضه واستحلوا بغير الحق زاده وخيره، وعمره وكالشياطين داره. لذلك  
عموت مينر فاكل شيء في عيني أوديسوس، فالطرق مستقيمة مستطيلة  
والموانئ رحة مترامية، والجبال ذاهبة في السماء، كالروح الباسق يطاول  
الجوزاء، وكل شيء ليس مما عهد البطل في بلاده.. ووقف يقرب عينيه في  
المشاهد المحدقة به، ثم تهدمن أعماقه، وبسط كفيه إلى السماء. وضرب بهما في  
برم على فخذه، وأنشأ يقول: «ويلاه عليّ وألف ويل أي شعب من  
الشعوب يقيم هذه الأرض ياترى؟ أأجلاف ظلمة هم، أم أطهار أخيار يحبون  
للآلهة؟ ليت شعري أين أخيه هذه الكنوز والأحراز؟ وى! بل أيان  
أذهب أنا؟ لعمرى لقد كنت أوثر ألا أنال شيئاً منها من هؤلاء الفياشين  
على أن أكون قد حملت بأرض رجل ذي نخوة وذى نخيزة من ملوك الأرض  
غير الكينوس هذا، فكان يرسلني آمناً سالماً إلى بلادى ماذا أصنع  
ياربى؟ أترك هذه الثروة الطائلة هنا؟ أأدعها ريسة حلالاً لغيرى من  
الناس، وأهيم في هذه البطحاء على وجهى؟ وأسفاه! أهكذا يغرون بى  
فيلقوني في شاطئ غير شاطئ بلادى، وقد وعدوا أن يهبطوا بى مرفاً  
إيثاراً كالأمين؟ اللهم يا جوف العظيم، يامن إليه يجأر أبناء السبيل  
والمهاجرون والمساكين؛ انتقم لى يارب الأبواب من هؤلاء الخونة المبطلين!  
ولكن... يجدر بى قبل كل شيء أن أحصى أذخارى لأرى هل سلبنى  
منها هؤلاء اللصوص شيئاً؟» ثم راح يحصر كنوزه. فما وجد شيئاً  
منها ناقصاً أو غير موجود، وزاد ذلك فى أشجانته، فأخذ يندب حظه.  
ويبكي على ما لقى من زمانه، ويدشج نشيجاً مؤلماً لهذه الهجرة الظالمة

عن أوطانه، وجعل يروح ويغدو على سيف البحر المضطرب، وحيداً مُعنى  
 ويرسل دموعه وزفراته حتى بدت له آخر الأمر مينرفا في صورة قراع صغير  
 غرض الإهاب عجيب الثياب جميل المحسب، كأبناء الملوك، ملتفعا حول  
 عنقه ومن فوق صدره بشفيف<sup>(١)</sup> صفيق طوى حولها طيتين وفي قدميه  
 نعلان متواضعتان، وفي قبضته حربة ناعمة لائحة... وكانت مفاجأة  
 سارة فوجىء بها أوديسيوس فخطا خطوات عاجلة إلى الشاب وراح يسأله:  
 «مرحبا أيها الغُرّانق<sup>(٢)</sup> الجميل القد كنت أول إنسى ألقاه هنا، فبحق  
 هذا عليك أن تحميني وتحمي أذخاري هذه، وألا تلحق بأينا أذى!  
 إنى أتوسل إليك كما لو كنت أتوسل إلى أحد الآلهة أن تصدقني فيما  
 أسألك عنه: أية بلاد هذه؟ وأي قوم يعيشون فيها؟ أهي جزيرة آهلة،  
 أم حُدُور من بلاد مترامية؟ أخبرني بأربابك أيها الفتى،»

وقالت مينرفا ذات العينين الزبرجديتين تجيبه: «أيها الغريب  
 اللاجئ، كم أنت ساذج كيف تسائل عن هذه البلاد كأنك لست من  
 أهلها؟ إنها بلاد ذات ذكر في المشارق والمغرب، ومنها وإليها تصدر  
 الركبان إلى كل فيج. ثم هي ليست يهماء<sup>(٣)</sup> مجهولة، بل هي جنة مأهولة،  
 زاخرة الخيرات موفورة البركات، ففيها أنضر سهول القمح وأبهج  
 عرائس الكروم، وأخصب المراعي الخضرة الحافلة بقطعان النعم والشاء،  
 تسقى من ماء معين، وأنهار وعيون... هذه يارجل إيثاكا... إيثاكا  
 المباركة، التي استطالت شهرتها، واستطار ذكرها حتى ملأ الخافقين،

(٢) الشاب الجميل الحيا

(١) الثوب الرقيق

(٣) صحراء مفضلة

وجاوز طرودة ذات المجد ، التي لا تبعد شطآنها من أحياء ،  
وشاع البشر في نفس أوديسيوس لماسمع الراعي الجليي يؤكد في  
لهجة قاطعة أن هذه البلاد هي إيثاكا الموعودة ، وذن السرور أعصافه لما  
رأى من زهو الشباب وافتخاره بها ... بيد أنه مع ذلك را- يتجاهل ،  
ويبدي عدم معرفته لهذه البلاد ، ويحاول أن يمدح الفتى عن نفسه ،  
وما يمدح إلا نفسه هو .. قال : « أجل ... لقد سمعت عن إيثاكا في  
أقصى البحار ... والناس يعرفونها حتى في كريت التي وصلت منها اليوم  
بعتادي هذا ، تاركاً فيها أبناءى وذوى رحى ، فاراً بنفسى من القعة  
الهائلة التي فعلت ... يا ويح لى !! لقد قتلت العداء المعروف أرسيلون  
أيدوهين العظيم الذى لم يكن يباريه فى سرعة عدوه أحد . لقد حدثته  
نفسه أن يسلبنى ما غنمت من كنوز طرودة وأسلابها وما حصلت عليها  
إلا بعد قتال شديد ولظى حرب ، وركوب أهوال فى ذلك اليم ... وذاك  
لأنى أبيت أن أقاتل تحت لوائه ، أولواء سيده ومولاه ، بل قدت فيلقاً  
من الجند فظفرت وانتصرت ، فكبر عليه هذا ، وحفظها لى ، وأضمر  
فى نفسه الغدر ، فلما عدنا أدر اجنا إلى أرض الوطن ، حاول أن يسرقى  
كنوزى ، فأقصده (١) برحى فأرديته ، وكان معه زميل له شرير فذبحته ،  
واستعنت عليهما بدجى الليل ودُمجنته ، ثم هربت تحت أستار الظلام  
بأحر ازى إلى الشاطىء ، حيث حملتنى سفينة فياشية رجوت ملاحيا أن  
يبحروا بى إلى شاطى بيلبا ، أو إلى مرفأ إيليس ... لكنهم وأسفاه  
اضطروا إلى الإرساء هنا لأن ريحاً عاصفاً قسرتهم على ذلك ، فوصلنا

هنا برغمنا في جنح الليل البهيم ، ولقينا عناء عظيما في النزول بالمرفأ  
الأمين ؛ ومع شدة حاجتهم إلى الطعام ، فإنهم لم يستأنوا ، بل تركوني  
وحدى ، وأبحر قاعا على عجل ، بعد إذ نمت على الشاطئ من الإعياء ، وبعد  
إذ حملوا إلى هنا متاعى . . . وهم الآن في طريقهم إلى سيدونيا . . .  
وهأنذا وحدى هنا ، لا أعرف أيا ن أذهب ، ولا أين أمضى !! .

وسكت أوديسيوس . . . ولكن الراعى الشاب الجميل أخذ يتحول  
في فتون وسحر إلى صورة خلافة أخرى . . . لقد أصبح امرأة حسناء  
هيفاء . . . وهامى ذى . . . تلك المرأة الحسنة الهيفاء . . . تبدو في صورة  
مينرفا — ربة الحكمة — التى اقتربت من البطل فى تبسم وظرف ،  
وأخذت تعبث بلحيته السكثة الشعثاء فى دلال وسخرية ، وراحت  
بدورها تجيبه : « مرحى أوديسيوس . . . مرحى مرحى !! ما احسب  
أن أحداً — أحداً من الآلهة — يفوقك فى مكرك وبراعة حيلتك !  
يا ابن ليرتيس !! أما أن تقلع عن مراوغاتك التى حذقتها مذكنت  
يافاعاً ، وعن توشية الأحاديث الملققة التى حذقتها واشتهرت بها فى  
العالمين ؟! ولكن . . . تعال . . . ليدع كلانا ما يحاول أن يزوق به كلامه ،  
فكلانا بارع فى ذلك صناع . . . أنت بفصاحتك . ودقة فهمك وطريف  
حيلتك بين الناس ؛ وأنا بحكمتى وقوة تديرى بين الآلهة . . . وما أحسبك  
تجهل مينرفا ابنة جوف الأكبر ، التى كانت رائدك ورفيقك فى كل  
ما حاق بك من مكروه . . . فقد كنت أقذف الشجاعة فى قلبك فى  
مواقف شدتك . كما كنت اثير الحمية فى أفئدة الفياشيين الذين وصلوا  
بك إلى هنا ، وهأنذى طويت إليك فدافد الرُّحْب لأخلو ساعة بك ،



ولأن لي حديث نصح معك ، بودى أن أمحضك إياه ... وقبل هذا ينبغي أن نخي\* كنوزك التي أسبغت عليك بمشورتي ... ثم إنى محدثتك عممايتحيفك من أرزاء ، وما يدبر لك من كوارث تحت سقف بيتك ، ونصيحتي أن تحتمل ما يصيبك أول الأمر بقلب جليد وصبر ثابت وطيد ، واحذر أن يعلم أحد ، رحلا كان أو امرأة - بوصولك إلى إيثاكا وحيداً شريداً لا حول لك ، كما وصلت ، بل اصمت كلما حاول أحد أن يتعرفك ، واحتمل الأذى كلما امتدت به يد إليك ، . وقال أوديسيوس ، وقد أسقط في يده : « لله درك ياربة اما أبرعك في تغشية العيون وتضليل الأبصار ، والتشكل في أى صورة شئت ! بيد أنك برغم ذلك حليلة رحيمة كعهدى بك دائماً ؛ ألا كم نصرت أبطال أخايا المذاويد ، وأظفرتهم بأعدائهم في ميدان طروادة ... ولكى لن أنسى مذ أفلع أسطولنا من مياه تلك المدينة . بعد سقوطها في أيدينا أنك لم تظهري لئناقط ، ولم تبادرى مرة إلى إنقاذى من إحدى الرزايا التي كانت تخيق بي والتي كنت احتملها بقلب حديد . وصبر شديد ، حتى رثت الآلهة لحالى فجملت لي منها خرجاً وأنقذتني إلى بر فياشيا ؛ حيث أثرت في صدرى النخوة ، وأوليتني الشجاعة ؛ وكنت دائماً دليل ورائدى ... ولسكن ... أصدقيني بأبيك يا ابنة جوف ، هل وصلت حقاً إلى إيثاكا ؟ أم أنا في صُقع سحيق عنها وإنما أنت تسخرين منى وتعشين بي ؟ أصدقيني بأبيك ياربة ، هل هذه بلادى العزيزة إيثاكا ؟ هل هى حقاً ؟ ، وقالت ذات العينين

الزبرجديتين تجييه : دائماً حذر من يا أوديسيوس ، وإلى الأبد يملأ  
الوسواس صدرك ، برغم ما أوتيت من حكمة وتبيان ، ورجاحة  
فكر وسلامة جنان ا بيد أنك معذور يا صاح ، إذ أى رجل يتشوف  
لرؤية زوجه وأبنائه ولا يتحرق شوقاً للقياسم بعد هذا السفر الطويل ،  
والبعد الممض ، والأهوال الجسام ألمجة ؟ غير أنه أفضل لك ألا تعلم  
شيئاً ولا تسأل عن شيء حتى تلمس بنفسك مقدار ما تكمنه لك من  
الحب تلك الزوجة الوفية المخلصة التى ذهب شبابها عليك حسرات ،  
والتي ذرفت دموعها من أجلك آناء الليل وأطراف النهار طوال تلك  
السنين الباكية الحزينة الموحشة . . . إني لم أتركك يا أوديسيوس كما  
تظن ، بل كنت أعلم أنك راجع دون ما يرب إلى بلادك ، وإن فقدت  
كل رجالك ورفاق سفرك الطويل الشاق ... غير أننى أشفقت أن أثير  
حسنة نبتيون ، عمى وشقيق أبى ، الذى يحز الأسى فى قلبه من فعلتك  
التى فعلت بعين ابنة السيكلوب ... ولكن هلم ... إني سأقطع شكك باليقين ،  
وسأدلك على علائم تو كذلك أنك فى إيثاكا ... فهذه هى ميناء فورسيز  
حكيم البحار ، وهامى الزيتون الكبرى عند رأس المرفأ وعلى مقربة  
منها ذلك الكهف المقدس الإلهى الذى تأوى إليه عرائس البحر المعروفة  
باسم النيباد ، وقد طالما كنت تجزر القرايين والأضاحى باسمهن عند  
وصيده ، وهالك جبل نيروتوس وأولئك غاباته الشجراء ... ثم رفعت  
ربة الحكمة الغشاوة عن عينيه فعرف دياره ولم ينكر شيئاً منها ، وهكذا  
شاءت العناية أن يشهد البطل المسكدود بلادته الحبيبة مرة أخرى ،

وهكذا خر أوديسيوس جاثياً يقبل ثرى الأرض المقدسة ، ثم رفع يديه يصلى لعرائس الماء كسابق دأبه ويقول : « يا عرائس البحر ، يا بنات جوف الأعظم ، لقد فنطت قبل هذا من أن أراكن ، فهاأنذا أعود إليكن بألف نذر وألف تحية وسلام . . . وككنّ القرابين الغوالى إذا مدت أختكن ميزفا الحكيمة فى أيامى واركنت رجولة ولدى ومعقد أحلامى » .

وقالت ابنة جوف تؤيده : « تشجع يا أوديسيوس لا طائل لهذه الوسوس التى تعذبك ! هلم البدار ، البدار ! لنخبي . هذه الكنوز فى أغوار ذلك الكهف السحيق لتسكون فى مأمن من عبث عابث ، ثم هلم أدبر الأمر معك ، وانطلقت الربة فى ظلمات الكهف تتكشفه بينما حمل أوديسيوس أذخاره فوضعها حيث أشارت ميزفا ، ثم حملت بيديها الجبارتين صخرأ عظيماً فأحكمت به غلق المدخل الرهيب . وجلسا عند أصل زيتونة باسقة ، وشرعا يرسمان الخطط ويحكان التدبير لهلاك الخطاب الفساق المعاميد ، فقالت ميزفا : « أوديسوس ، يا ابن ليرتيس المجيد ، هلم فأعمل فكرك الآن فى الوسيلة التى تبديد بها أعداءك الذين لا يستحيون ، أولئك الخطاب الذين استبدوا بأسرتك طوال أعوام ثلاثة . واستباحوا حماك ، وتكالبوا حول زوجتك كل هذه السنين يغرونها بالوعود ، ويزخرفون لها الأمانى ، ويحسنون لها كلمة الفسق ، وهى ماتزاد إليك إلا تحرقاً ، وماترقأدموعها من أجلك ، فتحتال لهم ، وتعيد هذا وتوشى المنى لذلك ، معللة نفسها بعودتك لتسحقهم جميعاً ا ، واستعبر أوديسيوس قليلاً وقال : « أوه اكن القضاء الذى أسكت نامة<sup>(١)</sup> » .

أجائمنون يكاد يحيق بي أنا الآخر في صميم داري ا ولكن ... وى ا  
أضرع إليك أيتها الربة أن تشيرى على وتنصحى لى وتلقينى كيف أثار  
من هو لاء الطغاة ؛ وأتوسل إليك أن تقذنى فى قلبى الشجاعة كما قدفتها  
فيه تحت أسوار طروادة ، فإنى بعونك أدوخ المئين من أعدائى ،  
وما دامت يدك فوق يدى ، فإنى مستأصل شأفتهم جميعاً ، قالت مينرفا :  
« اطمن يا أودسيوس ، سأكون معك وإن لم يمتد إلى طرفك حتى  
تغتلهم أجمعين ، وحتى تطيح رؤوس أكثرهم على أرض قصرك . . .  
ولكن تعال ، ألق بالك إلى ، إنى سأغير من صورتك ، وأحور من  
شكك حتى لا يعرفك منهم أحد ؛ فهاتان الوفرتان <sup>(١)</sup> تستطيلان حتى  
تغطيا كتفيك وحتى تتصلا باللمة <sup>(٢)</sup> ، وسأدثرك بدثار مرقع رث يشير  
التقزز فى نفوسهم فلا يمدون أبصارهم إليك ، وسأحدث أوراماً حول  
عينيك تزيد فى تنكرك ، حتى ليحسب من ينظر إليك من أعدائك  
أنك وأهلك بعض المساكين الذين لا يفتأون يضربون فى الأرض . . .  
على أنه ينبغى أن تلقى راعيك الأمين ( إيبومايوس ) الرجل الوفى الذى  
لا يزال يخلص لك ، وبنى لابنك ، ويؤثر بأصفى وده زوجك . . .  
فاذهب إذن إلى جيبيل كورا كس المطل على نبع أريشوزا ، تجد قطعانك  
ترعى العشب الحلو ثمة . وتسقى من السلسبيل المجاور ؛ وتجد راعيك  
الشيخ يتشوف إلى رؤيتك ، فحيه واجلس إليه ، واسأله عن كل ما تريد  
أن تعرف من أنباء بيتك وأهلك وعقارك ، وتلبث معه حتى أعود  
إليك بابنك من أسبرطة . . ابنك تليهاك الذى ذهب يذرع الرحب

( ١ - ٢ ) الوفرة ما بلغ شحمة الأذن من الشعر واللثة ما ألم بالنكب منه .

سائلا عنك ، متحسسا أخبارك حيث حل ضيفا كريما على الملك منلوس ،  
الذى أرسله إلى ليسديمون ليرى هل لا يزال أبوه حيا يرزق ؟ ، قال  
أوديسيوس : « وا أسفاه عليك يا ولدى ! ! ولم أيتها الربة المحيطة بكل  
شيء لم تخبر به أنتى حتى أرزق وأنتى لا بد عائد إليه ، فسكنت كفيته بلاء  
الرحلة فى تيه البحر ، بينما هؤلاء السكلاب يستنزون ثروتهم وماله ؟ ،  
فقال تجميه : « لا تأس على ولدك هكذا يا أوديسيوس ، لقد أرسلته  
أنا ثمة يشهد الشرف وينشر ذكره بين الناس . . . إنه لا يلقى عننا هناك ،  
بل هو ينعم بالرعاية فى قصر أتريدس واعلم أن فريقا من خطاب  
بنلوب يتربصون به ، ويتصدونه فى طريقه ابتغاء أن يقتلوه قبل أن  
يبلغ أرض الوطن . . . ولكن لا . . . خاب فألهم . . . إنهم لن يمسه  
بأذى حتى تكون الأرض قد رويت من دمائهم ، وغيبوا جميعا فى  
بطونها ، أولئك السفلة الذين يستحلون زادك وعتادك الآن ، ثم  
تمسسته بعصاها السحرية فبدت عليه بدوات السكر ؛ فهذا جلده قد تغضن ،  
وهاتان وفرتاه ولمته قد استطالت حتى بلغ شعرها قدميه ، وهامى  
ذى تضفى عليه الدثار المرقع الرث ، وهامى ذى تحدث الأورام حول  
عينيه وتزوده بمزق قدرة علق بها التراب والسخام<sup>(١)</sup> وهامى تضفى  
عليه بعد ذلك جلد ظى قديم غليظ وتدفع إليه إبعكازة طويلة يتوكأ  
عليها ، وتمده بمزود<sup>(٢)</sup> تدلت منه أوشية قبيحة ، وأحيط بسيور من  
جلد عتيق . . .

وافترقا . . . فهو إلى حيث يلتقى راعيه . . . وهى إلى حيث تلقى  
تليهاك فى مملكة ليسديمون .

(٥) التعم أو ما يعرف بالعامية بالهباب

(٢) خرج

# مسح السراعى

وسلك سبيله فى طريق وعر محفوف بالأشجار الباسقة إلى مأوى صديقه الراعى الشيخ الأمين ، فوجده جالساً وحده فى مدخل الحظيرة الشاسعة القائمة وسط المرج المعشوشب النضير . ولقد سورها يوم ما يوس ، إذ سيده غائب فى أقصى الأرض ، بسور عظيم ضخيم من حجار ذقوية نحتها من محجر قريب ، وجعل على السور فروعاً من قتاد وشوك وجذوعاً من سنديان ، حتى صارت أمتع من عقاب الجو ... كل ذلك دون أن يساعده أحد . . . ثم قسمها اثني عشر زراً<sup>(١)</sup> جعل فى كل منها خمسين خنزيرة كنانزاً . . . أما ذُكران الخنازير فقد تركها سائبة فى الخارج ليرسل منها إلى العشاق المعاميد ما يأكلون منه وما يريغون ... وقد بقى منها بعد تلك الأعوام الطوال ستون وثلاثمائة . وربضت لدى الباب كلاب أربعة كسباع البرية ، تلاحظ الحظيرة بأعين كالجر ، وجلس الراعى يعمل لنفسه نعالاً من جلد ثور مذبوغ ، بينما انطلق خدمه ومعاونه الأربعة يعملون ويدأبون هماً وهناك . وكان رابعهم على وشك أن يترك الحظائر إلى المدينة ، حامل اللحم خنزير حينئذ يذهب به برغمه إلى الخطأب الفساق . ولحمت الكلاب أوديسيوس فأهرعت إليه ، وظلمت تعوى وتنبه ، وترغى وتزبد ، وأوشكت أن تفتك به ، لولا أن هب يوم ما يوس فكسر شرتها

(١) الزرب : الزرية للمع

بما رماها به من الحجارة ، ولولا أن ترك وديسيوس عكازه يسقط من يده لأن الكلاب لا يغيظها إلا أن يُمسك لها أحد عكازاً . . . قال الراعي : « أيها اللاجيء العجوز سلست ! خطرة واحدة ! وكانت هذه الكلاب قد مزقتك إرباً ، وكانت قد لحقت بي سبة لا تبيد إلا كم ترسل على الآلهة من كروب وكم ترميني به من آلام ! أنا ، هذا العجوز الهالك ، الذي أمضى الحزن ، وشفنى الأسى من أجل سيدي ومولاي ! هاأنذا أشمّن قطعانه وأرعاهما لينعم بها غيره ، بينما هو نازح غريب يحب الآفاق ويشتهي كسرة يتبلغ بها ، إن كان لا يزال حياً يرزق ! أوه ! تعال أيها الصديق ، هلم فاتبعني إلى داري أطعمك ما تيسر ، وأسقك كفايتك من الخمر ، وتخبرني بعدها من أنت ، ومن أين أقبلت وماذا وراءك ! » وانطلقا ، وقدم إليه الراعي الكريم حشيشته التي كان يجلس عليها ، والتي اتخذها من جلد عنز حشاه بالقش ؛ وشكره أوديسيوس : ودعا له بما يحب وبكل ما تصو إليه نفسه . فقال الراعي يحبه : « أيها الصديق ليس أمقت إلى من أن أذود لاجئاً إلى داري وإن يكن أرث منك حالا ، لأن أبناء السبيل جميعاً هم ضيوف زبوس رب الأرباب وأنا مع ذلك أعتذر إليك إذا لحظت أن زادي قليل وأن حالي رقيقة فقد مضى زمن العز والعيش الواسع المحفرج وأصبحنا نعانى القلِّ والفاقة والعيش المتكد تحت إمرة هؤلاء الرؤساء الأصاغر . آه يا مولاي يا زين الحياة ومؤدب الناس أين أنت وأين أيامك وخيرك الوفير ؟ ليتها دامت . وليتك ظلمت فعشنا في كنفك . . . وليت هيلين وكل من في بيت هيلين فداؤك . . . هيلين

التي قتلت سادات هيبلاس<sup>(١)</sup> بمسّ البحر و امع أجامنون لينيلوه النصر في ميدان طر و ادة ا ، ثم لم لدثاره وذهب إلى الزرب الأول لجاء بخنزيرتين سميتين فذبجهما و سلخ جلديهما ، وجعلهما إرْباً إرْباً ؛ ثم أشعل ناراً عظيمة فسوى على جمرها السفافيد المثلثة باللحم ، وجاء بالشواء فوضعه امام أوديسيوس ، ثم نثر عليه من الدقيق ، وأحضر زق الخمر ، وجلس قبائته وقال : «هلم يا ضيفي العزيز فكل وارزوا... لا تؤاخذني إذ رأيت الشواء لا سميناً ولا حنيداً ، فكل سمين وحنيد يذبح أولاً فأولاً و يرسل إلى الخَطَّاب السفلة الذين لا يرعون في الآلهة إلا ولا ذمة ، ولا يخافون سماءً ولا بشرأ .. يا لله من هؤلاء الفجرة .. ألا يلبون شعشهم ويغيرون بخيلهم ورجلهم على بلد قاص فيشربوا بأسلاب الغزو و سخط الآلهة ؟ أم تراهم أوحى إليهم بموت مولاهم فهم ههنا قائمون ما يريمون ، ولزاده آكون ومن خمره شاربون ، حتى فرغت الجرار ، وخوت الدار ، وضؤل الزرع وجف الضرع !! أبدأ ماملك أحد مثل ماملك مولاى ! لقد كانت ثروته تعدل ما يملك عشرة أو عشرون أميراً ، ولا أزال أذكر مما ملكت يداه اثني عشر قطيعاً من الأنعام كانت ترعى العشب في مروج الشاطيء<sup>(٢)</sup> المقابل ، وكثيراً من قطعان الأغنام وأرعال<sup>(٣)</sup> الخنازير وأسراب الماعز ، عليها أجراء وخدم ورعاة لا يحصون ، ورجال مخلصون يزرعون في حقوله الشاسعة ويحصدون ، ورجال يجلبون من قطعانه كل كنانا للذبح . . .

(١) اليونان وتسمى أخايا أيضاً .

(٢) لعله شاطيء آسيا .

(٣) جمع رعييل ويجمع على رعال أو أراعيل وهو ق الأصل للخنيل والبقرة .



نأما أنا . . . فقد عهد إلى بهذه الأفعال<sup>(١)</sup> التي ترى ، أطعمها وأعني بها ، و . . . وأأسفاه . وأرسل إلى الخُطَّاب كل يوم بخيارها .

وصمت الراعي بينما كان أوديسيوس يصنئ ويلتهم طعامه ويفكر ألف فكرة ، ويدبر ألف تدبير لسحق هؤلاء الخُطَّاب المنفاليك . حتى إذا انتهى ، قدم إليه يوم ما يوس كأسه دهاقا ، فقبلها وشرب ما فيها وقال : « ترى ماذا كان اسم سيدك أيها الصديق ؟ لا بد أنه كان مشهوراً إذا ذكر ، لما وصفت من واسع ثرائه وسمو جاهه وبسطة ملكه . لقد نقلت إنه ذهب إلى طروادة مع أجائمنون ، فهل تتفضل فتذكر لى اسمه عسى أن أقص عليك من أنبائه ؟ لقد ذهبت أنا الآخر ثمة ، وسافرت في بلادشتى ، ومحال ألا أعرف العظاء الذين جاهدوا مع أجائمنون . ، فأجابه الراعي : « وأأسفاه أيها الأخ العجوز ! أبدأ لا تنظلي الأنساء المملفقة عن مولاي على زوجه أو ولده ؛ فكم من جواب آفاق مثلك ؛ محتاج إلى لقيات أو سر ووال ، قد لقي الزوجة المسكينة فلفق لها قصصاً مكسندوباً عن رجالها ثم دلت الأيام على كذبه وزحرفه ، والزوجة في كل ما تسمع تذرف الدموع وتصعد الآهات كأحسن ما تصنع زوجة وفيه من أجل زوجها الذي قضى في بلد بعيد . وأكبر ظني أنك تطمع في كساء تخلعه عليك هذه الزوجة المفسودة<sup>(٢)</sup> الرءوم ، فأربع عليك ، فالرجل قد قضى ، وليس بعيداً أن تكون كلاب البرية وسباعها قد اغتذت به أو أنه قد غرق فأكله السمك ، ولفظت عظامه على سيف البحر لتذروهما الرياح ، تاركاً وراءه قلوباً تأسى عليه . أجزئها عليه

(١) جمع رعييل أى قطع من الماشية أو الغنم .  
(٢) المصابة المرزأة المحرونة .

قلبي . تالله ماوددت أن أرى أبوي اللذين غادرتهما منذ أحقاب كما  
أتشوف اليوم إلى رؤية هذا الرجل ... آه يا أوديسيوس أين  
أنت ... إنك مهما شطت الغوى وشحطت<sup>(١)</sup> الدار فلان أبرح أذكرك  
وأسبح باسمك وأوقرك بما أحسنت إلى وعنيت بشأني ، يا من فراقك  
عندى آلم لي من فراق أعز إخوتي وأشقائي ،

وحدجه أوديسيوس وقال : « أيها الصديق لم تياس من عودة  
مولاك هكذا ؟ ولم يخامرك الشك في أن رجوعه محتوم لا ريب فيه ؟  
إذن فأنا أقسم لك قسماً لا أحث فيه إنه لعائد لا محالة ، ومعاذ الآلهة  
أن أقسم وأؤكد الأيمان لأنال القميص الذي ذكرت أو الدثار الذي  
أنا في شدة الحاجة إليه ، بل ليق القميص والدثار حتى يتحقق قسمي  
وتبر يميني فأتسلهما منك ، فإنني أمقت الكاذب الخائن في يمينه كما  
أمقت أبواب الجحيم ، والله على ما أقول وكيل ... إطمئن إذن يا صاح  
وثق أن أوديسيوس لا بد عائد هذه السنة إلى إيثاكا بل ربما عاد هذا  
الشهر ، ولن يمضي شهر آخر حتى يكون قد ثار لعرضه من أعدائه وبطش  
بهم جميعاً ، أولئك الفجرة الأشرار الذين جسروا على استباحة حماه ،  
وإهانة زوجه ، وعدم المبالاة بولده ، وسخر الراعي وقال : « أهكذا  
تقسم وتؤكد القسم يا صاح ؟ أبداً لن تنال الرهان أبداً ، فقد أودى  
أوديسيوس ولن يعود بعد ... هلم هلم ، تحسّس<sup>(٢)</sup> كأسك الروية ودع هذا  
الحديث فإنه يحزن نبي ويثير شجوني ... خل قسمك ، وليقدم أوديسيوس  
في خيالك أو في الحقيقة ، فأنا وزوجه وأبو ولده ... كلنا نشتهي ذلك

وتتمناه على الآلهة ... يا ويح لك يا تلميحك الحبيب ! لقد كنت أرقص  
 طرباً كلما رأيتك تنبت كما نبت أبوك ، وتشب على الفضائل التي شب  
 عليها ! أين أنت ؟ لقد ذهبت إلى ملك بيلوس تتحسس أخبار أهلك ،  
 وها هم الخنطاب يترصدونك ويتربصون بك ليغتالوك في الطريق .  
 ألا طاشت أحلامهم ، وحماك جوف الأعظم من مكرهم ، وحفظك لبيت  
 أرسسياس يا أعز الناس ... ؛ ولكن تعال أيها الضيف الكريم ... قل  
 لي بربك واصدقني في كل ما تقول : من أنت ، ومن أين أقبلت ، وفيم  
 قدمت ؟ وما بلدك ؟ وأين يقيم أبوك ؟ وأي سفينة حملتك إلى شاطئنا ؟  
 فلعمري إنك لن تدعي أنك وصلت إلينا سائراً على قدميك !! ، فقال  
 أوديسيوس يجيبه : « سأقص عليك من أنباء التي لا يأتها الباطل ما لو  
 لبثت عندك عاماً بين هذه الخمر وذاك الطعام ، بينما يكمد الآخرون من  
 أجلنا ويجهدون ، ما فرغت من قصتها عليك ... فهي أنباء باكية وآلام  
 متصلة ، شاءت السماء أن أقاسيها ، وأن أجمع غصصها ... إذن فأنا ابن  
 كاستور هيلاسيد أحد سرة كريت ، من سرّيته المحبوبة التي كان يعزها  
 كزوج . ولم يكن أبي يفرق بيني وبين إخوتي من زوجته ، بل كان  
 يولينا حبه على السواء ، وكان الناس يجعلونه كأحد آلهتهم لثرائه الواسع ،  
 وحسبه الضخم ، ولأعماله الناجحة ؛ فلما مات اقتسم أبناؤه كل ما ترك ،  
 وكان نصيبي منزلاً متواضعاً ، ومالا كثيراً ، وزوجة غنية ذات مال  
 وجمال . ولم يحاول إخوتي أن يدعوني<sup>(١)</sup> أو ياكلوا تراثي ، لما كنت عليه  
 من كريم الخصال وحميد النعال ، وجمال المنظر ووسامة المظهر - لا كما

ترانى الآن - وأسفاه على مافات من نضارة الشباب اتالله لن تستطيع ، ولن يستطيع أحد ، أن يتحدث كم شقيت وكم بُليت ، وكم من الآلام والضنك وأضرار الحياة تحملت ؟ فلقد كنت لا أُرهب الردى . وكنت دائماً أخوض خبار المعامع فى حسمى مارس ومينرفا فأشك قلوب الأعدى وأبهر القادة والزعماء بجلائل الأعمال ... ولم يكن من دأبى أن أشغل نفسى بأكلاف البيوت ومشاعل الحياة المعيشية الدنيا، التى هى بالأحداث والغلمان أولى ، بل كنت مشغولاً أهدأ بركوب البحار وخوض غمار الوغى ، وملاعبة الأسننة . وما إلى ذلك مما جعلته السماء غراماً وفرحاً لى ، وضراماً وفزعاً فى فؤاد سسواى - والناس كما تعلم فيما يعيشون مذاهب .. ولست أرسل القول على عواهنه ، فلقد قدت إلى طراودة تسعة جيوش ظفرت بفيالقها قبل هذه الحرب الضروس الأخيرة بينها وبين هيسلاس ... ولقد حزت الثراء الجهم والغنى الوافر من جراء هذه الحروب ، فأصبحت بين شعب كريت المفضل المبهجل ... ثم كانت الحرب الأخيرة التى قتل بسببها مئات من السادة الصناديد من رجال الإغريق ، فاختارونى أنا وصاحبى إيدومين قائدین للأساطيل ... ثم حاربنا حول طرودة تسع سنين حافلات مُثقلات وفى العاشرة سقطت المدينة فى أيدينا ، وعدنا أدراجنا نطوى اليم لا ندرى ماذا خبأت لنا المقادير ؛ ومن ثمة بدأ جوف يرسل صسيباً<sup>(١)</sup> من الرزايا فوق رأسى، حتى إذا وصلت إلى كريت سالماً لم ألبث طويلاً هناك ، ولم أمتع النفس بالأهل والوطن إلا شهراً واحداً ، ثم أقلعت فى تجبة من رفاقى بأسطولنا إلى مصر بعد أن أولمت لهم وقربت القرابين

وقد أرسلت العناية لنا ریحاً جرت بسفننا رُخاء كأنما أبحرنا مع تيار نهر لا جبار ولا عنيد . ولم يحدث لأى من جوارينا سوء حتى بلغنا شطآن مصر فى اليوم الخامس ، واتخذت سفننا سبيلها فى النيل عجباً .. ثم حدث ما لم أود أن يحدث . إذ سطار جالى بعد خلف فى الرأى وشجار بينهم عنيف على حقول الفلاحين فاستاقوا أنعامهم وسبوا نساءهم ، واسترقوا أطفالهم ثم ذبحوا رجالهم ... بيد أنهم لم يسلموا مع ذلك من شر المصريين إذ استيقظت المدينة على صراخ الجرحى وأنين القتلى وتصويت النساء فأقبل أهلها كالجراد ، بين فارس وراجل وكل يحمل السيف البتار أو الریح السممرى ، فأعملوا فينا ضرباً وقتيلاً واستنقذوا السبى كله ، وشفوا حرّك<sup>(١)</sup> صدورهم منا ... أما أنا ...

فيا ليتنى قتلت فيمن قتل واسترحت من هذه الدنيا التى جرعتنى ضعف هذه الآلام بعد ! لقد كنت أشهد رجالى يهون إلى الأرض . وأعلم أن جوف قد أنزل هذا البلاء بهم جزاء لهم وفاقاً : فلما رأيت أنى لا محالة شارب بالمكأس التى شرب بها رفاقى ، ألقيت سيفى وجريت أعزل من السلاح إلى حيث الملك الكريم ، فركت بين يديه ، وقبلت الأرض إجلالاً له ، وبكيت ما شاء جوف أن أنكى . ثم سألته العفو والمغفرة ، فرقلى ، ورثى لخالى ، وأمرنى فأخذنى فى جملة خدمه إلى المدينة . وقد رام رجاله أن يقصدونى برماحهم لولا أن صدمهم مخافة من الله الذى آمن اللائذين به ، المستذرين بظله . ثم لبثت فى أهل مصر سبع سنين هائناً سعيداً محبوباً من الجميع وحدث فى السنة الثامنة أن قدم إلى المدينة رجل فينيقى جواب آفاق ، ما زال بى حتى

أقنعني بالفرار معه إلى بلاده، وأغران بأن له ضياعاً وأملاً كاملاً ، ففعلت ، ولبثت معه حولاً بأكمله ، ثم حدث أن كلبني بعد هذا الحول في رحلة لا أعرف إلى أين ، كانت أكبر الظن للسطو والقرصنة ، أو على الأقل لأباع في بلد قصى بيع الرقيق ، فينتفع بشئى ... ورحلنا ... ولكن عاصفة جبارة هبت علينا وتلاعبت بنا ، وعبست السماء وكبح الدأما<sup>(١)</sup> وتمرد من تحتنا الماء ، ثم أرسل جوف صواعقه على السفينة فقصمها ... وغرق الملاحون جميعاً ... وأكرمني الله العلي اللطيف فبعث إلى بقلع السفينة الأكبر فتعلقت به ، ولبثت الصبا<sup>(٢)</sup> تقذف في نحو الجنوب أياماً تسعة ، وفي ظلام الليلة العاشرة ، دفعتني على شيطان تسپروتيا حيث أكرم مشواى ملكها العظيم البطل فيدون ، وعنى بشانى . وذلك أن ولده رأى طريماً على الشاطئ أكاد أموت من البرد والجوع ، فحملنى إلى قصر الملك حيث ردت إلى الحياة وأعطيت دناراً وصداراً ، وخصصت لى عرفة فسيحة ذات أرائك .. وهناك سمعت عن مولاك النازح، البطل أوديسيوس، ورأيت به بعينى رأسى وقد ذكر لى عن فضل الملك وإكرامه مشواه ، ما برهنت عليه أعماله ؛ ثم أرانى أوديسيوس كنوزه من الذهب والنحاس وطرف الحديد التى جمعها فى أسفاره ، التى تسكنى للنفقة على أسرته عشرة أحقاب ... وكان الملك يحفظها له فى غرف كثيرة فى قصره إعزازاً له وتكريماً ؛ وذكر لى أنه ذهب إلى دونا النائمة بين أحضان الحور والسنديان ليستوحى كاهن جوف الأكبر عما إذا

(١) عبس البحر .

(٢) ريخ الشمال

كان خيراً له أن يذهب إلى بلاده متنكراً ، أو في صورته الصريحة الحقيقية بعد هذا الغياب الطويل عن أهله . وقد أكد لي الملك أن المركب الذي سيحمل أوديسيوس إلى بلاده - إيثاكا - معد في المرفأ ولولا أنى أبحرت قبله لشهدته بعيني يركب الفلك ، ذلك أن فلانكا آخر للملاحين من جزيرة لشيوم كان راسياً في الميناء ، فأمرهم الملك أن يحملوني معهم ويذهبوا بي بأقصى ما يمكنهم من السرعة إلى الملك أكاستوس . ولكنهم وأسفاه تآلبوا عليّ في عرض البحر ، وتأمروا بي ونزعوا صداري ، ونضوا<sup>(١)</sup> دثارى ثم اتهموا فرصة المد فأرسلوا بي إلى شاطئ إيثاكا ، بعد أن ألبسوني تلك البزة القبيحة التي ترى . ولكي لا أقوم أدنى مقاومة ربطوا ذراعي وساقى وشدوا وثاقى في السارية فلم أجد حراكاً . . . بيد أن الآلهة رأفت بي وحلت وثاقى ففقدت بنفسى في المساء وسبحت إلى الشاطئ حيث وجدتهم يعدون عشاءهم ويلتهمونه سراعاً . . . وقد اختبأت في الأدغال الكشيفة فلم يرونى . . . وهالهم ألا يجدونى حيث شدوا وثاقى ، فذهبوا يبحثون عنى حتى إذا لم يقفوا لى على أثر ، أفلعوا عجولين ، ونجاني الله منهم ، وساقى إلى الرجل الصالح الطيب لذى وصل حيانى وأكرم مشواى . . . فتبسم يومايوس وقال : « تالله لقد أثرت فى فؤادى مقاتلك أيها الضيف الكريم ، وأشجاني ما لقيت من أهوال ! ولكنك كما يبدو لى لم تكن جاداً فيما رويت من أنباء أوديسيوس فلم أيها الأخ وعليك من سيما النبل وتخايل الفضل ما عليك ، تلفق مثل هذه الترهات المضحكات ؟ أما والله إنه إن يكن قد نجى من الموت فى ساحة طرودة بما ألب عليه

من سخط الآلهة أجمعين ، فأ كبرظنى أنه قد غدا سحر السباع وكل نسر  
 قشعم .. والسفاه عليه ! ألا ليته قتل فى سيديل بلاده فى حرب عوان  
 يحمى فى وغاها بيضة الوطن ! إذن لبكاه جميع الإغريق ، ولا جتمعت  
 هيلاس كلها تتنافس فى صنع كبينات قبره ، وتخليد ذكره ، ولأورث  
 ولده المجد والخلود ! هأنذا يا صاح ثاو فى هذا المكان ، لاصق بذلك  
 البيت العتيق ، يفد على فى كل آنة غرباء مثلك ، يروون لى القصص ،  
 ويلفقون الأحاديث عن مولاي ، فبعضهم يبكيه ويتحسر عليه ،  
 وبعضهم يوشى الأكاذيب ليغنم بعض الرفد<sup>(١)</sup> وينال بعض العطاء ،  
 حين أقدمه للسكة الحزينة الكاسفة ، بنلوب ! ولعمري ما انطالت على  
 يوماً أحاديثهم ، ولا خدعت مرة بماروقوا وزوقوا !! أفتحسبني أصدق  
 ما زخرفت أنت الآخر عن أوبة مولاي مثقلاً بأحمال الذهب من كريت ،  
 واهماً أنتى بهذا أبالغ فى إكرامك ، وأحرص على التلطف بك ؟ لم  
 تصنع هذا أيها الرفيق بعد أن ترفقت بك الآلهة ، وهدتك إلى شاطئنا ؟  
 أما والله إنى إنما أكرمتك حباً لجوف ورهبة من بطشه ولما جاش فى  
 صدرى من الشفقة عليك والرثاء لك ، والتألم من أجلك . وقال  
 أودسيوس يحيمه : « لشد ما أوتيت قلباً أفعمته الوسائوس ، ونفساً  
 ساورتها الشكوك أيها الشيخ ! هبها أنباء ملففة ، فما يمينى التى أقسمتها لك  
 إذن ؟ تعال ! هلم نتقاسم يميناً تكون آلهة الأولمب عليها شهداء ، إنه إن  
 أب مولاك إلى بيتك هذا فى أقرب ما تظن من الزمان . فيكون لى عليك  
 صدار ودثار أصلح بهما شأنى حين أعود أدراجى إلى دلشيوم . . .  
 فإن لم يؤب كما عاهدتك فتجتمع أنت ورجالك وعمالك وتقذفوا بى

(١) العطاء .



من رأس قلة عالية سامقة يخشى أحقر الأفاقين أن يترعب عليها ، وأجابه راعي الخنازير : جميل والله أيها الغريب اللاجئ ! تكون ضيفي ، وتواكلني وأواكلك على مائدتي . وتظمنني إلى ، وتآمنني ، ثم أقذف بك من حالق ؟ جميل والله هذا ! وتضيع صلواتي ونسكي لدى جُوف العلي ! صه ! هلم هلم ، العشاء يا صاح ! لقد آن وقت العشاء . . . البدار قبل أن يدهمنا عمالنا فيزحموا المائدة ولا تجد لك مكاناً بينهم .

وهكذا تشقق الحديث بين الرجلين ، ثم وصلت رجال الخنازير وأهرعت إلى حظائرهما حيث ارتفع قُبابهما<sup>(١)</sup> وعلت ضروأؤها . . . وهتف الراعي بأحد غلماناه فأمره أن يحضر واحداً من أسنمها لعشاء الضيف ولعشاء الرعاة . . . أفما نستجق واحداً منها بما تلتهم بطون غيرنا الذين ينعمون بشمار كدنا ونصبنا ؟ .

وجيء بخنزير جسد ، وأججت التيران واتقد الجمر ، وصلى يومايوس للآلهة ودعا لمولاه بالخير ! وتمنى له العود أحمد العود ، ثم أهوى بشاطوره على عنق الحيوان نحر يتلبط<sup>(٢)</sup> في دمه ، وسلخوه بعد ذلك . وهم به يومايوس فقطعه ، ووضع إرب اللحم على صبغ الشحم ، ونثر من الدقيق على كل ذلك ، ووضع الجميع في الجمر ، وكلما نضج شيء وضعه الغلمان على المائدة ، حتى إذا فرغوا تولى الراعي العجوز توزيع الأنصبة فجعل لابن مايا<sup>(٣)</sup> سبعة أسهم ، ولعرائس الماء سهماً واحداً ، وجعل لسكل من عماله نصيبه بعد أن أتمف أوديسوس بأجزل الأنصبة جميعاً ، ثم كان يمدد بعد ذلك بإمدادات جمّة ١١ مما أطلق لسانه له بالشكر

(١) القبايع بالضم صوت الخنازير . (٢) يتلبط . (٣) هرمز .

وعليه بالثناء... ورد عليه الراعي في أدب وافر: «إن الله هو مانح كل شيء يعز من يشاء ويذل من يشاء، ويعطي ويسلب، له الملك، لا شريك له». ثم أودوا صلاتهم الخمرية فأهرقوا المدامة للآلهة، وكذلك صنع أوديسيوس، وهم ميسولوس مولى يومايوس وخدامه الذى اشتراه بماله - فوزع الخبز، ولبث يخدم ويسقى، ويحجى ويروح، حتى إذا فرغوا نظف المائدة وأعاد كل شيء إلى مكانه، وانصرف القوم إلى مضاجعهم ليناموا ليلة ليلاء ممطرة شديدة القر، عظيمة البرد، ونام أوديسيوس قريباً من مضيفه، ولم يكن عليه من الغطاء ما يقيه هول القرس<sup>(١)</sup> فلفق هذا الحديث للراعي الشيخ ولمن نام معه من عماله: «لله مات صنع خمركم بالألباب يا قوم! لقد أوشكت أهدى وأتتفض وأملا شديقي بالضحك... ولولا هذا القر لقمتم فرقت، ولكننى محدثكم حديثاً من أحاديث الشباب فيه هذيان وفيه ثرثرة، وفيه من سميا سلافكم ما فيه. ألا ما أحلى أيام الشباب وما أروعها لورجعت!! إن لها لصدى فى نفسى يتردد، وإنى ما عشت لن أنسى تلك الليلة القارسة الشاتية التى قضيتها فى صدر الشباب وربعان الصبي مع صديقى أوديسيوس ومثلوس فى كمين تحت أسوار طروادة، فى مستنقع أسن ذى قصب، نرغب من عدونا فرصة تظفرنا به وتنصرنا عليه، مقنعين فى الحديد والزررد<sup>(٢)</sup>، صابرين لمسا يصفعنا به بوريس<sup>(٣)</sup> من ربح عاتية وبرد، ويسفعنا به من قر وبرد، حتى انعقد الصقيع على دروعنا، وكدت أنا

(١) القرس البرد الشديد جداً .

(٢) لابسين دروع الحديد .

(٣) رب ربح الشمال أو الصبا .

اجمد ويجمد الدم في عروقي ، لأنني وأسفاه استهنت أول الأمر بما أنذرت به الحال من هذا المآل ، فخرجت في عدتي وسلاحي ، ولم ألبس معطني ولم ألتفع ريطتي<sup>(١)</sup> ، بينما قد احترز رفاقي فتدثروا بكل ثقل... وخفت ألا أصبر لهذا البرد فتكون القاضية ، فهتفت بأخي أوديسيوس : « أدركني يا ابن ليرتس النبيل فقد أشفيت على الهلاك من ذلك الزمهرير ! أدركني بأربابك فإنني قد استخففت بالفصل الذي نحن فيه فلم أحضر معي معطفاً ويكاد يقتلني البرد ويهرؤني الصقيع » . وأسكتني أوديسيوس خشية أن يسمعننا أحد فلا نفلت من الموت ، وقال لرفاقه : « أيها الإخوان ! رأيت رؤيا وبودي لو يذهب أحد إلى أجامنون فيطلب لنا مدداً فلقد بعدنا عن الأساطيل ، ولسنا بخير لما ترون من قتلنا ! ، وانبري لها أندريمون نخلع معطفه وأطلق ساقيه للريح ... وأشار أوديسيوس الخنيث إلى ، فلبست المعطف واستدفأت به ، وحمدت الآلهة « أفليس فيكم أيها الأجاويد رجل رشيد ، فينزل لي عن معطفه أتق به هذا البرد الشديد وأنا في مثل سني وأتم في ميعة شبابكم ؟ ألا تفعلون ! لتكن لكم هذه اليد على تفضلا أو تأدباً ! » وقال يومايوس يجيبه : « لا عليك ياضيفنا العزيز ... إياك لن تشكو برداً ولا تقصيراً عندنا... وليس لدى كل منا إلا دثاره وصداره ومعطفه ، وليس لدينا منها كثير نباهي به . وسوف يعود تليهاك بن سيدنا ومولا نافيخلع عليك من الملابس ما يسرك ويهيجك ؟ ولكن رويداً فساً كفيك عادية القر برغم هذا ... وبرغم ما عجزت في

(١) الربطة تشبه الكوفية .

حديثك ولمزت ١١ . ثم نهض فجمع شيئاً كثيراً من فراء الغنم وجلد الماعز فجعله ركاباً بالقرب من المدفأ ، ثم جعل عليها ظهارة<sup>(١)</sup> من الصوف ، فصلحت بذلك أن تكون لأوديسيوس وسادة وثيرة ليس بها من بأس ، نام فيها فاستراح ، والتحف بفراء آخر ، وبات ليلته والابتهاج يغمر نفسه لما رأى من حرص راعيه على ذكراه ، وحينته للقيام وعنايته بقطعانه . أما الراعي العجوز الشيخ ، فكأنما أثمر فيه مقالة أوديسيوس فهب فألقى عليه سلاحه ، وأضنى على كاهله دروعه ، بعد أن خلع ، وأتزر بجلد عنز . ثم أجلس بازيه الباشق على كتفه الضعيف ، وحمل حربته التي يذود بها الناس والسباع عن رعاله ، وانطلق في العراء ، حيث جلس على صخرة مشرفة على السهل ، وذلك ليحرس القطيع النائم ... غير عابء بقرس الريح ولا وحشة الليلة الليلاء ...

(١) ظهارة الفراش ونمطه ما يفرش عليه كالملاءة .

## عودة تليماك

ثم رفت مینرفارفتین أو نحوهما ، فكانت فی وادی لیسیدیمون الخصب حیث حل تلیماک ضیفاً کریماً علی المملک منلوس ، و حیث وجدته یتقلب علی فراش السهد و الأرق ، لا یتطیع أن یغمض عینیه من هول ما یفکر فی أبیه . . . بینا نام بن المملک نسطور ملء عینیه نوماً هادئاً عمیقاً علی سریر مقابل لسریر الفقی المحزون .

ووقفت الربة عند رأس تليماك وأنشأت تقول له : « إلام تظل هنا في مهبّ ساجرك بأقصى الأرض نائياً عن وطنك يا تليماخوس ؟ أو هكذا رضيت أن يأكل العشاق الفساق ترائك وينهبوا بنعاء السماء عليك ، ثم لا تلبث أن تتوب إليهم من تطوافك بالآفاق بقبضة من هواء ، وخيبة من رجاء اهلم هلم ! سل المملك أن يأذن لك في السفر من فورك فقد أله جدك وأخوالك على أمك في أن تتزوج من الأمير يوريم ، لما اتفق عليه من مهر ضخم ، وتقدمات وافرة ، أضعاف ما وعد الآخرون ... هذا فضلاً عما بوشك أن يسلب من القسنى العزيرة عليك من بيتك ، التي تنقص من هنا لتزيد فيما هناك ، فإنه ليس أحب من هذا إلى فؤاد المرأة ، وهي سرعان ما تنسى أطفالها من زوج شبابها ورفيق صباها من أجل زوجها الثاني الذي تود لوتهمه كل شيء . فالبيدار البدار إذن ، وعد أدراجك إلى بلادك لتحفظ تراث أبيك ينفعك حين تسكون لك زوجة

صالحه وذرار أبحاب ببركة السماء ورعاية الآلهة ... ثم خذ حذرك يا تليماك، فلقد اختبأ زعيم العشاق في ثلثة من رجاله بين ساموس وإيثاكا يتربصون بك ويتصدونك ليغتالوك قبل أن تصل إلى شاطئ الوطن ... وإن فألهم الخائب، ولن يفعلوه حتى يهال تراب الموت عليهم جميعاً ... ألا فارحل يابني في ظلام الليل، وامنسب سفينتك أن تسلك سبيل ساموس، وابعدا ما استطعت عن الجزائر القريبة منها، وسيرعاك بعض الآلهة، ويسخر لك ريحاً رخاءً تسارع بك إلى بلادى . فإذا بلغت أول الشاطئ الإيثاكي فانزل إلى البر، ولتسلك الفلك سبيلها من دونك، ولتذهب أنت إلى يومايوس راعي قطعانك الذى يحبك فأرسله إلى أمك كي تقر عينها بأوبتك . « وما كادت تفرغ حتى زقت <sup>(١)</sup> إلى الأولمب . وهب تليماك فأيقظ رفيقه من نومه قائلاً : « هلم بيزاستروس ! هلم قأسرج الخيل وانرحل من فورنا ! » وقال له ابن نسطور يجيبه : « هلم إلى أين يا صاحبي ؟ كيف نخبط في هذا الليل الدامس ؟ ألا نصبر حتى تشرق ذكاء . وحتى يلقاك الملك فيخلع عليك ويحسن وداعك، لتظل ذكراه الحسنة ماثلة إلى الأبد في روعك ؟ »

وانبلج الصبح، فنهض منملوس الملك من نومه العميق، ويم شطر الغرفة التى نام فيها تليماك ورفيقه . وما كاد تليماك يلبس في غبشة الفعج صورة الملك حتى هب مسرعاً، وأضفى عليه طيلسانه الفاخر، وأترز فوقه بمئزر آخر، ثم دلف نحو الباب فلقى الملك ثمة وقال له : « بورك الملك

(١) زف الطائر أسرع في طيرانه .

وتعالى جده ! تالله لقد آن لى أن أعود إلى إيشاكا ، وبودى لو أذن الملك بذلك ، فقال الملك : « إنا لانستطيع أن نحجزك إذا كانت رغبتك أن تشد رحلك يا تليماخوس ؛ وإنه ليس أشق علينا أن يقيم ضيف لدينا برغمه ، أو أن نعشجه على الرحيل من عندنا . . . بيد أنه يحسن أن تنتظر قليلا حتى نهيء لك أنخر الهدايا وأعز اللثى وحتى نعدّها لك فى عربتك ، وسأمر ندامى ميعدون لنا فطوراً يليق بوداع ضيف كريم عزيز مثلك ، لا بد له من أكلة حافلة تصبر لسفر طويل يزمعه . فلو أن سفرك هذا كان خلال هيلاس ، وكنت من أجله ستجتاز أرجوس شرقا لغرب ، إذن لسافرت معك ، ولجزت بك مدائن شتى ، ولأهرع إلينا عمال الأقاليم يقدمون إلينا الهدايا والتحف ، من صحائف الذهب وركائز الإبريز وكل كأس ثمينة ، ومن كل دابة مطهمة وجواد كريم ، وأجاب تليماك فى أسلوب الفطين الحذر : « مولاي أتريدس ، منلوس العظيم ! تالله إنه لآثر إلى أن أرحل لساعتي ، فلقد تركت ورائى بيتاً لم أدعه فى صيانة أحد ، وخطاماً لست آمن عليه أحداً . . . وأخشى يامولاي أن أقضى فى رحلتى هذه وراء أبى ، فلا أكون قد أقيمت على نفسى ، ولاراعيت ترائه الذى تركه لى ، وأمر الملك خدمه فهبأوا الخوان ، وزودوه بما بقى من عشاء أمس ، بعد أن أضرم رئيسهم إيتون ناراً أسخن عليها ما ينبغى أن يكون منها حاراً . . . وتوجه الملك إلى غرفته ، فلقى فيها زوجته وولده ؛ فتناول كأساً من الذهب الخالص ، ودفع لولده بدلها من الفضة ؛ أما

الملكة فنهضت إلى خزانتها فأحضرت ساجاً (١) عملت فيه يدها الصانع  
 فزخرفته وزرركشته حتى بدا كسواء التمتع فيها نجوم ... وعاد ثلاثتهم  
 إلى حيث ينتظرهم تليماك وكلمه الملك فقال: «ذاك تذكارى إليك يا ابن  
 أوديسيوس بودى لو تقبلته . وهو كأس عجيبة من صنع فلسكان أهداها  
 إلى البطل فيديم ملك سيدون» (٢) حين حملت عليه ضيفاً ؛ هذا وأنا أدعو  
 لك أن يكداك جوف في رحلتك بعين الرعاية ، وأن يكتب لك السلامة  
 والتوفيق ، ثم قدم إليه الكأس العظيمة وكذلك فعل ابته . أما هيلين  
 فقدمت إليه الساج ، وتبسمت عن فم أنضر من أقحوانة ، وقالت له : «وأنا  
 أيضاً أدعو لك يا بنى ، وأقدم إليك سدوساً» (٣) من أنفس الديباج حينذا  
 لو جعلته قسيمةً تذخره لك أمك حتى تقدمه بدورك لعروسك لیسلة  
 زفافها إليك ، وكان لكلماتها في نفسه نشوة ، فأخذ الطيلسان وناول له ابن  
 نسطور الذى عنى به ووضع بمكانه من العربة . ثم يمشوا المائدة  
 الكبرى ، وصبت الماء على أيديهم جارية ذات حسن وأناقة  
 وظرف ، وأخذوا بعد ذلك في فطورهم ، بينما وقف ابن الملك يدهق  
 السكؤوس ويشرب الخمر ، حتى إذا فرغوا نهض تليماك ورفيقه فسلبا  
 وودعا ، وركبا العربة الفخمة المثقلة بأثمن الهدايا ، وتناول الملك  
 كأساً من الخمر وسار حتى دنا من الخيل : فصبها صلاة للآلهة  
 من أجل الراحلين وقال : «لكما الصحة والصفاء أيها الشبان  
 اليافعان . تحياتى إلى نسطور أختى الذى كان يرعانى كأحد أبنائه تحت  
 أسوار طروادة ، فأجابه تليماك : «لاغرو أيها الملك ، فسنقص عليه آية

(١) الساج الطيلسان . (٢) سيدون هي ميداء . (٣) هو الساج أيضاً .



كرمك وعظيم سخائك . . . وأرجو لو وصلت إلى إيثاكا فلقيت أبي أوديسيوس ثمة ، إذن لقصصت عليه هو الآخر ما غمرتنا به من حفاوة وكرم وعطف ، وما كاد ينتهي من كآبته حتى بدا عن يمينه نسر عظيم يحمل في مخالبه إوزة كبيرة بيضاء ، وقد حلق في الهواء ، وجرى خلفه الخدم والحشم من أهل المدينة ، بيد أن النسر فاتهم جميعاً . . . وقد زعج الملا الواقف لتوديع تليماك ، وبدا الملح في وجهه يز استراتوس ، فسأل الملك فقال : « ليتفضل الملك فيحدثنا عن هذه العلامة إذا كانت من أجلنا أو من أجل مولانا ، ولكن الملك لم يحرجوا أباً لفرط دهشه . فلما لحظت حيرته هيلين زوجته ، تكلمت فقالت : « أيها الملا اسمعوا وعوا ، فإني أحدثكم كما علمتني الآلهة . . . تالله إن هذه لآية ، فبجاءك ذلك النسر أولئك الناس ، وذهب بتلك الإوزة البيضاء ، فهي له ، فكذلك يعود أوديسيوس من تجواله وطويل ترحاله إلى إيثاكا ، فيبسط بأعدائه الذين استباحوا عرضه وعشقوا زوجته . ويخلو له وجه بنلوب ، وانتفض تليماك من شدة ما أثرت فيه كلمات الملكة فقال : « ألا حبذا أن يتم هذا ! اللهم يا جوف المتعال حقق النبوءة أعبدك ، واكتب لأني السلامة أحببت لك ، واكتب لي أن أعود إلى بلادى فألقاه ثمة تسكن لك صلاة دائمة وذكر متصل يا إله السموات ! ، ثم حيناً الملك ، وأهب الجياد فانطلقت تهب الرحب . . .

ولم يزل على سفر طوال يومها ، حتى بلغا قصر ديوكليس مع مغيب الشمس ، فضيئتهما باتا ليلتهما عنده ؛ وما كادت أورورا تنضرب

جيين الشرق بالورد حتى هبا مسرعين ، وودعا مضيفهما الكريم ،  
وواصلوا رحلتها . . . وكان ابن نسطور قد أخذ بأعنة الخيل فجعلها  
تنساب حتى لكانها تسابق الريح . . . ولما بلغا أبواب بيلوس قال تليماك  
لصاحبه وهو يحدثه : « أنت عذيري يا أعز الأصدقاء إذا سألتك أن  
تصل بي إلى السفينة من غير أن تتوجه إلى بيتكم للقاء أبيك ، فقد يكبر  
عليّ أن أرفض نُزُلَه ، وأستأني بذلك عنده ، في وقت أنا في أشد  
الحاجة إلى العودة إلى الوطن . . . على أنني سأحفظ لك في أعماقي ذكرى  
خالدة لا تمحى ، زادتها هذه الرحلة الحزينة جمالا ، وعقد أواصرها  
ما بين أبويننا من الود ، وما بيننا من اتفاق السن ، وصفو المودة وجميل  
الإيحاء ، وتردد ابن نسطور أول الأمر ، بيد أنه لم يستطع إلا أن  
يلبي رجيسة تليماك ، فثنى أعنة الخيل إلى الشاطئ حيث كانت تنتظره  
الفلك ، فنقل إليها متاعه ، ثم ودعه صديقه وعقرت القرابين باسم  
مينرفا ، وصلى لها الجميع وسبحوا سبحاً طويلاً . . . وإنهم لسكذلك ،  
إذا شاب طويل مفتول العضل يتقدم إلى تليماك ، فيخبره أنه قاتل  
آبق<sup>(١)</sup> ، وأنه يلود به ، وأن اسمه تيوكليمين ، وأنه يرجوه في أن يسافر  
معه . فبش له وبش ، وأخذ سلاحه فألقاه في السفينة ، وأذن له في  
الركوب ، وجلس الرجل مع تليماك عند مؤخر السفينة ، في حين كان  
الملاحون يهيمون القلاع ، وينشرون الشراع ، ثم أقلعت الفلك ،  
وأرسلت مينرفا بين يديها سحسجاً تدفعها في رفق ، وتطوى تحتها الماء  
في حدب . وكانت الشمس تتوارى بالحجاب ، وكان الليل يلقي سدوله

(١) نضرب صفحاً عن قصة هذا الرجل بعدها عن الموضوع .

فوق الكون . . وما هي إلا عشية حتى مرت السفينة بغيرها ، وبمدن غيرها ، وجوف في كل ذلك يحرسها ويرعاها .

\*\*\*

هذا ما كان من أمر تليهاخوس الفتى . . . أما ما كان من أمر أوديسيوس وراعيه ، فقد كانا يلتزمان في هذا الوقت طعامهما ، وما كادا يفرغان من ذلك حتى أحب أوديسيوس أن يرى انفسه إذا كان الراعي قد ضاق به ذرعا فينطلق من لدنه ، أو هو كريم ذو نخوة ونخيزة<sup>(١)</sup> فيبقى عنده ، فنهض يقول : « أيها الراعي يومايوس . . . وأتم أيها الأصدقاء الرعاة . . . اسمعوا وعوا . . . تالله إنى لأخشى أن أرهقكم بضياقتي أو أنقل عليكم بلائي عندكم طويلا ، فرجائي إذا انفلق الإصباح أن يقودني أحدكم إلى المدينة لأستجدي وأتكفف ، فلن أعدم فيهم من يتفضل على بيلغة<sup>(٢)</sup> أو كسرة أو جرعة ماء . . . ولسوف أيمم شطرن بنلوب وعسى أن أستطيع لقاءها لأبلغها أنباء أوديسيوس ، فإذا لم أستطع فلن أعدم عملا في خدمة العشاق ، لأنى والله المحمود ولى من أولياء هرمر رسول السماء ونصير الضعفاء ، ولن أضيق بتكسير الخشب ، أو إضرار الحطب ، أو حمل السكاس والطاس ، أو القيام على الشواء . . . أو ما إلى هذا وذاك من عمل الفقراء البائسين » واهتز يومايوس إشفافاً وقال : « أيها الرجل ماذا تقول ؟ أتجازف بنفسك فتلقى بها إلى التهلكة وسط هؤلاء الناس ؟ من أنت أيها الفقير حتى تحسبك تقدم الخبز لهم أو تخدعهم ولهم خدم شباب عُرا نيق ، وندامى كالسكواكب نضرةً وجمالا . . .

(٢) البلغة اللقمة من الطعام .

(١) مروة

وَ حَسَمَ يَلْبَسُونَ أَحْسَنَ الْوَشْيِ وَأَخْفَرَ الْحَرِيرِ وَالذَّبْيَاجِ . . . لتبقى معنا  
أبنا الشيخ فلان نضيق بك ، وحين يعود سيدي تليماك فإنه يكسوك  
ويسبخ عليك ، ويبيحك مكرماً معززاً أنى شئت . . . وشاع البشر في  
أعطاف أوديسيوس فقال : « شكراً لك يا يومايوس ألف شكر ،  
وجزاك الله عني أجزل الخير ، بما كفيتني شر السؤل وذل الاستجداء  
وليس شراً منهما على نفس أئمة قاست الأهوال ولا تزال تقاسى . . .  
بيد أن لي مسألة عندك بودي لو جلوتها لي : ألا يزال والد أوديسيوس  
حياً يرزق ؟ وهل لا تزال أمه بخير ؟ أم أنهما اليوم من أهل الدار  
الآخرة ؟ لقد غادرهما أوديسيوس يوشكان أن يطرقا باب هيدز ،  
فهل عندك من أخبارهما شيء ؟ » . قال الراعي : « ومالي لا أصدق  
أبنا الشيخ ؟ إن ليرتيس — أباً مولاي — لا يزال على قيد الحياة . . .  
لكنها حياة شاقة أنقضت ظهره ، وأنفدت صبره ، وهو ما يفتأ  
يضرع للآلهة أن تخلصه منها بالموت . . . إنه قد فقد أحسن آماله حين  
فقد حامى شبيبته الذائد عن شيخوخته ، ولده أوديسيوس ، وقد عجل  
له الشقاء موتاً ، وحياته هو من بعده ، فهو ما بيني وبينك ، وما ينفك  
يُساوئ نفسه حسرات عليه . . . أما أمه فقد قضت من أسى وحزن  
وطول بكاء ، قضاء ما قضى مثله صديق ولا عدو ! إنني حزين عليها  
يا صاح ، بل أنا أفتقدها كأعز من أمي لأنها نشأتني صغيراً ورعتني  
كبيراً ، وكانت تحبني كحبة ابنتها ستيهينا التي تزوجت أحسن زيجة في  
ساموس من كفاء مهرها أحسن مهر وأغلاه . . . أبداً لا أنسى أنهم  
ألبسوني أحسن اللباس ، وأعطوني نعلين جديدتين ، فرحاً بزواجها .

ثم أرسلوني إلى الحقل ، ولكنهم لم ينقصوا من محبتي ... لقد عاشت مولاتي بعد أوديسيوس معيشة شقية كلها آلام ، وكنت أراسيها وأعزيها ، ولسكنها ما انتفعت قط بعزاء ، ولا استروحت إلى سلوة ، حتى ماتت ، وهأنذا أبكيها كلها ذكرتها ، وقلَّ أن أنساها ، على أني أحمد السماء على ما أولتني من خير ، وأسبغت علي من نعم هي حسبي وحسب الضيف الذي يغشاني ... على أني أعذر مولاتي وسيدتي نلوب إذا لم أر منها عطفاً عليّ ، لأنها في شغل بحالها وسط هؤلاء الأوغاد المعاميد ... وهي بالرغم من ذلك تولى خدمها المقربين منها نصائح غالبية تنفعنا جميعاً ... ثم هي لا تنسى أن تنفخ الكثيرين منهم ما يفرحون به من آلاء وأعطيات ، غير ما يأكلون وما يشربون . . . وكأنما أراد أوديسيوس أن يتهكم عليه ويستخر به فسأله عن بلده ووالديه ، وعن القوم الذين أخذوه عنوة ، وفي أي سفينة جاءوا به ، وبكم باعوه لأهل أوديسيوس ، فقال الرجل : « أيها الصديق أعرفني أذنيك ، وارشف خمرك ، أقص عليك قصتي ، فالليل طويل ، وفي جُنْحِه يحلو السمر ، وليس أشهى من أن يرويَ ذو أشجان ، وأتم أيها الإخوان ، من كان منكم في حاجة إلى الزم ليصحو مبكراً فليذهب ولينعم بالكرى ... ثم أحسبك سمعت أو عرفت جزيرة سيريا التي عند أورتيجيا ... إنها جزيرة صغيرة ، لكننا غنية بأغنامها وماشيئها وقحها وأعناها ، كما اشتهرت بهوائها العليل ، ومناخها الجميل ، وصفوها وطيب رياها (١) ... لذلك لا تعرف أبدان أصحابها الأوصاب (٢) ، بل يُعَسَّمون حتى يأتيهم

أبوللو (١) فيصميمهم بسهامه ، وتعجل أرواحهم إلى هيدنز ، ويقسم أرض الجزيرة أهل مدينتين عظيمتين، كانتا تخضعان لسيطرة أبي الزعيم العظيم ستزيوس أورميند . . . وحدث أن أرسط في شاطئنا سفينة فينيقية محملة بالطشرف والتشحف ولبعب الأطفال ، من صناعة الفينيقيين ؛ وحدث أن كانت في بيت أبي جارية قسيمة وسيمة ذات حسن وذات دلال ، كانت تقف على سيف البحر لبعض شئون المنزل ، فرآها بعض ملاحى المركب واستطاع أن يخدمها بكلام معسول ذى طنين وذى رنين ؛ ثم سأها من هى . ومن أى البلاد أقبلت إلى هذه الجزيرة وكان الخبيث يمزج ألفاظه بنظرات الأبالسة ، وغمزات الشياطين ، وابتسامات الغزل ، فانقادته ، ضعيفة كنبات جنسها إذا نصبت لهن شرآك الهوى ، وجذبتهم أحابيل الغرام ، وقد أخبرته العادة أنها من سيدون المشهورة بصناعة الصلب والنحاس ، وأن أبأها أربياس الفلاح ، وأن بعض القرصان قد اختطفها حين كانت عائدة أدراجها من حقله ، وباعها اصاحب تلك الجزيرة بأجنس الأثمان وقد أغراها الملاح بالعودة معه إلى بلدها على فلسكه ، وبالفرار من حياة الرق والعبودية للقاء الأهل والأحباب والأبوين المثرين اللذين كانا لا يزالان حين يرزقان . . . فاستحلفته المسكينة إذا كان جاداً فيما قال ، فحلف لها ، واستقسمته إذا كان أميناً غير ذى غرض أو لبانة ، فأقسم لها ؛ ثم تعاهدا على ذلك وقالت له : « والآن فلا يذكر أحد من أمرى معكم شيئاً لآي من أهل المدينة ، حتى لا يفسدوا السر ويعلم به صاحبي ، فيكون فى ذلك

(١) تضيف بعض النسخ ديانا — وهذه أول مرة نرى فيها أبوللو يقوم بوظيفة عزرائيل فى الأدب اليونانى ، لأنها وظيفة هرمز (مركيورى) خاصة (د — خ)

وبالى ووبالكم وهلاكى وهلاككم . . . بل امضوا فى بيع بضاعتكم وشراء ما يلزمكم ، ثم إذا عزمتم أن تفعلوا فابعثوا أحدكم إلى بقصر صاحب الجزيرة ، فإنى مرضع ابنه ، وهو الآن محبوب ، بل يدرج ، وإنى محضرتة معى فإنه سينفعكم ، بل تستطيعون بيعه فى أحد البلاد ببعض المال ، وسأحضر معه كل ما تستطيع يدي أن تحمل من آنية وأكواب من خالص الذهب وغالى الفضة ، مما يخف حمله ويغلو ثمنه ، وعادت البائسة إلى قصر أبى . . . ولبت الملاحون عامهم كله فى مرفنا يبيعون ويشترون حتى إذا حال الحول أو كاد ، حضر واحد منهم إلى بيتنا يبيع بنية<sup>(١)</sup> من ذهب وكهرمان ، فالتف حوله وصيفات القصر ثم حضرت أمى فاشترت بضاعة الرجل الخبيث ، الذى استطاع أن يومي إيماءته المتفق عليها إلى مرضعى فلما انصرف من فى القصر من أضياف ، وذهب الخدم إلى شغلن قادتني مرضعى التسعة من يدي فمرت بى فى غرفة الزائرين ، حيث كانت أكواب الشراب لا تزال على المائة فدست منها ثلاثة فى ثيابها ثم ذهبت بى - وأنا طفل لا أدرك - إلى المرفأ ، حيث ركبت معها فى سفينة الفينيقيين ، فأقلعوا ساعة الغروب . . . ودفتناريج عاصف طيلة ستة أيام ، وفى صبيحة اليوم السابع ، أرسلت ديانا مسامها مسمومة إلى صدر المرأة - مرضعى - الآبقة - فماتت لساعتها - ووضعوا جثمانها فى سآب<sup>(٢)</sup> ثم قذفوا بها فى اليم ، طعمة غير سائغة للأسماك ،

(١) بوزن سفينة ولا تشدد ، هى ( الياقة أو السكولة ) .

(٢) السآب والمسآب وعاء كبير للزيت أو الخل وهو الزق ولم نجد مرادفا لكلمة (برميل)

المعروفة فاستعملناه (دخ) .

ورحت أنا ، لفرط حبي لها ، أبكيها وأُعول من أجلها ... ثم دفعتهم  
الريح والموج إلى شاطئ إيثاكا ، حيث ابتاعني صاحبها العظيم ليرتيس ،  
وبقيت فيها إلى اليوم ، وألم أوديسيوس لما قص الراعي وتوجع ،  
وواساه بكلمات طيبات . . . « فلقد وصلت في رعاية جوف إلى سيد  
رحيم ورجل بر ، كفضل لك الهناءة والحياة الهادئة ... أما أنا ، فلا أزال  
موكلا بفضاء الأرض أذرعه ، وبلد ألبسه وآخر ألقعه ، ... ولما ينأما  
طويلا ، فقد قطع حديثهما جبل الليل . . . أما ما كان من أمر تليماك  
ورجاله . فقد وصل ملاحوه سالمين إلى الشاطئ الإيثاكي ، وأرسوا  
ثمة ، وربطوا حبالهم في أوتاد المرفأ ، ثم اجتمعوا إلى فطورهم فأكلوا  
وشربوا ... فلما فرغوا أمرهم تليماك أن يذهبوا هم إلى المدينة ، « ... أما  
أنا ، فذاهب لبعض شأني في المراعي القريبة وسأعود قبيل الغروب ؛  
وفي الغد ، سأستقيم سلافة الأوبة التي تذهب عنكم وعشاء هذا السفر »  
ونفض تيوكلمين (الشباب الآبق) فاستأذن في الذهاب بالبشرى إلى  
والدة تليماك ، ولكن تليماك قال : « كلا يا تيوكلمين ، لا أريد أن تعلم  
أمرى بقدمي اليوم ، فابق مع رجالي هؤلاء حتى لا تقع أبصار الخُطاب  
المناكيد عليك ؛ وإن شئت فاذهب إلى أحدهم ، يوريماخوس ، فهو  
أعظمهم قدراً وأنبههم ذكراً ، وهو الذي يحاول جاهداً الزواج من  
والدتي ، والجلوس على عرش أبي ، فاربط حبالك بحباله . . . أواد  
يا أرباب السماء ! حنانيك يا جوف ! بعداً لهذا الزواج ، وبعداً لمن  
يحملون به ، وما كاد يفرغ من حديثه حتى بدا إلى يمينه بازي باشق —  
هو من غير ريب رسول أبولو الأمين — وقد أمسك في مخالبه حمامة-



بيضاء ، فضل يدوِّم ويرنِّق حتى إذا كان بين الفلك في البحر وتلياك  
 في البر نثر خوافيها<sup>(١)</sup> في الجوّ ، فنزلن بالقرب من تلياك — وهنا —  
 تكلم تيوكامين فقال : « تالله إنها لآية من السماء يا سيدي ، إنك ابن أعظم  
 من في هذه الأرض ، وإن بيتك أعرق بيوتها ، وستظفر كما ظفر  
 آباؤك ، وشكره تلياك ، وتمنى لو صدقت نبوءته . ثم أوصى به أعظم  
 رجاله وأخلصهم له — كليمتوس — فاهتزت أريحية الرجل ، ووعد  
 أن يكون له كسيده ( تلياك ) حتى يثوب . . . وسلم تلياك — ومضى  
 للقاء يومايوس ثم أقلعت السفينة بمن عليها إلى المدينة .

(١) الخوافى أكبر ريش في جناح الطائر والمقصود هنا الريش كله .

## أوديسوس يلتقي تليماك

لقد كانت هدة آة الفجر الساكنة الجميلة حينما هب يوم ما يوس وضيفه من نومهما ليلبسما ثيابهما وبعدا فطورهما ، و ليرسل الراعي عماله وراء قطعانه النائمة في السهل الصامت الوديع . . . . . وحينما أقبل تليماخوس أهرعت إليه الكلاب تلحس ثيابه وتلحق قدميه ، وتهتمز من نشوة وطرب لأنها رأته بعد طول الغياب . . . . . وقد لحظ أوديسوس ذلك فقال يتحدث إلى الراعي : « يوم ما يوس ! هذا أحد معارفك أو الأوداء إليك مقبل . . . . . لشد ما تملقه الكلاب التي أوشكت من قبل أن تعقرني ! إنها لا تنبح ولا تسكشر ، بل تقعى في إثره ذليلة ! ، وما كاد يفرغ من حديثه حتى كان ولده واقفاً أمامه في رحبة الدار . وما كاد يوم ما يوس يلمحه . حتى هب من مقامه مسبوها مرتبكا ، وحتى انقذفت الأكوؤس التي كان يمزج فيها الخمر من يديه . . . . . بيد أنه ذهب إليه يقبله ثم يقبله ، ويبالغ في تقبيله ، كأبٍ مشوق لقي ولده فجأة بعد بضع سنين من مرارة البعد وألم الفراق ثم قال يكلمه : « أواه تليماخوس ؟ أهو أنت يا نورعيني ؟ أنت نفسك ؟ أو قد عدت ؟ تالله ما كان يخطر بخلدى أنك عائد من سفرك بعد الذي دبّروا لك ! هلم يا حبيبي ! تعال يا بني ! فلقد عادت روحى من سفر سحيق برؤيتك . . . . . تعال تليماخوس فما أندر ما تزورنا هنا لطول اشتغالك بالمعاميد المتناكيد ! » وقال تليماك يجيبه : « أجل

أيها الصديق ؛ غير أنني أتيت لأسألك عن أمي ! الأتزال مخلصاً لذكري أوديسيوس ، قائمة على عهده ، أم أنها هجرت مهاده لتقع في شرك من شرك العناكب المحدقة بها ؟ ! ، وأجابه الراعي فوصف له ما تلقاه الألام المحزونة من الضنى والحزن . وما تدرى من الدموع في جنح الليل لما يرميها به الحداث . . . ثم دخل تليماك بعد أن أخذ الراعي حربه ، فهض أوديسيوس ليخلى لولده مقعده ، فأبى تليماك . . . لأن المسكن فسيح ، ولأن يومايوس يستطيع أن يعد لنا مقعداً آخر . . . فوالله لتجلسن أيها اللاجي الكريم ! . . . وهياً الراعي لسيدته مقعداً من الحشائش الغضة والحلفاء الرطبة جعل عليها فروة كبيرة مما عنده ؛ وجلس تليماك . . . وأحضر يومايوس فطوره في أطباق من أطباق أمس وشيئاً من الخبز والخمر ؛ ونشر الصحف على الخوان أمام مولاه ، وأخذ الثلاثة يلتهمونها أكلة مريثة هائلة . . . حتى إذا فرغوا ، توجه تليماك بالحديث إلى راعيه فقال : « بمن ضيفك يا أبتاه ؟ ومتى وصل إلى إيشاكا وكيف ؟ وأي الملاحين حملوه إلى شاطئنا ؟ » . قال الراعي : « والله يا بني ما أستطيع أن أخفي عنك ما قال ؛ فهو يدعي أنه من نسل الأماثل الأجماد من أمراء كريت ، وأنه طوّف في الآفاق ، وسافر في البلاد ورأى من المدن ما لا عين رأت . . . وهو يقول إن فلاناً قبرسيا قد حمله إلى شاطئنا قبل أن تحمله رجلاه إلى كوخى هذا . . . ولكن . . . لم هذا ؟ ولم أتولى أنا الإجابة ؟ إنه أمامك وأنا أدع أمره لك . فاصنع به ما تشاء ؛ إنه لائذ بك ، قاصد بابك ، وأحسب أن له حاجة عندك ! ، وبدا الألام في محيا الشاب فأجاب : تالله لقد آلمني حديثك

أيها الأب يومايوس ! أنت تجعله لائذاً بي قاصداً بابي ، وأنت تعرف من حالي ما تعرف ، وتعلم أنني مُرّزاً بهذه الطغمة ، مشغول ، والدتي التي لا أستطيع أن أدفع عنها إصرهؤلاء الأنجاس المنكيد . الذين طال لبثهم حولها ، وتوقفهم بسببها ، حتى لا أخشى أن تضيق بهم فتختار مرغمة أفضلهم بعلا لها . أو أكثرهم عطاءً وأوسعهم ثراء . . . بيد أنني أوتر أن أمنحه دناراً وصدراً ، ونعلين ، وسيفاً جُرازاً ، ثم أرسله إلى أي أقاليم العالم شاه ، في حمايتي . . . وإن أحب ، فليبق في ضيافتك أنت ، وسأرسل إليه ما هو حسبته من طعام وشراب خشية أن يرهقك ، أو أن تضيق به . . . أما أن يصحبني إلى القصر الذي تعلم من أمره ما لا يعلم ، فذاك ما لا أرضاه له . . . فتمد يغمزه أحد بكلمة ، فيجرحه ، وأجرح أنا بسببه ، وأنت لا يخفي عليك أنني صغير لا أستطيع مهما أوتيت من الشجاعة أن أردد عادية الأوغاد . وتولى أوديسيوس الإجابة فقال : « أوه أيها الحبيب الطيب القلب ! لشد ما تتمزق نياط قلبي لما سمعت من أمر هؤلاء الخطاب الأشقياء الذين يستيبحون منزل فتى كريم مثلك أو لکن قل لي ، إذا أذنت أن أتكلم في هذا الشأن : هل عن رضی منك لصقوا به ذلك فاي ريمون<sup>(١)</sup> ؟ أم برغمك أيها العزيز ؟ أليس لك إخوة يسندونك ويشدون أزرک فتطاردهم من بيتك ؟ أو اه لو عاد لي شبابي الآن أو اه ! وآه لو عاد الآن أوديسيوس ! تالله لو أنني في حالك هذه لآثرت أن أمتشق سيفي في وجوههم فإما أن أظهر بيتي منهم ، وإما أن أخرج قتيلاً بينهم فلا تقع عيني على ما يصنعون ، ولا أرى إلى عيبتهم وعيبهم بكل ما في منزل أبي من خير

وَمَيْر<sup>(١)</sup>، السنين الطوال ١، فقال تليماك : د ليس سرأ أيها اللاجيء  
السكريم ما بينى وبين قومي ، وليس عنهم عن يضر لي عدوة أو يطوى  
جوانحه لي على حقد... أما الإخوة والأشقاء فليس في أسرتنا من  
رزق هذه النعمة ، بل هذا دأب عائلتنا عند القدم : ذلك أرسسنياس  
لم ينجب غير ليرتيس ولم ينجب ليرتيس غير أوديسيوس ، وهذا لم  
ينجب غيرى... أنا... ، هذا المرزأ المحزون الموجه القلب...  
من أجل ذلك طمع هؤلاء الطامعون فينا وتمكالبوا عني بيتنا من كل  
فج ، فأقبلوا من ساموس ودلشيوم وزاكتوس وأطرف إيتاكا ،  
ومن الجزائر الكشيرة المنتشرة في هذا البحر... كل يرغب في أن  
تكون أمي له من دون العالمين زوجة برغما ، فهم مقيمون لا يرمون ،  
آكلين ناعمير ، يستنفدون غلة ما ترك أوديسيوس . آتير على كل مافي  
بيته وخزائنه ، ويوشكون أن يأتوا على أنا الآخر ١ ، ثم أمر يومايوس  
أن يذهب إلى القصر فيخبر أمه بعودته سالماً من بيلوس : فذكره  
يومايوس بجمده الضعيف الشيخ الذي امتنع عن الأكل والشراب منذ  
أن رحل تليماك يسائل عن أبيه... وذلك مما أضواه من الهم ، واستأذنه  
في أن يمر عليه فيخبره بعودة مولاه حتى يطمئن هو الآخر . ولكن  
تليماك أمره بأن يذهب من فوره إلى القصر فيخبر والدته... وانطلق  
يومايوس... وكانت مينرفا تنتظر ذهابه لتبدو لأوديسيوس في صورة  
حسناء ذات وقار وحسن سمت . وقد أخذت الكلاب بروعة مرأها  
فتككبكت في أحد أركان الحظيرة ، وراحت توقوف وتهر<sup>(٢)</sup> مما شدهما

(١) المير الطمام .

(٢) الوقوفة صوت الكلاب إذا خافت والهير صوتها إذا أنكرت شيئاً .

من منظر مينرفا ، وقد لفت فعلها أوديسيوس فهب مسرعاً إلى ربة الحكمة التي قالت له : الآن ينبغي لك أن تكشف نفسك لولدك فتقفه على حقيقة الأمر ، ثم تذهب معه إلى المدينة وفي قبضتك الموت الزوام تُجسّرُعه صاباً ويحموماً<sup>(١)</sup> للعشاق . وسأكون دائماً معك ، وسأشرف على المعركة بنفسى ، ولمسته بعصاها السحرية فارتد إلى صورته الحقيقية ، وعاد إلى الكوخ في حلته الضافية التي كانت عليه من قبل ... فلما رآه تليماك شده وفسرق<sup>(٢)</sup> وقال له : « أيها النازح الغريب ماذا أصابك ؟ لقد تبدلت أيما تبدل ! خبرنى أرجوك وأتوسل إليك ، أنت إله كريم فنعقر لك القرايين ونذبح من أجلك الأضاحى ؟ ، قال أوديسيوس : « ليفرخ روعك يا بنى فما أنا إله ، إن أنا إلا بشر ، وإن أنا إلا أبوك الذى ذهبت تدرع الدنيا من أجله والذى بسببه غصصت بكل هذه الآلام ، وصبرت للؤم هؤلاء الناس ا ، ثم ضم إليه ولده وطفق يقبله ويذرف دموعه على خديه ا ا بيد أن تليماك لم يصدق وراح بدوره يقول : « أبى ؟ إن تكون مطلقاً أبى ا بل أنت إله تنزل من السماء ليعبث بى ، وليزيدنى شقوة وأشجاناً ا أى بشر يستطيع أن يصنع ما صنعت . وكنت منذ لحظة عجوزاً محدودب الظهر مجعد الوجه غائر العينين ، تلوح فى مزق وأسمال ، ثم تخرج هنيئة وتعود فى هذا البدن الفينان وذاك المظهر الفتان الذى لا يكون إلا للآلهة ؟ فقال أبوه : « أى بنى أنا أوديسيوس ، ولن يرجع إليك أوديسيوس آخر سواى ا اطمئن فقد صنعت مينرفا ما رأيت بأبيك ، وما صنعته أنا بنفسى ،

(١) الصاب المر واليحموم الحميم المغلى الذى يقطع الأمعاء . (٢) خاف

إنها ربة ولها القدرة على كل شيء ، ففي وسعها أن تظهر من تشاء في صور شتى ، وليس هذا على أئينا<sup>(١)</sup> بعزيز ، وأحس تلميذك ما كان يشيع في كلمات أبيه من حرارة وإخلاص لا يصدران إلا عن قلب أب ، فانطلق يبادل والده عناناً بعناق ، ودمعاً بدمع ، وقبلات بقبلات ، ثم سأله كيف عاد إلى الوطن بعد كل تلك السنين الطوال ، فقص عليه قصته باختصار ثم قال له : «ولم يكن حدثني أنت عن أمر أولئك الخُطَّاب الأوغاد ما عددهم ، وهل نستطيع كلانا أن نقف لهم فنظفر بهم ؟ ، فأجاب تلميذك : «أبتاه لقد سمعت الشناء على شجاعتك وسعة حيلتك وجليل حكمتك في كل ملحمة وبكل نقع ... ثناءً يلهج به فم الدنيا جميعاً ! بيد أنه ينبغي ألا نجازف هذه المجازفة التي لا نعرف ماذا وراءها ... إذ ماذا يصنع اثنان بعشرين ومائة من خيرة صنائيد إيثاكا وما حولها ؟ الرأي أن نفكر في أنصار يشدون أزرنا ويكفون عونا لنا ، فقال أوديسيوس وهو يبتسم : «وما قولك يا بني في ائمين الله - جوف العلي - نالهما . ومينرفا نصيرتهما على القوم الظالمين ؟ إذا كان هذان معنا ، أفتحتاج إلى عون آخر ؟ ، فقال تلميذك «أجل ... تعالى جوف وجلت مينرفا ... إن لهما لأيدياً فوق أيدي الناس لأنهما يحكان من فوق عرشهما الممرد فوق السحاب ، في الأرض وفي السماء على السواء . » وقال أبوه يزيد طمأنينة : «وسيكو نان معناني الحسابة<sup>(٢)</sup> حين يجدجدها ... فإذا كان الصباح فاذهب إلى القصر واختلط بالخطاب وسيقودني راعينا الأمين إلى هنالك ، متنكراً في صورة الشحاذ الفقير الذي رأيت ، فإذا فرطوا<sup>(٣)</sup> على فلا تأس ، حتى ولو كان فرطهم

(١) أئينا هو الاسم اليوناني لمينرفا . (٢) ساحة المعركة . (٣) ساء أديهم .

بالضرب والسباب... ويسرن أن تحتمل وتصطبر ، فإذا زادوا فاصرف  
عني أذا هم بكلمة طيبة حتى يحكم الله بيني وبينهم حين يحين حينهم...  
واحذر أن تخبر أحداً بعودتي حتى ولا أبي... بل على الأخص أمك  
بنلوب أو هذا الراعي يوما يوس... إذ ينبغي أن نستعين على أمرنا  
بالكتمان حتى نعرف أصدقاءنا ونخبر أعداءنا ، وطمانه تليماك وأكند  
له كل شيء... ثم وصل يوما يوس إلى بنلوب فأخبرها بعودة تليماك ،  
وذاع النبا بين الخطاب فذعروا ، لفشل مؤامرتهم ضده ، وانتشروا  
خارج القصر ، واعتزموا أن يبعثوا نفرأ منهم بهذا النبا إلى الطغمة التي  
ذهبت تتربص بالفتى لتغتاله إذ هو عائد من ييلوس... ثم اجتمعوا  
بمكرون السيئات ، ويدبرون قتل تليماك حين تتيح فرصة أخرى .  
وكان ميدون قريباً منهم فاسترق سمعهم وطار به إلى بنلوب التي هالها  
ما مكروا وما دبروا ، فذهبت في جميع وصيفاتها إلى رحمة القصر ،  
حيث اجتمع أعداؤها إلى شياطينهم ، فصاحت بزعيمهم أنطونيوس  
من وراء حجابها قائلة : « أنطونيوس تبت يدك يا ألام الناس ! أنت  
يا من يدعوك التقى الصالح وأنت أسفل مما يظنون طوية وأخبث  
سريرة ! كيف حدثتك نفسك بهذا التدبير السيء فترسم لأشراك قتل  
ولدى الذي لم يمد لي في الحياة رجاء غيره ؟ إلا أنه ضعيف بنفسه ؟  
ألا فاعلم أنه قوى بالله الذي ينتقم لعباده من الظالمين ! أيها اللئيم أبعث  
هذا تجزى جميل اوديسيوس الذي حال مرة بين أبك وبين أعدائه  
معرضاً نفسه للهلاك ، ولولاه لظفروا به . ولولا أن قتل منهم من  
قتل وصرع من صرع لعجلت روحه إلى نيران هيدز ونس القرار ؟  
أفلم يكفك ما تأكل بغير حق من زاده ، وتبعث غير عاجز بعتاده ،  
فترسم لأشراك غيلة ابنه ؟ »



وانبرى يوريماخوس يهدىء من ثورتها ويطمئنها أن أحداً من العالمين لا يستطيع أن ينال تليماك بأذى مادام حياً يذب على قدمين... وكان يتكلم برغم ما كان ينطوى عليه قلبه... لأنه كان من أكبر المتأمرين على حياه ابنا العزيز الحبيب...! وبعد أن توارت أورورا عاد الراعى إلى حظائه يذب على عكازه؛ وكانت مينرفا قد لمست أوديسيوس بعصاها السحرية فعاد إلى صورة الفقير الشحاذ وعادت إليه من قه وأسماله، فوجد سيده وضيغه الفقير يعدان عشاءهما. ولما لمح تليماك قال له: «ما وراك يا يومايوس الصالح؟ أعلمت عن الطغمة التي تأخرت في ساموس تتربص بى شيئاً؟ فأجابه الراعى: «تالله لا أعلم لى بشيء يا مولاي، فأنا لم أنتظر طويلاً فى المدينة لأتسقط الأنباء، لأنك أمرتني أن أرتد على عجل؛ بيد أنى لمحت مركبا يطوى البحر إذ أنا عائد، ويدخل المرفأ، وفيه من العدة والعدد ما يبهر النظر ويخطف البصر. وأحسب أنهم هم الأمراء الذين تعنى، غير أنى لا أجزم بهذا».

ونظر تليماك إلى والده مبتسماً، محاذراً أن ينتبه الراعى إلى شيء.

\* \* \*

### أوديسيوس فى قصره

ونظرت أورورا جبين المشرق بالورد، وخضبته بالشفق، فهب تليماخوس من نومه الهائى الهادىء الموشى بالأحلام. فلبس وانتعل، واختلط سيفه ثم قال لراعيه: «أبها الأب الصديق، إني متوجه إلى

المدينة لألقى أمي ، فأكبر الظن أنها لن يرقأ لها دمع ولن تخفست لها آهة حتى تراني . . . أما هذا اللاجئ . . . فرأى أن ينطلق إلى المدينة فليسأل الناس وليطرق الأبواب ، وإن يعدم إذا تكفّفهم أن ينال رزقه ويحصل على لقمة يتبلغ بها . . . إن لدى من المتاعب والمشاق ما يشغلني عن كل جواب آفاق . . . إمض به إلى المدينة إذن ؛ فإذا ألمه هذا ، فهو حر . . . إني رجل لا أعبأ أن أقول الحق ، فنهض أوديسيوس ليقول : « سيدى ! إني لم أبغ أن أثبت هنا ، فليس لشحاذ فقير مثلى أن يلتمس رزقه في الحقول والغييطان ! بل إني منطلق إلى المدينة ولست مقعداً أو ضعيفاً فلا أقوى على عمل يؤجرني عليه أحد أمرائها . . . تفضل أنت فاذهب لطبيبتك<sup>(١)</sup> ، وسأمضى أنا مع خادمك حين تمتع<sup>(٢)</sup> الشمس قليلاً ، فأنا كما ترى رجل شيخ ، وأخشى أن يثقلني برد الصباح وصقيعه ، وليس ما يحفظني منهما إلا ما ترى من مرق مضى أصلها وبقي رقعها . . . وانطلق تليماًك فبلغ القصر ، ولقي أول من لقي مرضعه يوريكليا ، حيث كانت وأتراها ينشرون فراء على كراسي وحالات مبعثرة في الردهة . . . فلما رأته عجلت إليه ورحبت به وسلمت عليه ، وانطلقت الدموع من عينيها فانعقد لسانها وانحبس منطقتها ، ثم اجتمع الجوارى يقبلان تليماًك ويحدقن به حتى لفتن نظر الأم المعذبة الحزونة المطلة من إحدى شرفات القصر ، فأهرعت من عل وأخذت في حضنها المحب الرحيم أعز الأبناء ، وأمطرت جبينه وخديه بالدموع والقبل ، ثم جعلت تقول له : « أوقد عدت إلى الوطن يا نور عيني !

(١) لحاجتك أو لثألك

(٢) ترتفع

تليهاك ! تالله لقد وقر في قلبي أنني ان أراك بعد إذا أبحرت إلى بيلوس  
برغمي ، وعلى غير علم مني ، لتتسقط أنباء أبيك . . . . ولكن . . .  
خبرني يا بني ماذا عساک سمعت . ، فقال الفتى : « أماه ! لم تعودين  
بذا كرتي إلى عبوس الحياة وقد أفلتت من الموت ؟ أولى لك ثم أولى أن  
تضني عليك من أنغر أثوابك ، ثم تصلي للآلهة أن تهب لنا يوم انتقام  
عادل لا يبق ولا يذر ! ! بيد أنه ينبغي أن أذهب الآن لألقى ضيفاً  
كريماً عزيزاً جداً على - عزيزاً جداً على يا أماه ! - حضر معي في  
سفيتي أمس ، وقد أرسلته مع من يُضَيِّفُهُ عنى حتى أعود فأضيفه أنا  
نفسى ، وذهبت بنلوب فصلت طويلا للآلهة ، وانطلق تليهاك فتلى  
تيموكلينوس وعاد معه إلى القصر ، وجلسا يتحدثان ، بينما أحضر أحد  
الخدم مائدة حافلة بألوان الطعام وأطيب صنوف الشراب ، فوضعها  
أمامهما . . وأقبلت بنلوب جلست لدى الباب تنسج ثوبها الذى  
لا ينتهى . فليسا فرغا من طعامهما أقبلت فقالت تخاطب تليماخوس :  
« يبدو لى أنك ان تقص على الآن ما سمعت من أنباء أبيك يا تليماخوس ،  
وأوتر إذن أن أصعد فأضطجع فى فراشى الذى أبالله دائماً بدموعى  
منذ فارقت أوديسيوس ، فإذا انصرف الأوغاد المعاميد وفرغت من  
شغلك بهم فاحضر إلى لتقص على من أنبائه . ، ولكن تليهاك قال :  
« أماه ! لم لا أقص عليك ما سمعت وما سافرت إلا لأطمئنتك وأطمئن  
نفسى ؟ لقد سافرت إلى بيلوس وحظيت بلقاء نسطور الذى هس لى  
وبش وفرح بى كأنما أنا ابنه الذى افتقده طويلا وعاد فجأة إليه ؛  
غير أنه لم يذكر لى عن أبى قليلا أو كثيراً لعدم علمه بشىء من أنبائه ،

ولذلك بعثني مع واحد من أبنائه إلى ملك أسيرطه لأسأله عن أمي . .  
وقد لقيني منلوس فأحسن لقاءى وأكرم مشواى ، ورأيت فيمن رأيت  
زوجه هيلين الحُسنان المفتان التي شبت بسببها حروب طروادة ،  
والتي لقي من أجلها أبطال الإغريق أنسكى ألوان العذاب ... ولما سألتنى  
الملك فيم قدمت ، نبأته بأنباء العشاق المعاميد . ووصفت له ما يجرون  
على بيت أبى من الخراب ، فأرغى وأزبد ولعنهم أشد اللعن . وتوسل  
إلى الآلهة أن ترد إليهم أوديسيوس فيبطش بهم ، ويعيد إليهم صوابهم  
ثم قص على ما سمعه من أحد أرباب الماء - پروتيوس - الذى أخبره  
أن أبى لا يزال حياً يرزق فى إحدى الجزائر النائية ، وأن عروساً  
من عرائس المساء تحجزه عندها فى تلك الجزيرة برغمه . لأنها تحبه  
وتهواه ، وأنه لا يجد سفينة يثوب عليها إلى الوطن . . . هذا يا أماه  
كل ما علمته عن أبى من الملك منلوس ، وقد أذن لى فى العودة فأبت  
فى رعاية السماء وحفظ الآلهة . وكانت بنلوب تصغى وثورة من  
الحزن تجتاح نفسها ، واطلى من الوجد يفتك بقلبيها فلما فرغ تليماك ،  
التفت تيوكليمغرس المتنبى إلى السيدة الرؤوم فقال : « يا زوج أوديسيوس  
أعيربنى سمعك ا إصغى إلى فساأنبأ لك ا إن انك هذا لم يسمع عن  
أبيه أى نبأ يقين ... أما أنا ، فقد بدت لى أمارات وشهدت فى السماء  
علامات ... ومحال أن تكذب علامات السماء .. أقسم بجوف العلى  
رب الأرباب ، وأقسم بهذا البيت بيت أوديسيوس ، أن زوجك هنا ،  
وفى إيثاكا ... وهو يعلم كل صغيرة وكبيرة من أنباء الخطاب وخبائاتهم ،

وإنه ليدبر لهم عقاباً هائلاً لن يفلت أحداً منهم !! ، وسكت المتنبى ...  
وأقبل الخطاب من أعينهم فخلعوا عباءاتهم ، ثم نشطوا إلى الشاء والخنزير  
فجزروا لطعامهم ...

هذا ما كان من أمر تليماك وأمه ، وما كان من أمر العشاق . أما  
ما كان من أمر أوديسيوس فقدمضى في الطريق إلى المدينة يخطى متعثرة  
والراعى بين يديه ، وعلى كاهله حقييته ، وفي يده عكازه ، وكلما لقيهما  
أحد صعر خده ، وشمخ بأنفه ، تفرزاً من منظر هذا الشحاذ الفقير  
القدر ... ثم أتيا إلى نبع يتفجر في الطريق فيستقي الناس منه ، وقد  
بسقت من حوله أشجار الحور والسنديان . وترقرق الماء فوق الحصباء  
كاللجين<sup>(١)</sup> يتدحرج بن حميد<sup>(٢)</sup> أكمة هناك ، أقام الصالحون فوقها  
مذبحاً لعرائس العاب حيث يتقدم الناس بغيرهم ويعقرون إضحياتهم ...  
وقد لقيها هناك راعى ماعز الملك - ملا تيموس - يسوق قطعاً من  
أسمن مايرعى لأجل ولائم الخطاب ... ولقد كان ملا تيموس هذا من  
أذئابهم ومتملقهم . وكان يصنع كل ما يحبه إليهم ويضمن له عطفهم .  
فلما رأى الفقيرين وأحدهما زميل له ، انطلق يعوى ويصخب ، ويسب  
ويستخر ، ويعجز الرجلين غمراً شديداً موجعاً ، حتى غلا الدم في رأس  
أوديسيوس : « إنشَمَلَا<sup>(٣)</sup> أيهذان المسخان ا طاعون يجتاحك ياراعى  
الخنزير القدر ! حقاً إن الطيور على أشكالها تقع اكلب يقود آخر ... إلى  
أين ؟ إلى حيث يلتقط فتات مواندنا . عجباً ؟ ألا تطلقه معى إلى المزارع ينظف  
الزرائب ويحمل العلف ويحرس الغلة ويشرب ما شاء من اللبن الحازر<sup>(٤)</sup> »

(١) الحصباء الحمى واللجين سائل الفضة (٢) جانب . (٣) تنجاعن الطريق

(٤) شديد الحموضة والحبيض الذى استخرجت زبدته .

والمخيض ، ويكسو عظامه المعروفة بإهاب من اللحم!؟ ولكن هيهات القد  
بلدت طباعه فلا يصلح لعمل شريف! وهكذا ظل الراعي الشرير يبق  
من هذا البذاء ، وركل أوديسيوس آخر الأمر ركلة قوية في ساقه ،  
فلولا ما حرص عليه الملك من كتمان أمره لحطمه بسببها ، ولمسح به  
ظاهر الأرض! ولقد هاج هائج يوم ما يوس فدعا آلهته لتنتقم لرفيقه  
الضعيف، وطفق يقول : يا عرائس هذا النع المقدس اسمي بحق ماعقر  
لك أوديسيوس وباسم ماضى أن ترديه إلى بلاده لينتقم من أمثال هذا  
الوغد الزنيم الذى لا يحسن إلا أن يملق أعداء مولاه ، وإلا أن يغشى  
رحابهم ، بينا قطعانه سائمة فى المرج لاراعى لها ولا حفيظا ، فصاح الراعى  
الوقح : « هاه ! أجيبي يا عرائس دعاء كلبك الأمين؟ أو اه لو أستطيع أن  
أحلك فى فلك أحد هؤلاء السادة فأبيعك ببيع الرقيق فى بلد سحيق !  
أوديسيوس ماذا أيها الميم القداؤدى أوديسيوس ولن يعود إلى الحياة قط .  
وبودى لو ألحق به ابنه تليماك !! ، ... قالها وانطلق حتى بلغ القصر وغشى  
مجلس الخطاب يُطرف فهم بما حدث له مع راعى الخنازير .. أما أوديسيوس  
وأمينته فقد سارا وبدأ حتى أتيا بوابة القصر فلبثا عندها ... وتناول  
أوديسيوس يد الراعى وقال . « يوم ما يوس ! لا ريب أن هذه سراى الملك ،  
أنظر ! هاهى ذى الحجرات يتلو بعضها بعضاً ، وهاك الرحمة الكبرى  
ذات العباد وذات الأبواب . . . وإنى أحس أن هناك أضيفاً اجتمعوا  
لوليمة ، وهذا قنار اللحم يملأ خياشيمي ، وإرنان القيثارة يججل فى أذن ،  
فقال يوم ما يوس يجيبه : « أنت ذكى شديد الذكاء ؛ لأنه هو المكان بعينه ،  
والآن ، هل تذهب أنت وحدك فنستعرض الأمراء ، وتعود ، أم تنتظر

حتى أذهب أنا فأختطف نظرة إليهم؛ على أنك يجب ألا تتلبث هنا فقد يرالك بعضهم فيؤذيك ويطرذك من هنا شر طردة، وقال أوديسيوس « بل انطلق أنت وإني منتظرك هنا، فإذا لكهني أحد أو لكزني أو ركاني، فليشدهما أحتمل هذا وذاك، وهل هو إلا بعض ما احتملت في حروب الطويلة؟، وبينهما يتحدثان، إذا كلب كبير رابض يقف بجأة فيصبص بذنبه وينصب أذنيه، ويحدق بصره في أوديسيوس، ويظل مسحوراً ذاهلاً!! آه إنه الكلب العزيز أرجوس الذي رباه الملك قبل أن يرحل إلى طروادة... لقد أهمل أمره فهو رابض يمكننا في حماة من الروث والقذر والقمل أمام بوابة القصر، كالشاعر نجعوز الذي يجتره ذكرياته!! لقد عرف في صوت مولاه برغم السنين الضوال. فبكى، وهر، وأرسل الدموع حراراً تسقى صدغيه! وقد تأججت في قلبه الحيواني ثورة من الحزن الطارىء المفاجيء فلم يقو أن يرحل لمسح بلسانه قدسى مولاه... وقد لحظ أوديسيوس ما أصاب كلبه العزيز فسكرو هو الآخر تأثراً، وسجل هذه الآية من الوفاء للحيوان عن الإنسان! وأشاح بوجهه عن الراعي حتى لا يدرك ما بعينه من دموع. فلما مسحها بكفه قال يحدث يومياً: « أليس عجيباً ومؤملاً معاً يا صديق أن يتركوا هذا الكلب الذي تبدو عليه سيماء النمل فوق هذه السكومة من الروث؟ ألا يكون أفعده الضعف عن متابعة الصيد؟ وقد يكون إبقاؤهم عليه من أجل منظره وحسن سمته؟، فأجاب الراعي: «أوه. بلى أيها الرفيق! أما والله لو شهدت في إثر مولاه أوديسيوس لعجبت نعصم قوته وشده

جبروته! أبدأ لم يخلق الله وقتئذ كلباً أتبع لصيد ، أو أقوى حاسة شم منه ، وأبدأ لم يكن عندنا كلب كآرجس هذا الرابض يساقط نفسه أنفساً! إنه يسكى مولاه الذى قضى وتركه من ورائه لإهمال الوصيفات وقلة اكثرهن ... أما عبيد هذا القصر فهم كالوصيفات حذوك النعل بالنعل ، فهم لا ينشطون لعمل كما ينشطون وسيدهم بينهم . ثم هم قد فقدوا بالعبودية وذلة الرق نصف آدميتهم ورجولتهم ، ثم مضى أوديسوس نحو صديقه وخذن صباه ، فسكى وذرف دموعه ، وكذلك فعلى الكلب . . . حتى مات . . . ولكن بعد أن رأى سيده تارة أخرى !! ولمح تليماك راعيه فأوما إليه ، وأخذه جانباً ، ثم أمده بنصيب جزيل من طعام الوليمة .. وبعد لحظات أقبل أوديسوس فى صورة الشحاذ الفقير ، وجلس على الأرض ، فأرسل إليه ولد شيتاً من اللحم والخبز مع يومايوس ، وأسر إليه أن يرسله بين الأمراء يتكفف ، وبالأحرى ليتعرف ، فالما فوغ من طعامه حض فسار بينهم يسأل هذا ويحذق فيه ، وينصرف إلى ذلك ويحذجه<sup>(١)</sup> ، ويمد يده من أجل لقمة كما يصنع الشحاذون ، وقد رثا له كثيرون فأمدوه بلقعات ومضغ من اللحم ، إلا أنطونيوس ، فقد استهزأ به وبمن أحسن من الأمراء إليه ، وغيرهم بأهم يتصدقون بما ليس لهم ، ثم هاج وماج ، ورفع كرسياً أو شك أن يحطم به رأس أوديسوس ، وأمره أن ينصرف فلا يعكر عليهم صفوهم أكثر مما فعل ؟! ولكن الكرسى صدع كتف الملك ، وأعنى رأسه : ووقف أوديسوس كالصخرة

(١) يرمقه بنظرة خاطفة



لا يتحرك ولا يندس بمنت شفة... ولكن ألف ألف فكرة سوداء كانت تسكظ فؤاده وتزحم تفكيره... ثم مضى مجلس حيث كان من قبل، وهتف بالخطاب في صوت جهورى فقال: «سادق الأمرء اسمعوا! نالله لو أسها ضربة في حرب بين كفتين لما حملت لها موجدة في نفسى.. ولكن أنطونيوس رأى من سلطان الجوع والضعف ما جرأه وأثار نخيزته<sup>(١)</sup>... وأنا مع ذلك أترك جزاءه لله، وأضرع إليه جل ثناؤه أن يقبضه قسلا أن تزف إليه عرسه! وكأما خجل الخطاب مما فعل أنطونيوس فجعلوا يلومونه ويتلامون فيما بينهم. قال قائلهم: «من يدري؟ ألا يحتمل أن يكون أحد آلهة السماء جاء ليلونا... والويل لك يا أنطونيوس إذا صدق حدسنا... ألا تعلم أنهم طالما يتنزلون فيغشون مدننا في صور الشحاذين ليروا بأعينهم ما نأفك رما نمين<sup>(٢)</sup>؟، ولم يبال بهم ولم يأبه لما قالوا... وكان تليماخوس يتميز من الغيظ. ويُسِر في نفسه أوجع الألم لما نال أباه من الضرب، بيد أنه غلب غضبه، وحبسه في أعماقه، كما حبس في عينيه وأبلا من الدموع... وكانت بنلوب تطلع من شرقها وترى ما حل بالرجل من إيداء، فهتفت نيومايوس أن يرسله إليها كيما تسأله عن أوديسيوس، لما يبدو عليه من أثر السفر وجوب الآفاق. قال الراعى: «أجل يا مولاتى، إنه رجل من كريت، وقد خاض ألف مكروه قبل أن تحمله الصدفة إلى بلادنا؛ ثم هو محدث ساحر الحديث طلى الرواية، حتى ليخلب سمع من يصغى إليه بأشد ما يستطيع منشد

(٢) يأك يصنع الإمك ويمين أى يكذب.

(١) طبيعته.

مطرب أن يفعل ! وكلما طال حديثه لذت طلاوته ، وكثرت حلاوته ، فلا تمله أذنان ، ولا يضيق به مصغ إليه . . . وأعجب ما ذكره مرة لى أنه رأى أوديسيوس وعرفه فى أبيروس . . . بل يزيد فيؤكد أن مولاي عائد أدراجه إلينا ، حاملا معه كنوزاً من الذهب ، وأذخراً لم تر العين مثلها ولم تخطر على قلب بشر ! ، فتنهدت بنلوب وقالت : « انطلق إذن فأحضره ، ودعه يحدثنى بما روى وجهاً لوجه ، وسأهبه صداراً ودثاراً إذا توسمت فى قوله الحق ، وأنست فى روايته الصدق ،

وادعى أوديسيوس أنه يخشى أن يجوز وسط الأمراء مرة أخرى ، وفضل أن يلقي الملكة فيتحدث إليها إذا جنّ الليل بجانب المدفأة ووافقت الملكة ، وصوتت رأى الرجل ؛ وكان الوقت أصيلاً فقصد الراعى إلى تليالك وأستأذنه فى الانصراف إلى حظائره ، فأذن له ولكن بعد أن أمره بالتزود لعشائه ، ففعل يومايوس ، ثم مضى ليسهر على خنازيره .

## أوديسيوس يتشاجر مع شحاذا

وبينما كان أوديسيوس جالساً يزدد طعامه إذا شحاذا ضخيم الجسم شائه المنظر يدخل فجأة ، فيلتفت إليه جمهور العشاق . ويعرفون فيه الفقير إيروس ، المشهور بنهمه الذى لا يوصف ، وياقباله الشديد على أردأ ألوان الشراب . . . وكانت له عليهم دالة ، وليس فى الجزيرة كلها من يجمله . . . فلما لمح أوديسيوس جالساً يتبلغ بلقمتاه نظر إليه نظرات المحنق وقال له : « انحرف عن الباب أيها العجوز القدر وإلا جررتك من عقبيك . . . ولو أننى أترفع عن مقاومة أمثالك ! ! » وحده أوديسيوس وقال : « أيها الصديق إني ما آذيتك ، وإن فى المكان لمتسعاً لسكينا . . . أرجو ألا تثيرنى أكثر مما فعلت وإلا فلا يغرنك هرمى وتقدم سى ، فتالله لأرينك كيف أضربك ضرباً تقول منه الهامة اسقونى ! إجنح للسلم هو خير لك ! وأصغ إلى نصحى ، وإلا فلن تدخل قصر الملك أوديسيوس بعد اليوم . . . » وغمظ الشحاذا إيروس وقال : « اسمعوا ماذا يهرف هذا الشره المحرف ! ألا ما أشبهه بزوجة حمقاء تثرثر أمام كانون ! تالله إيخيل إلى أن أنقض عليه فأنفض ثناباه ! هلم أيها الرجل ! استعد للقاء ، وليشهد السادة كيف أمثل بك ؟ » وقهقه أنطونيوس وقال . « أيها الأصدقاء اشهدوا ! إن إيروس يتحدى هذا الفقير ، والفقير بدوره يتجدها ، فهلم نجعل حولها حلقة أنرى إلى هذا العراك المضحك ! ، وسكت أنطونيوس ، وتككب الأمراء

حول الرجلين ضاحكين عابثين ، ثم التفت إليهما أنطون نيوس وقال .  
 « اسمعا إذن ؛ ههنا كعكات ليس اجود منها . . . وإنما خالصة لمن يتفوق  
 منكما على قرنه<sup>(١)</sup> . . . ولمن فاز أجره عندنا عظيم . . . إنه سيجلس معنا  
 في جميع ولائمنا منذ غد ، ولر ندع أحداً من الشحاذين يضايقتنا بعد  
 هذا اليرم ، وتخابث أوديسيوس وقال : « ياسادة ! من الظلم أن يتبارى  
 رجل عجوز ضعيف مثلي مع هذا الهولة . . . ولكن الجوع يدفعني إلى  
 البطش به مع ذلك .. بيد أن لى رجاء ألا يساعده أحد على ، فيلكنني  
 مثلاً أو يلكزنى حيناً أكون مشغولاً به ، فقا سموه ألا يفعلوا . وتقدم  
 تليماخوس ابنه فقال : « أيها الرجل ، إذا وسعك أن تناضل هذا الزميل  
 فلن تخشى من هؤلاء رهقاً . . . إني مضيفك ، وليس أحب إلى  
 أنطون نيوس ويوريماخوس من أن يشهدا هذا اللقاء الفذ بينكما ، ثم إن  
 أوديسيوس شمر عن ساعديه ونخذه ، وكشف قليلاً عن صدره ،  
 عامداً ليظهر الأمراء على عضله المكتنز وقوته الحارقة . . وقد صدق  
 حدسه ، فقد هبت العشاق ونظر بعضهم إلى بعض يقولون : « واهجياً !  
 أى عضل وأى ساعدين ونخذين ينحني هذا الرجل تحت أسناله ومزقه  
 البالية ؟ مسكين إيروس ! ماذا يبقى منه بعد هذا اللقاء ؟ » أما إيروس  
 فقد انتفض وأقشعر بدنه مما عراه من الذعر ، ولكن الخدم لم يتركوا  
 له أن يفر من اللقاء الذى دعا هو إليه ، بل شمروا له عن ساعديه  
 ونخذه كما فعل غريمه ، ثم جروه إلى الحلقة برغمه . . وود أوديسيوس  
 أن يبطش بالرجل فيحطمه بأول لكمة ؛ غير أنه آثر ألا يفعل خشية

أن يكتشف العشاق من هو ... فلما امتدت الأيدي تصنع الدفاع  
وأقبل وأدبر . وكر وفر . تم أهري على أذن الرجل بضربة سحق  
عظامه ، وطرحت على الأرض ... ولبث المسكين لا يبدى حراكاً  
من هول ما حل به ؛ يسد أن أوديسيوس جره من عقبه إلى ساحة  
القصر ، ثم عرج به نحو جدار كبير حيث سنده إليه ، وجعل في يده  
عكازه وقال : « إلبث هنا ولا تغش منازل الملوك بعد ، وذُدْ بعصاك  
الخنازير السائبة ، فذلك خير من أن تصيب بها الغرباء أمثالي .. فإن  
عدت إلى مثل حماقتك فلن يصيبك إلا شر مما رأيت ا » وتركه وانثنى  
إلى حيث كان . فوجد العشاق يضحكون حتى يكاد يقتلهم الضحك ...  
وهتفوا له ثم قالوا : « حقق الله آمالك ، وأنا لك أمانيك أيها الغريب  
اللاجئ » ، بما خلصتنا من هذا الشحاذ النهم الملاح ا » وسمع أوديسيوس  
دعاهم وابتهل إلى الآلهة أن تستجيب ا ا ثم وضع أنطونوس بين  
يديه كعكة كبيرة ، وزوده أمفينوموس بخنز وخمر صبها له في كأس  
كبيرة من ذهب ، ودعا له بخير . وآنس فيه أوديسيوس طيبة ودماثة  
خلق فقال له : « هيه ا هلم أيها العزيز أحضك نصيحتي وأحدثك عن  
تجاربي .. ألا ما أضعف الإنسان ا إنه إذا ما مسه ضر دعا الله فإذا  
كشف عنه الضر فإذا هو مقتصد ناهٍ بجانبه كأن لم يمسه ضر .. فأنامثلا  
لقد كنت في عنفوان صباه أعيث في الأرض مغتراً بقوتي وقتوتي ،  
حتى أسقط الكبر في يدي ففئتُ إلى أمر السماء ، ولكن بعد أن  
كتب على الشقاء ، وهكذا أولئك الأمراء الذين غرهم الأمانى  
وأضلهم جبروتهم فأقاموا بهذا القصر غارين آمنين لا يظنون أن له

صاحباً قد يفاجمهم بعودته فيستأصل شأفتهم ويذهب بريحهم . . . وإلى  
والله أيها السيد لأرى أنه عائد ليس من هذا بلد ، وأنه عائد قريباً ؛  
فتقبل أنت نصيحتي ولا تقم معهم ، بل انطلق إلى بيتك وأهلك  
ولا تستأذن<sup>(١)</sup> حتى يدهمك معهم فيحطمنكم أجمعين . . . ، وشرب  
أوديسيوس ، ودفع الكأس إلى الأمير الشاب الذي بدت عليه أمارات  
الهم ، مما قال الرجل ، ولكن . . . وأسفاه ! لقد كتب عليه الشقاء ،  
فلم يصغ لنصيحة أوديسيوس .

\*\*\*

وبدا لبلوب أن تذهب في بعض وصيفاتها فتخطر بين الخطاب  
ليروها ، ولترى ماذا يكون . . . وقبل أن تفعل ألقى عليها ميزفاً ناعساً  
وأمنةً ، وبدت لها في الرؤيا كأنما تعطيها لشيء عجيبة ؛ ثم إن الربة  
أضفت عليها رواء كرواء الآلهة ، ونصرتها بنصرة الشباب والجمال ،  
فربا جسمها واستطال ، وزانتها لمعة عاجية وسناء . . . فلما هبت من  
نومها ، فركت عينيها متعجبة ، وشدهتها تلك الغفوة الطارئة التي جلبت  
لها السعادة في دنيا من الهموم . . . وتمنت لو أراحها الموت من حياة  
انصلت فيها أشجانها وباعدت بينها وبين إلفها بمفاوز من الآلام  
والأحزان . . . وانطلقت في سرب من وصيفاتها فأشرفت على العشاق  
وقد ضربت بخمارها الشف على وجهها المتألق الناصع ، فذهل الملاء ،  
وزاغت أبصارهم ، وأحسوا أن شيئاً يخلع قلوبهم . فما منهم إلا من  
تمنى أن يكون صاحب هذا الجمال الرائع والحسن الباهر ، والفتنة  
المتقدمة . . . ونهض يوريماخوس فقال يخاطبها : « يا ابنة إيكاروس .

بوركت ! تالله لو رآك كل من فى هيلاس لاجتمعت حولك قلوب  
غير ما من العاشقين ، ولأقبلوا من كل فج فازدحموا حولك ههنا . فى  
ذلك القصر العتيد ا ، فقالت بنلوب : « يوريماخوس ا تالله لقد ذهب  
الآلهة بجبالى الذى تصف يوم رحل عنى زوجى أوديسيوس فىمن  
رحل إلى طروادة ... وما أنس لا أنس ما قال لى وهو قابض على يمنى  
يودعى : « زوجتى ا إن أكثر من ترين من هذا الجيش لن يعردوا  
إلى ديارهم ... فى طروادة محاربون صناديد ، وملاعب أسنة لا يشق  
لهم غبار ، وذادة ورماة ا وإنى لأأدرى ماذا يكون من أمرى هنالك ،  
ولذا ، أكل إليك كل ما أودع ورائى ، وإنى موصيك أول ما أوصيك  
بأنى وأمى ، فاعنى بهذا كأحسن ما كنت تعنين وولدهما معك ، فإذا شب  
ولدى وترعرع ، فإك أن تتركى هذا القصر إن شئت ، وتزوجى بمن  
تختارين من الأكفاء الأنداد ، هذا وإنى أرى أن هذا اليوم العصيب  
قد حان ا ولكن وأسفاه ا إنكم اجتمعتم هنا لتأكلوا وتشربوا  
وتعيشوا وتعشوا بكل ماترك صاحب القصر ... وكنت أظنكم تقيمون  
فى منازلكم وترسلون إلى هداياكم لتكبروا عندى ولا تهزل مكاتتكم  
لدى ... الأساء ما تزرون . .

وتبسم أوديسيوس من قولها ، ووثق من إخلاصها ، وعجب من  
شدة ما سحرت أبواب الخُطاب وبما أخذتهم به من حزم .. أما  
أنطونيوس فقد أجاها بقوله : « أما هدايانا يا ابنة إيكاربوس فلا  
أحب إلينا من تقديمها إليك ... على أننا لن نريم<sup>(١)</sup> عن هذا القصر  
حتى تختارى لنفسك بعلاً يكون كفىاً لك ، وأيد الخطاب ما قال

(١) لن ننصرف .

قائلهم ، فهضوا ليحضروا هداياهم ، وسرعان ما عادوا يحملونها ...  
وتقدموا بها إلى بلوب ، فهذا ثوب ثمين من قاقم<sup>(١)</sup> موسى الذهب  
تزيينه اثنا عشر زرراً ذهبياً ... وهذا عقده محليت خرزاته بقطع  
من الكهرمان الحر ، وتلك أساور من ذهب وشنوف كثيرة  
وأقراط<sup>(٢)</sup> . وعادت بلوب ومن خلفها وصيفاتها يحملن الهدايا  
واللهي ... وأخذ الخطاب كدأهم في القصف واللبو والعبيث  
والغناء ... حتى أقبل الليل ، فقدم الندامى بمجامر من نحاس بها وقود  
يشتعل : وطفقن يلقين فيها من الند والرند والعود ذى العرف . وطفق  
البخور يعبق في أرجاء الهو الكبير ... وهنا ... نهض أوديسيوس  
وتوجه إلى البنات يقول : أيها العذارى أولى يكن ثم أولى يكن أن  
تذهبن إلى سيدتكن فتسليهن وتواسيهن ، وسأقوم بالنيابة عنكن على  
هذه النار حتى ينصرف الخطاب ... ولن يؤذنى أن أقوم عليها  
حتى مطلع الفجر . ولن أضيق بجمعهم مهما عبثوا بي ، فأنا رجل  
ذو تجارب . فتضاحكن به ، وقالت ميلانتو التي هي أجملهن وأقلهن  
احتشاماً وهي تعبت به : ماذا أصابك الليلة أيهذا النازح الغريب ؟ انطلق  
إلى حداد المدينة فم في دكانه ، فهذا خير لك من أن تسهر ههنا وتثرثر ..  
هل غاب صوابك يا شيخ لأبك ظفرت بالشحاذ إيروس ؟ أربع<sup>(٣)</sup>  
عليك ، فقد تبلييك السماء بمن يبطش بك كما بطشت به ، ويطردك  
من هنا .. ورشقها أوديسيوس بعينه وقال : أسكتي يا هناه<sup>(٤)</sup>  
والله لأحدثن بما حدثت الأمير تليماخوس فليقطعن لسانك ،

(١) القاقم نوع من أنواع ثياب الفراء . (٢) الشنوف والأقراط (الحلقان) لأذن المرأة .

(٤) الهناة الداهية .

(٣) ضعتاؤ .



وليمز قن جسدك ا . وذعر العذارى وولين هاربات ، وقام أوديسيوس على النار وجعل يلحظ العشاق وفي قلبه ضرام ، وما فتئ يفكر في ألف خطة للانتقام منهم والبطش بهم . . . ولم تشأ مينرثا أن تهى هذا الشقاء الذى ضربته على أوديسيوس ، بل تركته يستهزئ به الخطاب . ويسخر منه يوريماخوس ، فيضحك الخطاب إذ يقول : « ما أظن إلا أن الآلهة قد أرسلت إلينا هذا الرجل ليكون حامل مشاعلتنا وحامى قبسنا . . . أنظروا إلى رأسه النحاسى ، أليس يصلح أن يكون مشعالا يضىء لنا؟ ثم التفت إلى أوديسيوس وهو يقول : « إذا استأجرتك لتسوج<sup>(١)</sup> مزرعة لى بعيدة من هنا وتغرس بها أشجاراً ، على أن أطعمك وأكسوك وأفقدك مالا ، فإبك نرضى؟ ولكن لا . . . إني لأظنك تنسرق منها طواعية لغرائرك وخبث جباتك فتنتطق إلى المدينة لتستجدى وتتسكفف . . . » .

وتحابت أوديسيوس وقال يجيبه : « يوريماخوس ! تالله إنه ليس أحب إلى من إن أباريك في فلاحته في يوم من أيام الربيع ، حين يطول النهار من مشرق الشمس إلى مغربها ، على ألا يدوق أحدنا طعاماً ولا يسيغ شراباً . . . أو أن يعهد إلى كل منا بأربعة أفدنة من أرض جبوب<sup>(٢)</sup> ، وثورين حنيزين ذوى خوار ، في ذلك اليوم . لترى أينا يصمد لحرته ويفلح أرضه . . . بل إني لأتمنى ، إذ نحن في هذه الأرض ، أن يدهمنا عدو بخيله ورجله ، وتكون لى درع سابعة ، وخوذة من من نحاس ، ورمح فى يدى ، لترى كيف لا يحول الجوع بينى وبين أقرانى ، وكيف أضرج بدماهم الأرض ، وأتركهم فى البرية جرز<sup>(٣)</sup> السباع وكل

(١) تجبل لها سياجا اى سوراً . (٢) صلبة . (٣) طعام .

نسر قشقم ... أيها المشكحُ الوقح ... والله لو أن أوديسيوس رب هذا البيت قد فجأك الآن لضاعت عليك الأرض بما رحبت . . أنت أيها المغرور المتعاطل الذي غره أن يكون شجاعاً بين نوكي<sup>(١)</sup> لا حول لهم ، وجئن جنون يوريماخوس ، وأخذ متكماً ثقيلاً وقذفه شطر أوديسيوس ، ولكن البطل انفتل بعيداً وسقط المتكماً على الساقى المسكين ، نخر إلى الأرض يئن ويتوجع ... وغيظ الخطاب أيما غيظ؟ وعلالغظهم، وودوا لو يسحقون أوديسيوس. لولا أن تقدم تليماخوس وحال بيده وبينهم وهو يقول :

« يا سادة إني كصاحب هذا القصر ، لا أستطيع أن أطرد الرجل منه بعد إذ آوئته وضيئفته ... والرأى أن تقطعوا سمركم هذا وتذهبوا من فوركم إلى منازلكم حتى يتصرم<sup>(٢)</sup> الليل ، . . . وأيده الأمير أمفيثوس ، ووقفوا جميعاً فاحتسوا الكأس الأخيرة ثم انقلبوا إلى منازلهم ... وفي نفس يوريماخوس من الهم ما تنوء بحمله الجبال . . .

### المرضع العجوز تعرف أوديسيوس

وهكذا خلا الجو لأوديسيوس وولده ، فقال يحدث تليماك : «أى بنى : ينبغي أن نحبيء أسلحة القوم في مكان حرير ، فإذا سألوك عنها فقل لهم إنك تحفظها لهم حتى لا تتأثر بالدخان والغبار وتقلبات الجو، وامتثل تليماك ، ودعا المرضع العجوز يوريكليا فقال لها : أماه ليقر الوصيفات في مضاجعهن حتى أنقل أسلحة أبي إلى مكان حرير فقد تراكم عليها الوسخ وأتلفها الدخان ، وقالت يوريكليا معجبة : « أجل يا بنى ، إنه

(٢) ينفضى .

(١) حتى .

ينبغي أن تعنى بكل ما يتعلق بأبيك وبكل ما ملكت يداك ... ولكن قل لى ... من يحمل لك المصباح حتى تنقلها إلى حرزها؟ ألا أدعوهم فيحملته لك ا ، وشكرها تليهاك ، وذكر لها أن الرجل الغريب سيحمله . وأهرعت يور يكلها إلى داخل القصر ، وهب أوديسيوس وولدده يحملان الخوذ والدروع والرماح ، وبدت مينرفا الكريمة تحمل بين أيديهما مصباحاً ذهبياً كان يشع سناء عجبياً ، ونوراً لم تقع عيننا تليهاك عبر مثله . فقال لأبيه وقد أخذه العجب ، أبتاه ا ما هذا النور المنعكس على الجدران والعمد والقوامم والعوارض حتى ليكاد يحملها تلتها ا أبداً ما رأيت مثل هذا أبداً ... لا بد يا أبى أن إلهاً معنا هنا ا ، وقال أبوه : وأخزن عليك اسمناك<sup>(١)</sup> يا بنى ، واملأ قلبك بما ترى ، فإنه من نور السماء . وهذا دأبُ الآلهة ... والآن ، لتصعد أنت فلتنم مل = عينيك كى تستريح ... أما أنا . فباق هنا ، لأنه لا بد لى من أن أكرمك وخدمها .

وانطلق تليهاك إلى مخدعه ، وأقبلت بنلوب وأقبل فى إثرها سرب من خدمها فأعددن لها عرشاً عمرداً من ذهب وعاج استوت عليه وأسندت قدميها العاجيتين إلى متكأ جميل ، فبدت كإحدى الآلهة . وجلس أوديسيوس على كرسي صغير بُدَّتْ عليه فروة غليظة ، ثم كلمته الملكة فقالت : ، والآن أيها الغريب الكريم قص على من أنباءك وخبرنى من أنت ، ومن أى البلاد قدمت ، فقال أوديسيوس : أيتها الملكة تعالى جدك<sup>(٢)</sup> واصلح حالك ... إن لك فى العالمين لذكراً يعبق كالعطر ، واسمأ كرىما ليس لملك عظيم يحكم أمة عظيمة بالعدل وتجزيه بالحبة ...

إني يا مولاتي رجل كره الزمان ، وعسفت به يد الحدثان ، فإذا سألتني ما اسمي وما بلادي ، فإنك تثيرين في أعماقي ذكريات عنيفة تدمي فؤادي ، وتفجر الدموع في مآقي ، فأعفيني أيها الملكة من ذكر ذلك ، فإنه ليحزنني أن أجلس بين يديك باكية متصدعاً مهموماً ... وبدأ الألم على وجه بنلوب وقالت : « أواه أيها الغريب ما أقسى ما ذبلت حياتي وذوت زهرتي منذ رحل زوجي المحبوب إلى طروادة ، تاركاً لي الهيم ، ومخلفاً لي الحسرة ! ألا ما أقسى ما يحن قلبي إليه ، ولشد ما يخفق من أجله ! لقد أسلمني بعاده لليل أليل<sup>(١)</sup> من الآلام ، فما أدري منذ فارق كيف أشس لضيف مسكين مثلك ، ولا كيف أبش لأحد من العالمين ... وهؤلاء الأمراء اللؤماء الذين تسككبوا حولي يريدون ليرغموني على اختيار أحدهم بعلالي من دون أوديسيوس ، ولا أدري كيف أذودهم ، ولا أعرف السبيل لدفع أذاهم ... لقد مكرت بهم طويلاً ، ولكنهم مكروا بي السيئات ، فلا أدري كيف أنقذ نفسي منهم ؛ وهذا أبوأي يريدانني على هذا الزواج البغيض إلى ، وهذا ابني قد شب ، وهو يضيق بخطاى ذرعاً ، وإن في صدره حرجاً منهم لأنهم يهلكون ثروته ، ويعيشون في قصره ، ويخوضون في عرض أبيه ... ولكن ... حدثني بأربابك من تكون ، ومن قومك ، وأي بلاء من الدهر شردك عن وطنك ... تكلم أيها العزيز ولا تحزن ، . وأرسل أوديسيوس آهة عميقة ثم تكلم فزخرف حديثاً طويلاً موثقاً ، ولفسق قصة حزينة متقنة ، وذكر للملكة أنه رجل ممرزاً من جزيرة كريت كانت له نعمة

(١) مظلم شديد الظلام .

وكانت له سعة من العيش ، وذكر أبويه وأهله والحياة الواسعة المخفجة التي كانوا يجيئونها ، وذكر أنه عرف أوديسيوس أول ما عرفه حين غرقت به الفلك وقذفه الموج على الشاطئ الكريتي ، فهرول إليه وتلطف به وأخذه إلى داره حيث أكرم مشواه واحتفى به أبواه . . . ولم يكند أوديسيوس يفرغ من حديثه حتى تفرقت الدموع في عيني بنلوب ، وانطلقت تبكي على زوجها الذي لم تدر أنه جالس إليها يحدثها ويوشى لها أطراف الكلام . وتأثر هو من بكائها فكادت عيناه تفيضان بالدمع ، لولا أن ملك حاله ، وهيمن على عواطفه ، فخبس العبرات التي أوشكت تهمل بأجفان من حديد . . . ثم أرادت الملكة أن تمتحنه إن كان صادقاً فقالت : « وهل تذكر أيها العزيز ماذا كان يلبس يوم لقيته ؟ تستطيع أن تصفه لي ، وتصف رفاقه الذين صحبوه في هذه الرحلة المشؤومة ؟ » وتخابث أوديسيوس فقال : « مولاتي ! ليس من اليسير على شيخ كبير مثلي أن يذكر أحداث ما قبل عشرين عاماً . . . بيد أنني سأحاول أن أرسم لك الظلال الضئيلة التي لا تزال تنطبع من صورته في رأسي . . أذكر يا مولاتي أنه كان يلتفت شوب أرجواني موشى بالذهب ، وقد رسم فيه بالذهب أيضاً كلب صيد معروف يحمل في برطيله<sup>(١)</sup> ظبياً مرقطاً . وأذكر أنني رأيت قيده ولسته ، فلا أذكر أنني لمست في حياتي أنعم ولا أرق ولا آمن . . وكان يسجي بين يديه مشير أكبر منه جسماً وسناً ، ذو كتفين مستديرين وشررة سنجابية وشعر مئطفكفل . . . وكان أوديسيوس يوقره ويجله أكثر مما كان يجل سائر أصحابه ،

(١) عن ثعلب عن ابن الأعرابي أنه لم يذكره صاحب القاموس .

وصمت أوديسيوس ، وبكت بنلوب فاستخرطت (١) في البكاء ،  
ثم قالت : « لشد ما كنت أرثى لك أيها الغريب النازح الجوّاب ؛ أما  
الآن فإنّي أحترمك وأعطف عليك ، بل أحبك ؛ تالله لقد صنعت له  
هذا الشوب بيدي ، وأنا التي وشيته بالذهب ! والأسفاه عليك أوديسيوس !  
إنك ان تعود إلى يا حبيبي اُبعداً ليوم نزحت فيه عن وطنك إلى هذا  
البلد اللعين المشؤوم . . . طروادة ! ، وهش أوديسيوس وقال :  
« خفني عنك يا مولاتي ، ولا تتلني قليك بطول هذا البكاء . ثم لماذا  
تياسين من أوبته وقد سمعت عنه أخباراً سارة حين كنت في أيروس ؟  
لقد مات عنه كل أصحابه ، ولقد غرقت سفينته في أعماق اليم بغضب  
صبته الآلهة عليه ؛ بيد أنه نجح مع ذلك . وهو الآن سليم معافى يوشك  
ان يصل إلى إيثاكا بخير . وأنا لا أرسل ما أقول حديثاً ملثماً . بل  
أحلف عليه وأقسم بأعظ الأيمان أنه سيصل إليكم في عامكم هذا . . .  
بل ربما كان بينكم قبل أن يتم القمر دورة هذا الشهر ! ، فتأوهت  
بنلوب وقالت : « ويك أيها الضيف ! تالله إن قلبي ليكذب ما تسمع  
أذناي ، وإنه لا يصدق أن صاحبي عائد يوماً إلى إيثاكا . . . ولكن  
هلم . . . إني سأمر وصيفاتي فيغسلن قدميك ويعطينك ثياباً وكسوة ،  
ويهيئن لك فراشاً وثيراً هنا . فإذا كان الغد فستجلس مع تلميحك على  
مائدة الأمراء ولن يجسر أحد منهم أن يكلمك كلمة أو أن يمد يده  
إليك بأذى ، وشكر لها أوديسيوس وقال : « مولاتي لقد اعتدت  
أن ألتحف السماء إذا نمت ، وأن أفترش الغبراء ، ولن تمسني وصيفاتك .  
فقد يدعون من خشونة قدمي . . . ولكن إذا كان فيهن واحدة مخلصة

شربت من كؤوس الزمان مثل ما شربت من محن وآلام ، فلا بأس أن تغسل لى قدى ، على أن تكون عجوزاً حيزبوناً ؟ ، وسرت بنلوب وقالت تجيبه : « أبدأ ما علمت أحزم منك ولا أوفر ذكاء وعقلا أيها الضيف الكريم . لك ما سألت ، فإن عندنا خادماً أمينة طاعته فى السن كانت موكلة بمولاي أوديسيوس إذ هو طفل تغسله وتسهر عليه ، وهى التى ستغسل لك قدميك ... يوريكليا ... يوريكليا ... أقبلى فاسهرى على هذا الرجل العجوز الذى له مثل سنك وتجاربيك ... إن له سحنة كسحنة أوديسيوس وسبأ كسبأه .. إغسل قدميه وقدى إليه كسوة تليق بضيف حل بيتنا ، وكأنما هاجت ذكرى أوديسيوس شجون المرأة فترقرق الدمع فى عيניה الملوذتين<sup>(١)</sup> وقالت : آه يا أوديسيوس لشد ما ينزع فؤادى إليك ويخفق لذكراك ! تالله لم أر رجلاً أختب للآلهة كما أختب وضخى لها كما ضخى ... ومع ذلك فقد ناموا جميعاً عنه لم يتأذنوا برجوعه إلى وطنه ! ومن يدرى ؟ فقد تكون نسوة تعبت به كما عبت نسوة هذا القصر بهذا الرجل ... هلم أيها الضيف الكريم . لا أحب إلى من أن أغسل قدميك كما أمرت مولانى ... أوه ! يا للعجب ؟ ! لماذا ينجذب إليك قلبى هكذا ! يا للآلهة ! ! أبدأ ما رأيت من أضياف هذا البيت العتيق أشبه بأوديسيوس منك صورة وصوتاً وخطراً<sup>(٢)</sup> . . . . وتأثر الملك وأنشأ يقول : وربما يا أماء ! لقد قال مثل ما قلت كثيرون ممن رأونى ورأوا أوديسيوس ،

(١) البارزتين كاللوزتين . (٢) اهتزازاً وعنفواناً .

وذهبت يوريكليا فأحضرت طسّاً<sup>(١)</sup> به ماء، وواتهز أوديسيوس  
 انشغالها عنه فابتعد عن الموقد . لأنه ظن أن المرأة قد ترى الندوب  
 التي بقدميه، الباقية ثمة من عضّة خنزير برى كان قد بطش به في حادثته.  
 فتكشفت ما حرص هو عليه من كتمان أمره . . . . . بيد أنها لمست  
 الندبة<sup>(٢)</sup> الكبرى في ساق سيدها إذ هي تغسلها .. وكانت الظنون  
 قد ساورتها لما سمعت من صوته ، واستذكرت من صورته . فلما  
 تحسست الندبة زاغ بصرها . وحملت فجأة في وجه مولاها وسقطت  
 يداها من غير وعى فانقلب الطس النحاسي محدثاً صوتاً مرناً مدوّياً . . .  
 وسال الماء . . . وانحبس الدمع والمنطق في عيني العجوز ولسانها ،  
 ثم عاجلت المفاحأة الساردة المحزنة في صدرها . . . وصرخت تقول :  
 « أنت ! هو أنت ! والله إنك لأوديسيوس . . . لقد عرفتك . . .  
 هذه هي الندبة التي أحدثها الخنزير بساقلك ! لقد لمستها بيدي ! »  
 وأهرعت العجوز مذهولة نحو بنلوب لتزف إليها البشرى الهائلة . . .  
 ولكن مبرحاً كانت أسبق منها . . فقد سحرت عيني بنلوب وسمعها . . .  
 وعجل أوديسيوس إلى العجوز فأطبق بكفه على فمها وقال : « يوريكليا !  
 اصمتي ! أنا هو ! ولكن اصمتي ! إن كلمة واحدة منك تقضي على !  
 لقد غدوتني ونشأتني في حضنك صغيراً ، فهل تكونين نكيتي وشاحذة  
 سكينتي كبيراً ، وبعد أن وصلت إليكم بعد يأس وقنوط من عودتي ؟  
 اصمتي ! علّي لسانك بسلاسل وأصفاد فلسست أريد أن يعلم أحد

(١) الطس بالفتح والطنس والطنسة ( الطشت ) الذي يغسل فيه ( قاموس ) .

(٢) أثر الجرح القديم .



أنتى هنا . . . وإلا . . . فتالله لن أرحمك - ولو أنك مرضى -  
يوم يجد الجدا .

وارتعدت يوريكليا ، وقالت تجيبه : « أى بنى الم تكلمنى هكذا؟  
أتشك فى ثباتى وحفاظى ! إطمئن يا بى ، فسا كون أصمت من الحجر  
الصلد ، وأستر لسرك من الحديد ! » فخدجها أوديسيوس وقال ، اصمتى  
إذن ، ولا تفسدى تدبيرنا ، ولتتوكل جميعاً على الله ! » وذهبت فأحضرت  
ماء آخر ؛ وأخذت فى غسل رجليه العظيمتين . فلما فرغت ضمختهما  
بأخضر الطيوب ، ووقفت تقلب عينها فى مولاها بينما كان هو يربط  
لفائف على ندوب ساقيه . وأخذ أوديسيوس كرسيه وجلس قريباً من  
الموقد تلقاء بنلوب التى شرعت تحدثه وتقول : « أيها الضيف . ما أرى  
. بأساً فى أن أسألك إذا كنت أبقى هنا مع ولدى أو أختار أحداً من  
أولئك الأمراء فيكون لى بعلا . . . على أن رؤبأ رأيتها لاتزال  
تضطرب فى خلدى ولا أعرف كيف أعبرها ذلك أنتى كنت أقتنى  
عشرين إوزة بيضاء ، وكنت أحبها وأرعاها بنفسى ، فرأيت فيما برى  
النائم نسرأ قشعما انقض عليها من الجو فافترسها جميعاً بينما كانت تأكل  
طعامها من المعلف الذى أعدته لها . . . ولما رأى النسر شدة حزنى  
والتياعى على أوزى ، وقف على نتوء قريب ثم أنشأ يكلمنى ويقول :  
لا تحزنى يا ابنة إيكاريوس على الأوز فإنه يمثل عشاقك الخُطَّابَ  
الفُسَّاق . . . أما أنا فأمثل زوجك النازح الذى سيعود من سفره  
بجأة فيطش بالطغمة العاتية التى استباحث قصره ، وولغت كالكلاب  
فى عرضه . . . ألا يا ابنة إيكاريوس اسعدى ! » واستيقظت من نومى

مسبوهة ونظرت إلى إوزى لأطمئن عليه فوجدته سالمساً . . . فهل تستطيع أن تعبر عن تلك الرؤيا أيها العزيز ؟ .

فقال أوديسيوس : « أيتها السيدة الفاضلة . . . لقد فسر لك الرؤيا زوجك بلسانه . . . وهي تعنى غير ما قال . . . إنه قادم وشيكالاريب . . . وأنه حامل إلى خُطَّابك العشاق منياهم » .

وإناقلت بنلوب ثم قالت : « أبدأ . . . إن هي إلا أضغاث أحلام ! إذا كان غد فإنى ذاهبة إليهم فذاكرة لهم شرطاً إن استطاعوه نالنى أقواهم فذهبت من فورى إلى بيتى ، وتركت كل هذا القصر الذى دخلته زوجة خنير زوج ، ليكون حليماً جميلاً يزخره لى الماضى . . . وذلك أننى شارطة عليهم أن يحملوا قوس أوديسيوس فيصيدوا بها غرضاً يخترق السهم إليه اثنى عشر ( دنجلا )<sup>(١)</sup> فإن أصابه أحدهم فإنى له ، وهش أوديسيوس وأيد فسكرتها « لأن واحداً منهم لن يستطيع أن يوتر قوس أوديسيوس قبل أن يحضر أوديسيوس فيحطمهم جميعاً !! » وأشارت بنلوب إلى خدمها فأعددن لأوديسيوس متسكاً وفرشاً وثيراً . . . وذهبت هى لتدرف فى مخدعها دموعاً من بلور .

(١) لم نجد فى العربية — أرى لم نعرف — مرادفاً لمخود القوس أو العجلة ، فأجزنا هذه اللفظة لشيوعها بين الصناع .

## نذير من السماء

طفق أوديسيوس يتقلب في فراشه على أحر من الجمر ، و طفق  
رأسه يعلى كالقدر ، بل يقور كالتنور بطائفة نائرة صاخبة من الأفكار  
والوساوس ، وهو لا يدري ماذا يصنع بهذه العصبة أولى القرّة من  
أولئك الخطاب المفاليك ، وهو وحده ، ومهما يكن شجاعاً صنديلاً  
فقد يتسكّثر الذباب على الأسد فيقتله ...

وهبطت من السماء مینرفا اللطيفة في صورة حسناء هيفاء ممشوقة  
القد بارعة القسمات ، فجعلت توأسيه وتطمئنه وتبشره بأن الأولب كله  
من ورائه فلا يخاف ولا يأسى ...  
ويقول لها :

— « هذا حسن أن يكون الأولب ، وتكونين أنت ياربة الحكمة ،  
من ورائي حتى أنتصر على أولئك الجبارين ... فكيف لا أخشى أن  
يهب من ورائهم قبائلهم وذرايهم واللائدون بهم يتأرون لهم فيحل بي  
بطش شديد ؟؟ » فتقول مینرفا : « الذي يحفظك منهم غداً يحفظك من  
غيرهم بعد غد ، ولو جمعوا لك جحفاً أضاعافاً ... فلا عليك أيها  
العزیز ... خلّ عنك الوساس إذن ... ونم ملء جفنيك ... واترك  
للسماء قيادك فهي حسبيك ... » قالت هذا وزفت<sup>(١)</sup> في الأثير اللانهائي  
إلى أولب ، تاركة وراءها القصر العتيد بمن فيه من نواام وغير نواام ...  
مسكينة بنلوب ! لقد كانت هي الأخرى شاردة اللب . موزعة

القلب ما ترقأ لها عبرة<sup>(١)</sup>، ولا تغنى لها عين، ولا يقرب لها قرار .. لقد  
لبثت ليلها كله تشموق إلى أوديسيوس وتبكي عليه، وتستذكر أيامه،  
وترثي لهذا القتي اليافع تليهاك؛ ثم تدعو الموت كي يحمده أنفاسها،  
ويؤفّر عليها أحرانها .. ولكن المنايا نوافر لا تستجيب لدعاء أحد ..  
وهبَّ أوديسيوس عند مطلع الفجر فانطلق إلى المذبح الكبير حيث  
جثا متضرعاً لهفناً، يسمي باسم زيوس العلي ويصلي له ويهتف به أن يجعل  
له علامة يطمئن قلبه بها، وليعلم أن كبير الآلهة لا يزال يحميه ويكلؤه، كما  
كلاؤه في شدائده في البر والبحر .. وكان أوديسيوس يزكّي صلواته بأظهر  
الدموع وأحرها، وكان سيد الأولمب يصغى لدعائه من علياء السماء، فما  
إن فرغ الملك المحزون حتى أرسل زيوس في الأرجاء زلزلة عظيمة مدوية  
رجت أصداءها جنبات القصر الساكن، وأحياد الجبال الشاخحة ..  
وكانت خادمه بأئسسه تسهر طوال ليلها عاملة في طاحونها ناصبة. فلما وقرت  
في سمعها الزلزلة ذعرت وروعت، وأزاحت طرف الستر لتتنظر إلى السماء  
فلم تجد فيها سحابة واحدة، بل وجدتها مشرقة بنباشير الصباح، مضئمة  
بنور ربهما .. فجعلت تجأ إلى الله وتقول: زلزال وليس في الأفق  
سحاب .. أما والله إنه لندير، أما والله إنها لغضبة السماء على هؤلاء  
المناكيد .. القساة .. الذين يقسرونني على هذا العناء وذلك النصب  
طوال الليل كأني من حديد .. يا جُوف العلي .. إن يكن ما سمعت  
حقاً؛ فأني أسألك بحق أسمائك أن يكون هذا الدقيق آخر ما يأكلون  
من زاد هذه الدنيا ..

وتبسم أوديسيوس من قولها وتوسم فيه وفي تسمية السماء خير آله .  
وشاع في أعطافه شعور قدسي باقتراب ساعة الانتقام... وكانت الوصفات  
الأخريات بوقدن نار المدفأ في الردهة الكبرى ، بينما ارنز تليماخوس من  
مخدعه مختزطاً سيفه ، ورحمه يحتمل من خلفه ، حتى إذا بلغ وصيد الباب  
الكبير هتف بالرضع العجوز يوريكليا يقول : « كيف حال الغريب  
النازح يا أماه ؟ بودى لو أنكين عنينين به كما ينبغي ، لأن والدتي على  
ما جملت عليه من خير ولطف ، لا تهش لأمثاله من النازحين الغرباء ،  
وقالت يوريكليا تجيبه : « يا بني لا تثرىب على والدتك ن هذا السبيل  
فقد احسنى ضيفك من الخمر مل ، بطنه ، حتى لقد أبى أن يذوق طعاماً  
بعد ، وقد أبى إلا أن ينام على فراش خشن في الردهة الكبرى ، ولا  
أدرى لماذا تشبث بهذا » . وانطلق تليماك إلى المدينة يتبعه كلباه . ثم أقبل  
الراعى يومايوس يسوق بين يديه ثلاثة خنازير كناناز من أسمن قطعانه ،  
وما أن رأى أوديسيوس - الشحاذ الفقير في حسابانه - حتى قصد إليه ،  
ولبت يسائله عما لقي من الخطاب العشاق - وذكر له أوديسيوس  
ما كان من وقاحتهم... وبينما هم كذلك ، إذ أقبل الراعى السفينه ،  
سليط اللسان ميلاتيوس وهو يحدو قطعانه وماعزه . وطفق كدأبه  
يسب أوديسيوس ويرسل عليه وعلى يومايوس ما نزح به فنه من شتائم ،  
تحرشاً بالرجل الشحاذ الفقير ، ولكن أوديسيوس لم يحرك ساكناً...  
وأقبل راع آخر يقود بقرة صفراء ، يدعى فيلوتيوس ، فوقف عند زميله  
يومايوس يسأله عن صاحبه الفقير الشيخ ، وكأما راعته ملاحه وحسن

سمته : « إن له سيما كسيما الملوك برغم أسماه ومزقه ا » ، ثم صافح أوديسيوس وقال له : « مرحباً أيها الأب ا خفف الله عناءك ووضع عنك وزر ما تشكو ... يا للسماء ا إن مرآك ليفجر الدموع في عيني لأنك تذكرني بمولاي أوديسيوس الذي وكل إلى رعنى قطعانه وأنا بعد صغير حدث ، فكبُرَت كما كبُرَت ، وتضاعف عددها ... ولكنى والأسفاه لا أفرح بسمها ووفرة عددها ، بل إن الحزن ليرزح على نفسى لأنها تسمن فتكون غذاء لا مباركا ولا هنيئاً لأولئك الظالمين ... ولولا رجائى فى السماء ... وأملى الكبير فى عودة مولاي أوديسيوس لاسئذت من بعيد بسيد آخر أخدمه ، لأن الصبر على خيائث هؤلاء العتاة الطغاة لم يعد فى طوفى أحد ... والأسفاه عليك يا مولاي أين أنت اليوم ؟ ألا ليتك تعود فتبشش البطشة الكبرى بهؤلاء الجبارين ا ... واغتبط أوديسيوس بما سمع من كلام الراعى فقال له : « الله ما أشجعك أيها الصديق ا والسكنى أبشرك وأطمئنتك ، وأقسم لك أن مولاك عائد ما فى هذا شك ، وهو عائد عما قريب ، وستشهد عينك هاتان مصارع البغاة الطغاة ا ... وبينها هما يتحدثان إذا بالخطاب يقبلون أفواجاً فيملأون البهو ، ويحلسون إلى ولجنهم ، ويشير تدياك إلى أبيه فيجلسه معهم . ويعد له مائدة ومقعداً ، ويحض له من الشواء والخبز والشراب ما هو حسبه ويقول له بسمع من الجميع : « اجلس أيها السيد ولا تحش رهقاً . . . إنى أمقت أن أسمع تشغباً اليوم ، فالبيت بيت أوديسيوس وإنى لصاحبه ا ، وغيظ أنطينوس ققال : « دعوه فقد حق له أن يقول

ما يشاء ، فتالله لولا أن حال جوف بيننا وبينه لأسكتنا إلى الأبد أنفاسه ا ، وقال سفية آخر : « طب نفساً يا تليماخوس وقر عيناً ، فهناك منحة منى لضيفك ، مضغة مشتهاة ا » ثم تناول عظمة من السلة القرية فقذف بها أوديسيوس الذي انحرف عنها فلم تصبه . وعندئذ قال تليماك مغاضباً : « تالله لو أصابته لأقصدتك برحى هذا فنقد في صدرك ، وخرج يلبع من ظهرك ، ولا نقلب العرس الذى تحلم به فكان مناخة تسوّز بيتك . . . إني لم أعد صيباً بعد فلا ترهبونى ا سترون كيف أستطيع أن أضع لكل ذلك حداً بعد إذ طفح الكيل ا ، وهنا هب لئيم آخر فبذ في سخريه مقالة تليماك . . . لأن من حقه أن يحى ضيفه . . . » ولكن اسمع يا تليماخوس . . . لم لا تمضى إلى أمك وقد يئست من عودة أبيك فتطلب إليها أن تحضر فتختار أثبل الذى يروقها من بيننا ؟ ، فتعمّل تليماك الكلام وقال : « هى حرة مطلقة الحرية . إني لا أقف فى طريقها ولا أقسرهما على شيء ا ، وما كاد يفرغ حتى انفجر المناكيد يضحكون ويضحون

ثم حدثت المعجزة ا

لقد تضربت وجوه القوم بحمرة الدم . . . ولقد تحركت قطع اللحم فوق الحوان فبهى تقطر دماً أحمر كأنه ينبثق من غلاصم قتلى ا ثم امتلات عيونهم بدموع غزار حرار . . . ثم طفقت دموعهم تعالو وتهبط وتنشق عن تهيدات تصعد من سويداء القلوب . . . ثم هذا ثيوكليموس - الكاهن الابق - يشهد المعجزة ويرى النذير ، فينفض

فيهم قائلاً : « تعساً لكم أيها الأحماس لقد سىء بكم ، ماذا نخبأ لكم المقادير يا ترى ؟ ما هذه الظلمات كأنها قطع الليل تغطش رؤوسكم وتزلزل أقدامكم ؟ وما هذه الدموع تتصبب من عيونكم فنشوى خدودكم ؟ أنظروا إن استطعتم ، ما هذه الدماء التي تخرج جدران القصر ؟ ما هذه الأشباح التي تكظ البهو الخالد ؟ إنها تنهاوى إلى عالم الفناء فويل لكم ؟ أوه ، وتلك آية أخرى لقد كسفت الشمس فجأة وتوارت بالحجاب ، الضباب الضباب ، ما أروع الضباب ينتشر فيملاً ما بين الأرض والسماء ، وبالرغم مما أندر الكاهن فقد أغرق القوم في الضحك ، ولم يزدادوا إلا خبالاً ... وقال قائلهم ، وإنه ليور بماخوس : « ما أحسب إلا أن به الجنة ، أخذوه فغلوه ثم في السوق صلوه <sup>(١)</sup> ، عسى أن يجد ثمت ضياء يمشى فيه ، إنه لا يجد ضياء هنا ، ، .

وتلبت الكاهن فقال : « اربع عليك يا يور بماخوس وإن لي عينين وأذنين وإني لأرى وأسمع ... وإني نذير لكم من بلاء يحل بكم فلا يمتق ولا يندر ... أيها الأفاكون المفسدون ، وانطلق الكاهن من القصر ... ولمز أحد الخطاب تليماك فقال : « ألا ما أتعسك في كل من ضيقت من ضيف يافتي ، أما كان بحسبك هذا الفقير الشحاذ القدر الذي تطعمه ، ما عليه من سبيل ، حتى تجلب هذا المتفهيق الذي يدعى النبوة ويرجم بالغيب ؟ » .

وصمت تليماك فلم ينبس ، وظل ينظر إلى أبيه ، ويرقب ساعة الجد .

(١) ارموه واقتنوه



## وما رميت إذ رميت ...

وكانت بنلوب جالسة في الحرم تسمع إلى ضجيج القوم وعجيجهم ،  
فبدأ لها أن تضع حداً لهذا العبث العقيم الذي استمر كل هذه السنين  
الطوال فأمرت بعض وصيفاتها فتبعتها إلى الخبأ الذي حفظت به أذخار  
الملك وعتاده ، والسلاح الذي فرقت<sup>(١)</sup> منه قلوب وارتعدت فرائص  
وزاغت من هوله أبصار ...

لله ما كان أشجأها ذكريات حافلة بأروع ضروب المجد الهاهي ذى  
تلك الرماح التي طالما لاعب بها أوديسيوس الأسنه ، والسيوف التي  
طالما انتزع بها الأرواح ، والدروع السابغات التي كانت تدرأ عنه  
وتحميه ، وتحفظه وتفتديه ... ثم ها هي ذى تلك القوس العظيمة معلقة  
فوق الحائط تلمع وترقص من حولها المنايا ... القوس ذات الذكر التي  
أهداها إلى أوديسيوس أحد المعجبين به ... ها هي ذى بعد هذه السنين  
الطوال لم يحملها أحد غير أوديسيوس ، لأن أحداً غير أوديسيوس  
لا يستطيع أن يثنى قوس أوديسيوس ، وفيها الوتر العرمد<sup>(٢)</sup> ، الذى  
لا يلين ولا ييبس ولا يرمد ، إلا إذا كلبه أوديسيوس !! وتناولت  
بنلوب كسناثة<sup>(٣)</sup> السهام التي طالما قذفت المنون في قلوب الأعدى ،  
وجلست تنثرها في حجرها ، وتنتقى منها . وتبكي أحر البكاء ... لأن كل  
سهم منها كان يهيج في قلبها ذكريات زوجها البطل .  
وأشارت إلى وصيفاتها فحملن القوس العظيمة ، وحملن (الدناجل) ،

ثم حملت هي السهام وسارت أمامهن ، وعلى وجهها نقابها السادر الحزين ؛ حتى إذا كانت عند الأمراء هتفت بهم فصمتوا ، ثم قالت لهم وفي صوتها نبرة الحزن ، وموسيقى الآلام : « ها هي ذى قوس أوديسيوس وتلك هي سهامه أيها السادة الأمراء فمن استطاع أن يثنيها فيرسل عنها سهاماً يخترق الدناجل الاثني عشر فأني له ، وهو صاحبي .. وعسى أن تنطل السماء حجبتكم اليوم .. فقد طالما ذعبتن بخير هذا القصر ، وأرعتم<sup>(١)</sup> من زاده بحجة أنكم خطابي ، كما استبجتم أن تسموا أنفسكم ، فأليكم القوس فانظروا ماذا تصنعون » وأشارت إلى الراعي يومايوس فسلم القوس العظيمة ، وحملها معه زميله راعي الضأن فيلوتيسوس ... ثم إن الراعيين لم يطبقا ذكريات سيدهما التي هاجتها فيهما القوس فذرفا دموعهما ثم استخرطتا<sup>(٢)</sup> في البكاء ... وانتهرهما أنطونيوس فقال : « تباً لكما أيها الفلاحان القذران فيم هذا البكاء ! ألتهيجان الشجوة في فؤاد سيديتكما؟ إنطلقا أيها المسخنان فأبكيما بعيداً فتالله ما أحسب بكاء كما إلا يزيد في صلابة القوس ، وتالله ما أحسب أحداً منا يبلغ منها مارباً ... وئى ! من منا له بأس أوديسيوس ؟ لقد كنت طفلاً ، بل كشت وليداً ، حينما رأيت رجلاً ذا صولة وفتوة يهدبها إلى البطل ... أجل .. رأيت هذا بعيني هاتين .. وكان في كل ما قال ساخراً ... فقد هياً له الغرور أنه بقليل من العناية سيثنى القوس ويرسل السهم ويحظى ببطلوب ! »

ونخص تليهاك فقال إنه سيسهم في الرماية فإذا استطاع فإنه سيثبتي أمه

لديه ولا يتركها تغادر منزل أبيه أبداً ... ثم حفر حفراً على خط مستقيم فجعل في كل منها دنجلاً وثبت حولها بالحجارة والتراب ... ثم إنه تناول القوس العظيمة وألقمها السهم ، وجمع قواه وطقق يشد . لكنه فشل مشى وثلاث ، وكانت القوس تشمخ عليه فلا تكاد تثنى . حتى إذا حاول الرابعة وأوشك أن يظفر ، أو ما إليه والده فقهم ما يريد وقال : « أوه ! إنه لا يقدر على هذه القوس إلا من هو أقوى منى وأكمل جسمانياً وأتم بنية ... فليتقدم لها من شاء منكم حتى نرى اء . »

وقال أنطونيوس : إنهم جميعاً مشتركون في التجربة حسب مقاعدكم ، حتى السكاكن .. فهض هذا ويم شطر الوصيد<sup>(١)</sup> وحمل القوس الرهيبه وحاول مائة مرة أن يشنها فلم يستطع ، فألقاها وقال : « أيها الرفاق ... ما أحسب هذه القوس إلا مؤسفةً للجميع ... لقد أوهنتي وذهبت يُمنّتي<sup>(٢)</sup> ... ألا فلتحلّموا بامرأة أخرى غير بنلوب ، فوالله ثم والله إنها للرجل الذي كتبها المقادير له .. الذي يحضر إليها بما ليس في وسعكم من كنوز ومن أذخار ، .

و غضب أنطونيوس وتجهّم للسكاكن ثم قال : « ألا ساء ما تقول أيها الرفيق ! أحسبت أننا نياس من هذه القوس لأنك لم تقدر عليها؟ ومتى كنت رجلاً جلاّد وجهاد ، ومتى ثبتت قوساً أو أرسلت سهماً ا اربع عليك ففيينا السكاكيرون الذين يستطيعونها بالقابل الأقل من الجهد ، ثم أمر راعي الضأن ملائوس أن يحفر حفرة ويوقد فيها ناراً يجعل بها وعاء من شحم ليعالجوا به القوس عسى أن تلين قبل أن يُيدّلوا

(١) الفناء والمقصود المكان الذي أعد للقوس والدناجل (٢) قوتى

دلوهم .. فلما كان هذا أخذ الأبطال كل بدوره يحاول أن يثني القوس ،  
ولسكنها استعصت عليهم جميعاً . ولم يبق إلا أنطونيوس ويوريماخوس ،  
وهما أكثر هذا الجمع قوة وأوفرهم فتوة .

ثم نهض راعي الخنازير ، يومايوس ، ونهض في إثره صديقه الراعي  
الآخر ، كفتيا الخطي خارج البهو لما شاهدوا من بأس القوم ... وقد  
تبعهما أوديسيوس ... فلما كانوا بعيداً قال لهما : « أيها الحبيبان . إذا  
أرسلت العناية أوديسيوس في هذه اللحظة ليمطش بهؤلاء المناكيد  
أفتحاربونهم معه ، أم تحاربونه معهم ؟ » ... فرمقه فيلوتيوس وقال :  
« يا للسماء ! تالله لو صحت أحلامك لرأيت كيف أفتديه منهم بنفسى ومهجتى !  
وتالله لرأيت كيف يهتز سلاحى فيحصد رؤوسهم ويبعثر أشلاءهم ! » وقال  
يومايوس مثل هذه المقالة .. ولما وثق من إخلاصهما كشف لهما عن  
حقيقته فقال . « إذن فاعلما أنى أنا أوديسيوس ، وهذه هى الندوب  
التي أحدثها الخنزير فى ساقى ، وقد أثبت إلى وطى فجأة فلقيتكما أول من  
لقيت ، وأكرمت مشواى يا يومايوس وأنت لا تعرفنى ، ولم أشأ أن  
أبدو للقوم حتى أعرف عدوى من صديقى ، ولم يكذب فرغ من قوله حتى  
انحنى الرجلان يشهدان الندوب ، فلما استيقناهما ، ذهلا عن نفسيهما ،  
وجثوا عند قدمى مولاهما ، وطفقا يقبالنهما ويعسلانهما بدموعهما ،  
ثم نهضا فألقيا سلاحهما عليه ، بيد أنه أمرهما أن يصمتا حتى لا يفضح  
أمرهم أحد ... وقال لهما : « لا بد أن نعود أدراجنا إلى البهو ، وسأطلق  
أنا قبلكما ، وسأطلب منك يا يومايوس أن تعطينى القوس لأقوم بنصيبى  
فى التجربة وسيرفض القوم أن أفعل ، ولسكنك يجب ألا تبالى ، بل تناولنى

بالقوس ثم تسرع بعد هذا إلى الحرم فتخبر النساء فيه ألا يُذمَّ عن إذا سمعن ضجة أو عويلاً في البهو ، أو شهدن حرباً وقتالاً . أما أنت يا فيلوتيوس فتسرع إلى باب الهو فتوصده وتحكم إغلاقه حتى لا يفلت منهم أحد أبداً . ثم مضى فجلس مكانه لدى الباب ، وتبعه الراعيان... وفي هذا الوقت كان يوريمachus يحاول محاربتة ، وكان من وقت إلى آخر يذهب بالقوس العظيمة فيعرضها للنار عسى أن يسهل عليه ثفيها ، لكن القوس أبت مع ذلك أن تلين ، فلها باغ من يوريمachus الجهد<sup>(١)</sup> ألقي بها يائساً وقال :

« تبا لها من قوس عبيدة ، والعار الأبدى لنا جميعاً يارفاق ! ما لنا ولهذا ؟ إن في إثنا كحساناً ، وإن فيهن أزواجاً تُرماً أبكاراً لمن يشاء ! أوه يا للخزى ! أواه لو لم تقل الأجيال المقبلة إننا كنا دون أوديسيوس قوة وأقل منه فتوة حين عجزنا أن نثنى قوسه !! يا للخزى ... يا للخزى ! »

ورُوع أنطونيوس وذهل عن أمره ، ولم يشأ أن يخزي نفسه بأن يحاول كما حاول غيره .. فوقف فقال : « ما أحسب القوس عبيدة ولا مستعصية كما تزعمون ... ولكن اليوم يوم عيد أبولو رب القوس العظيم ، فأني لنا أن نحمل قوساً اليوم ! دعوها ، واتركوا الأهداف مكابها ، فلن يجسر أحد أن يدخل هو أوديسيوس فيمضى بها ، وفي بكره الغد يحضر ميلاتيوس من قطعانه عزات سماأفضحى بها ألولو ، ثم نتم محاولتنا ،

ولكن أوديسيوس هب من مجلسه فقال : « يا سادة ! ما دمتم لن تحاولوا الرماية اليوم فأرجو أن تدفعوا إلى هذه القوس لأجرب أنا أيضاً ، ولأرى هل لا تزال بقية من منسنة الشباب مخبوءة في أعصاب ! أم أنها ذهبت بها جميعاً متاعب الحياة وكثرة التجوال في أطراف الدنيا ... » وجسّ جنون القوم لما قال أوديسيوس هذا ، وعجبوا كيف يجسر شحاذ فقير مثله أن يطلب أن يشارك السادات في مباراتهم... ومن يدري ؟ لعلمهم ذعروا أن ينجح هذا الفقير فيما فشلوا هم فيه ... قال أنطونيوس : « أأخزن عليك لسانك أيها السليط الوقح ألا يكفئك أن يسمح لك بوجودك بين هؤلاء السادة الأحيار من أقيال<sup>(١)</sup> البلاد حتى تطلب أن تبارهم ! ، وكانت بنلوب تطلع فلم تحتمل أن تؤذى ضيف ولدها هكذا ، فقالت : « أنطونيوس ، أتى لك أن تؤذى تلياك في ضيفه ؟ بل ينبغي أن يحاول الرجل كما حاولتم ، فأما أنك تخشى أن يظفر فيما فشلتهم فيه ... فلا ضير ... إنه لا جرم ليس يحلم مثلكم بأن أكون زوجة له ، فليفرخ روعك إذن ، ولتظلمشوا جميعاً ، وقال يوريماخوس : « يا ابنة إيكاريوس ما دار بخلدنا قط أن تكوني زوجة له إذا ظفر ، ولكننا خشينا أن يفضحننا في الناس فيقول : « عجباً لسادات إيثاكا وما حولها ؟ يظلمعون أن يتزوج أحدهم امرأة البطل العظيم أوديسيوس ثم لا يستطيعون رمي سهم عن قوسه ، ويأتى رجل شحاذ فقير فيثني القوس ويرمى السهم وهم مع هذا لا يستحيون ! ، هذا ما خفنا أن يكون يا ابنة إيكاروس وهذا ما خشينا أن يذهب

(١) أمراؤها وملكها .

بشر فناء ، فقالت بنلوب : « لتطامنن يا يوريماخوس فليس في مثل هذا  
يضيع شرفكم . . . ولكن الرجل ذو جسم طُوال ومظهر جبار ، وقد  
ذكر آباءه فعلم أنه كريم العنصر طيب الأرومة <sup>(١)</sup> عريق اختد <sup>(٢)</sup> .  
فلم لا يعطى القوس لئرى ما يكون ؟ وإنه إذا ظفر فسأخلع عليه  
وَأدفع له سلاحاً وأرسله أنى شاء ؟ » . ثم نهض تليماك فقال : « أمأه !  
إن القوس قوسى وإنى لصاحبها ، أعطيتها لمن أشاء وأصونها سمعن  
أشياء ، ولن ينازعنى حتى أحد من العالمين ، ولو شئت لأعطيها الرجل  
فستكون حقاً خالصاً له ، وما سمحت لأحد أن يمتعنى . . . تفضلى أنت  
فغلقى عليك ابواب الحریم ، وانظرى فى أعمال البيت ، وصرى شئون  
الخدم ، وخذى فى غزلك ونسجك ، وستنظر نحن فى أمر القوس ،  
وسأرى أنا لمن تكون النوبة ، فإنى هنا سيد لامسود ا . . . وشُدِدت  
بنلوب قليلاً ، إلا أنها عرفت أن ابنها قال حقاً ، فانسحبت ، وغلقت  
عليها أبوابها ، وانظرت فى فراشها حيث واقفاً مبرقفاً فسكبت فى  
عينها غفوة هادئة لذينة . فاستسلمت لسبات عميق .

وتقدم يوماً يوس فحمل القوس وأوشك أن يذهب بها إلى أويسيوس  
لكن الأمراء زاروا مغاضبين ، فغشى الراعى ، وألقى القوس ثانية ،  
فصاح به تليماك : « هات القوس هنا أيها الرعيد <sup>(٣)</sup> ، لشد ما أود أن  
أخلص منك ومن هؤلاء السادة الذين ترهبهم . . . ا » وسخر الأمراء  
وضجوا ضاحكين . . . ولكن الراعى تقدم إلى القوس فاحتملها .  
وذهب بها قدماً إلى مولاه . . . وانطلق بعد هذا إلى الداخل فنادى

(١) الأمل وللشأ (٢) الذب (٣) الجبان

المريض يوريكليا وقال لها : « إن مولاي يأمرك أن تغلقى جميع الأبواب ،  
ويقول لك إنه إذا سمع النساء ضجة في الهو أو قتالا فيجلسن حيث  
هن ولا يزعجن ، وليأخذن في عملن ، أسمعين ؟ » .

وغلقت المريض الأبواب وبلغت رسالة مولايها ... ثم هم فيلوتيوس .  
فغلق باب الهو وأحكم إقفاله وربطه بسلب<sup>(١)</sup> طويل كان لسفينة  
وألقى لدى الباب ، وعاد فجلس مكانه وعيناه لا تريمان عن مولاه ...  
وتناول أوديسيوس القوس فجعل يفحصها ويبحث في أجزائها ،  
عجافة أن يكون السوس قد نخرها إذ هو ناء عن بلاده ... وزاغت  
أبصار القوم ، وجعلوا يُسبِّقون في الشحاذ الفقير ويقولون :  
« الهيلوف<sup>(٢)</sup> الزنيم إن له لسعيناً فاحصة كأن لها عهداً بالرماية ،  
وإنه ليبحث القوس . كأنه يقتنى أمالها ! » ثم قبض أوديسيوس على  
القوس ، وشد طرفها في سهولة وفي يسر ، كما يشد الموسيقى وترآ من  
أوتارقيثاره ، ونظر إلى الأهداف المتراصدة أمامه ، وأرسل سهماً  
اخترقها جميعاً ، وسمع له صوت كسقسقة العصافير ...

يا عجبا ! لقد أراش أوديسيوس السهم ، وأرسل زيوس العلى  
زلزلة ورعداً مدوياً وثب له فؤاد البطل ، وطارت منه ألوان القوم ،  
وانقذف الرعب في قلوبهم ...

(١) في القاموس السلب لحاء شجر باليمن تعمل منه الحبال ونحسب أن منه إطلاق السلب  
على الحبال النليظة في مصر فلم نر بأساً من استعماله بهذا المعنى .

(٢) الهلوف بتشديد اللام وزان فردوس الثقليل الجاقى البطين ونحسب أن منه نعت  
للمصريون كلمة هلقوت وقد استعملناها لظرفها ومناسبتها كثيراً المقام .



ثم أخذ أوديسيوس سهماً آخر فنبته ، ثم أراشه فاخترق  
الأهداف مرة أخرى ...

قال أوديسيوس : « تلميخوس أيها العزيز إن ضيفك لم يخب  
رجاءك ولا أضع عشمك <sup>(١)</sup> ، ولقد أصبت الأهداف كلها على حداثة  
عهدي بالماية .. والآن ، هلم فإن النهار يوشك أن يولى ، وإنه لينبجى  
أن نعد وليمة المساء للسادة الأمراء ، ولن يعدموا بعدها ما دأبوا عليه  
من رقص وعزف ، وقصف وغناء ... »

وهم تلميخك فألقى حمائل سيفه على كاهله ، وتناول رجه العظيم . . .  
بوسنرى ا

(١) في القاموس العشم الطمع .

# الانتقام الهائل

والتى أوديسيوس أسماه، وأطرح مزقه، وبرز للبالأ أوديسيوس القوى الحديدى الجبار، وتناول كنانة الأسهم التى تمسّمهم فيها المنيايا وتغمغم، والقوس العتيذة العنيدة، ووقف عند الوصيد حتى لا يفتر أحد من أعدائه فينجو من الموت الذى هو ملاقيه، ثم نثر الكنانة عند قدميه وحنف بالعشاق يقول: «وهكذا يا سادة تتم فصول المأساة، وهكذا أيضاً تنتهى المباراة التى لم يفز فيها واحد منكم .. والآن .. أنظروا إلى لن أسدد سهامى إلى هذه الأهداف بعد، بل إلى مسدها إلى غرض آخر...»، وشد الوتر العرّ، وأرسل إلى حلقوم أنطونيوس سهماً مبرّاشاً عجّل به إلى هيذر. وكان العليج<sup>(١)</sup> يوشك أن يحسنى كأساً ذهبية من أعتق الخمر، فسقطت الكأس من يده الذاهلة. وسقط هو يتسحط فى دمه،<sup>(٢)</sup> ويلفظ أنفاسه. وذعر الآخرون حين رأوا أخاهم يسقط إلى الأرض رمة لا نفس فيها ولا حرّك، فهاجوا وماجوا، وهبوا يبحثون عن أسلحتهم. ولكن، هيات! لقد أخفاها أوديسيوس وولده ليلة أمس.. فأنى لهم بها!! وصاحوا بأوديسيوس: «أيها الجنون لقد أخطأت المرعى! ماذا أصابك؟ إنك تسدد إلينا؟ لقد قتلت أنبل شباب إيشاكا، ثمكثت<sup>(٣)</sup> أمك! أبدأ لن تحمل بعد هذه قوساً أبدأ.

ولسكشف الستر، وعاد إلى الشحاذ الفقير عنفوانه، وانقذت من

(١) العليج الحمار والغير والبيد القلب الفاقد الشعور

(٢) فقدت

(٣) بتقلب

فنه الخسيس فقال : « أيها الكلاب ا قال (١) ما زعمتم أن أوديسيوس  
 لن يثوب أهاذا أيها العبيد لقد استبحتم حتى بيتي وأذلتهم قدسه  
 الحرام ، وأوضعتم (٢) في الفتنة واعتديتم على نساءي ، ولن تبالوا أن  
 تتعشقوا زوجي ، بينما رجلها حتى يسعى على قدميه ، غير عابئين بمن  
 يطساع عليكم في السماء وهو بكم محيط ، ولا مبالين بما تضحج به الرفات  
 الكريمة في ثرى هذه الأرض من فعالكم ، فويل لكم ، لقد حان حينكم . . .

وارتعدت فرائص الكلاب كما دعاهم أوديسيوس ، وطارت حمرة الخمر  
 من خدودهم ، ووقف يور بماخوس متخاذلا وهو يقول : « إن كنت  
 حتماً ما سكتنا أوديسيوس فكلنا نعتذر عما ارتكبناه من الإثم في بيتك .  
 ولقد تسكمت فقلت الحق كل الحق ، ولكنك قد أردبت أنطونيوس  
 الذي دعانا إلى كل ذلك والذي ان يطمح أن يتربع على عرشك ويملك  
 كما سكت ، فاعف عنا واصفح عن خطايانا ، فنحن بالرغم من كل  
 ما حصل شعبك الأمين . ورعاياك الأوفياء الأواباء . . . على أننا  
 سنحرضك مما استبحنا مالا بمال وعتاداً بعتاد ، فقال أوديسيوس :  
 « يور بماخوس أيها النذل إنكم مهما ملأتم يدي بالذهب فلن تشفوا  
 حردي (٣) وان تذهبوا غلتي (٤) حتى أنتقم منكم جميعاً لما صدر عنكم  
 من إفك ، وما ارتكبتم من أوزار ا فاختاروا لكم ا الحرب التي جدت  
 بكم فجدوا بها ، والقتال الذي لا يحيص منه ولا يحيد عنه . أو . فالفرار  
 الفرار . . ولن نجدوا إلى الفرار سبيلاً . . . وزلزل الجميع زلزالاً شديداً ،

(١) خاب (٢) أسرعت (٣) غيظي (٤) ظمئي

وجفت ألسنتهم في حلوقهم فما عرفوا ماذا يحIRON ، ثم هتف فيهم .  
 يور يماخوس فجأة يقول : «أيها الإخوان، لقد تحجر قلب هذا الرجل فلن  
 يعرف سبيلا إلى الرحمة . وقد قبض على القوس بكلتا يديه ، ووقف  
 عند الوصيد يذودنا عن الباب ، وإن يفلت أحد منا من سهامه قط ، بل  
 إنه سيقنصنا واحداً بعد واحد .. ولا أرى إلا أن تقروا إلى سيوفكم  
 فتخترطوها<sup>(١)</sup>، وإلى المناضد فتدّرعو<sup>(٢)</sup> بها ، ثم نهجم عليه كرجل واحد  
 عسى أن نرحضه عن الباب فننجو بأنفسنا ونلوذ بالفرار فإذا ، بلغنا المدينة  
 فإننا سالمون اء ، ثم فرغ من صيخته واستل سيفه ، وهجم على أوديسيوس .  
 مرعداً مزجراً ، ولسكن أوديسيوس أسماء بسهم في صدره فصرعه ، وخر  
 اللثيم يعالج سكرات الموت ، وانتشرت ضبابة الغناء الأبدى على وجهه  
 المقبور فأطبقت عينيه ... وهنا .. هاج الأمير أمفينوم وماج وهجم على  
 أوديسيوس بسيفه الذي تقطر من حده المنيا . . . وكاد اللثيم ينال من  
 خصمه منالاً لولا أن قفز تليماك برمح العظیم فأغمدته في صدره وردده عن .  
 أبيه وعاد مكانه دون أن يتزع الرمح مخافة أن يتكأثر عليه الأعداء .  
 وقال تليماك لأبيه : «أبتاه إنه يجب أن نستعد بسلاح أكثر . . . وإني  
 ذاهب فحضر ما نحتاج إليه وعائد بسرعة البرق ، فقال أبوه وهو  
 يقصِد<sup>(٣)</sup> القوم بسهامه : هلم يا ولدي وهات ما استطعت . فلشد ما أخشى  
 أن تفرغ هذه السهام فلا أستطيع أن أدفعهم عن الباب . . . ، وانطلق  
 تليماك إلى غرفة السلاح ، فأحضر ما مست إليه الحاجة من رماح وسيوف  
 وخوذات ، وادسرع بما هو حسبه منها ، ثم ألبس الراعيين الأمينين

(١) آستلوا (٢) تغذوها دروعا (٣) أقصده بسهمه أى لإصابة

در عين سابقتين<sup>(١)</sup> وزودهما بسيوفين بتسارين ، ووقف الثلاثة إلى جنب البطل العظيم يمنعون تكاثر العشاق عليه ، بينما هو يرسل سهامهم فتخترقهم وتستأصل شأفتهم واحداً واحداً ، حتى إذا فرغت سهامه ، وقف الأبطال الثلاثة يذودون من دين الباب حتى لبس أوديسيوس دروعه ووضع على رأسه خوذته ، وأخذ بحمين عظيمين في كتفيه ، وعاد إلى كفاحه ، وكانت في الجانب الآخر من البهو بوابة صغيرة لم يقطن العشاق إليها. فأرسل أوديسيوس راعي الخنازير ليحرسها وليحول بين العشاق وبينها . . وضائق الدنيا حتى غدت ككيفة الحابل في أعين القوم ، وتجهمت لهم حتى غدت كالليل البهيم التي غواشيه فوق رؤوسهم ، وناء بكلكاه على صدورهم . . فقال قائلمهم : « ألا يستطيع أحد أن يمرق من البوابة فيصيح بأهلنا ويستنجد لنا ؟ » . .

فانبرى له ميلائتيوس<sup>(٢)</sup> يجيبه : « هذا عبث لن يكون وراء طائل فإن رجلاً واحداً يستطيع أن يقفنا جميعاً لو فعلنا ، دون أن نبلغ الباب . . بل لدى فكرة . . إني أعرف أين حبا أوديسيوس وابنه أسلحتنا ، وسأنتقل فأحضر لكم منها ما يقيكم منها . . ، ثم تعلق بحبال مدلاة من كوة في السقف وتسلق عليها حتى نفذت ، وانطلق إلى غرفة السلاح فأحضر اثنتي عشرة درعاً ورمحاً كثيرة وخوذات ، وظل يلقى بها من الكوة فيسلقها رفاقه ويدرعون بها . . ولو كان مع أوديسيوس سهم واحد يرسله إلى هذا العليج قبل أن يتعلق بالحبال لما استطاع أن يحضر

(١) ضافيتين .

(٢) هو الراعي الخائن الذي أصبح ضلعه مع العشاق ضد مولاة أوديسيوس .

هذه العُدد. قال أوديسيوس : « أى بنى لقد خاننا بعضهم ودل القوم على غرفة السلاح ، فانظر كيف يتضاعف عناؤنا ويزيد بلاؤنا ، فقال تليماك : « كلا يا أبتاه ، إبه لم يخنا أحد ، والذنب ذنبى ، فقد تركت باب الغرفة دون أن أوصده... يومايوس انطلق ففعلتُ باب غرفة السلاح وأحضر مفتاحها ، وانظر هل خاننا أحد ، أو أن هذا من فعل ميلانتيوس كما كما أجدس ا ، وانطلق يومايوس فرأى ميلانتيوس ذاهباً إلى غرفة السلاح ليحضر معدداً آخر ورماحاً ، فقال الراعى : « ها هو ميلانتيوس الوغد منطلق إلى الغرفة كما جدس مولاي » وهتف بتليماك : « ها هو ذا ! ها هو ذا ! هل أحضره حياً ليلقى جزاءه أم أقتله حيث هو ؟ » فقال أوديسيوس : « بل اذهب أنت وأخوك الراعى فشدوا وثاقه واحبساه فى الغرفة حتى يلقى جزاءه ، وسأبقى أنا وتليماك لننود دون الباب » وانطلق الراعيان فوقف كل منهما خائف مصراع من باب الغرفة حتى إذا برز ميلانتيوس انقضا عليه وكبلاه ودفماه داخل الغرفة ، شمر بطاه فى عمود هناك . وقال له يومايوس « اهنأ يا صاح وارقد هنا إلى الصباح ، وأكبر ظنى أن الشمس لن تشرق عليك إلا وروحك فى عالم الظلال والأشباح ، فلا تراك قطعاً بعد اليوم ، وأغلقت الباب وعادا أدرجهما إلى مولاهما وولده ، ووقف الأربعة يناضلون جحفاً بأكمله . ثم بدت مينرفا الحكيمة فى زى منظور وطيلسانه فعرفها أوديسيوس وفرح بها قلبه ، وهتف بها قائلاً . « منظور أيها العزيز ، معونتك وتأييدك ، فنحن صديقان منذ التدم ا » وهتف العشاق ينادون : « احذر يا منظور وإلا فتلقى

حتفك بعد أن نظفر بهذا الوغد . ولحظت مينرفا ذعر أوديسيوس  
 بما رأى من تسليح القوم فقالت تؤنبه وتحشه : ما هذا التقاعس عن  
 الخلبة يا أوديسيوس؟ هل قدمت شجاعتك وعنفوانك؟ إنك ما أحجمت  
 مثل ما تحجم اليوم طوال عشر سنوات حارتها في طر واذة من أجل  
 هيلين، فهل يشق عليك أن تلقي هذه الحفنة من عتاق بلوب في بيتك .  
 بل في عقر دارك؟ هلم اقف إلى جانبي وانظر إذا كان منظور قد عق  
 الصداقة القديمة ! » .

وحارت معه ساعة ، ولكنها تركته ليعمل للنصر بمفرده ،  
 وانسحرت فكانت عصفوراً من عصفير الجنة جعل يرف ويرف في  
 سماء البهو ، حتى وقف على إحدى خشباته ... وفرح الدشاق لمساروا  
 من مفارقة منظور ، وعادت إليهم بعض شجاعتهم لمساروا والمحاربين  
 الأربعة يقفون وحدهم في مدخل الباب الكبير ...

وقال أحدهم يخاطب الباقين : هلموا فليقتل ستة من رماحهم قذفة  
 واحدة إلى صدر أوديسيوس ، فإنه إن سقط استرحنا منه ، فلن نلقى  
 عناء من الباقين ، ولباه أصحابه ، فقتلوا رماحهم في صدر أوديسيوس ،  
 ولكن ... هيات ... إن واحداً منهم لم يصب غرضاً من الصدر العظيم ...  
 وهنا ... هتف أوديسيوس برفاقه ، فانقض الأربعة على أربعة من المهاجمين  
 فجعلوا في صدورهم رماحهم ، ورد الله كيدهم في نحورهم ، فقتل كل  
 مهاجمه ... وروسع الآخرون فارتدوا على أعقابهم ، وانزوا في الركن  
 السحيق من البهو ، وبهذا استطاع أوديسيوس ورفاقه انتزاع الرماح من

صدور المقتولين... ولم يهتم الراعيان بما أصابهما من جراح بالغة ، بل وقفنا  
 يناضلان ويفديان سيديهما .. ولما رأَت ميترفا ما يلقي المحاربون الأربعة  
 من تسكائر الأعداء رفَّت في الهواء ، ثم كشفت عن درعها الهائلة التي  
 تجلب الموت إلى كل من يراها ، ووضعت خوذتها الرائعة ثم انبرت للقوم ؛  
 وهمَّ المحاربون الأربعة يطاردون الأعداء ، والأعداء يجرون من ههنا  
 وههنا مذعورين ذاهلين بما رأوا من درع ميترفا... وجعل أوديسيوس  
 ورفاقه يصطلونهم<sup>(١)</sup> أربعة بعد أربعة... حتى لم يبق إلا المنشد المسكين  
 فيميوس ، الذي قسَّره العشاق على الإنشاد لهم ، وتطريههم تطريها لم  
 يُؤثره ، ولم يُؤجر عليه... لقد فزع المنشد المسكين من هول الجزرة...  
 وانطرح تحت قدمي أوديسيوس يقول : «مولاي أوديسيوس العظيم !  
 ارحمني واغفني فقد قهرني القوم على ما رأيت ! اصفح عن المنشد البائس  
 الذي يدخل السرور على أفئدة الآلهة ، ويذهب الحزن عن قلوب الناس ،  
 وهتف تليماك بأبيه يقول : «اصفح عنه يا أني ، فإنه لا تثير عليه ولا  
 لوم... وهلم ننقذ المنادى إن كان لا يزال به رمق ، فلقد كان يعني بي إذ أنا صبي  
 في المهد ! ، وكان المنادى قد فزع بما رأى ، وخبأ نفسه تحت مقعد كبير ،  
 ثم طرح عليه جلد ثور ، فلما سمع تليماك يقول لأبيه هذا القول ، برز  
 من مكانه ، وتعلق برجلي تليماك ، وأنشأ يتوسل ويتضرع ، ويبكي  
 ويتصدع فقال له أوديسيوس : لا تجزع أيها الرجل ، فلقد أنقذك ولدي  
 كما أنقذ المنشد... اذهبا فانتظرا في الرحبة ، فعندي ما يشغلني عنكما  
 الآن... وانطلق الرجلان وهما لا يصدقان أنهما نَجَّوا ، وجلسا عند المذبح

(١) بستأملونهم



يانتظران قتلتهما في كل لحظة... ثم مضى أوديسيوس يبحث في البهو وتحت المناضد عمن يكون به رفق من الحياة فيجهز عليه ، بيد أنهم خروا جميعاً مضرجين بدمائهم في التراب ، وقد تكبكبوا فوق بعضهم كالسمك فوق الساحل يقذف به الصياد في يوم صائف... ثم قال لابنه أن يدعو الموضع العجوز يوريكليا . فأقبلت ورأت أوديسيوس واقفاً كالمارد بين القتلى وقد لطحنت الدماء يديه ورجليه وصدرة ، فكادت المرأة تيجن من الفرح لهذا النصر المبين الحاسم ، وأوشكت أن تصيح وتزغرد ، لولا أن ردعها أوديسيوس عن ذلك : أيتها الموضع العجوز اكتمى فرحتك ، فإنه ينبغي ألا تكون شماتة فوق جثث القتلى ، وألا يكون صباح ، لأنها إرادة السماء قد نفذت فيهم بما أسرفوا من قبل وكانوا من المفسدين ! ثم أمر بالجثث أن تحمل خارج القصر . وبالدماء أن تغسل ، فتم ذلك في أفصر وقت ، والتفت إلى الموضع يحدثها ويقول : « رأيت ؟ اذهبي الآن فأحضري ناراً وكبريتاً كيما تظهر الحجره ، ثم أخبري بنلوب أن تلقاني هنا ، . فقالت العجوز « سمعاً وطاعة لك يا بني ! سأفعل ما أمرت ، ولكني سأحضر لك ثوباً تلبسه قبل كل شيء فإنه لا ينبغي أن تظلي واقفاً هكذا في أسمالك هذه ، بيد أن أوديسيوس أمرها أن تفعل ما أخبرها من فورها ، فانطلقت العجوز ، وعادت بالنار والكبريت ، وأخذ أوديسيوس في تطهير البهو الكبير .

بنلوب... وأخيراً... بنلوب!

وهرولت الموضع العجوز فصعدت إلى الطابق العلوي ، حيث

كانت سيدتها المحزونة تتقلب على فراش الهموم والأحزان فهتفت بها وهي تضحك ، وتكاد تجن من الفرح : « هلى يا بنيتى فاشهدى بعينيك كيف حققت الآلهة أحلامك واستجابت لصلواتك . . . هلى .. لقد عاد أوديسيوس وبطش البطشة الكبرى بأعدائه فقتلهم عن بكرة أبيهم بعد ما كان من خباياهم ، وبعد ما استباحوا من حرمانه وما أراغوا من خيريه وهزئوا بولده ... إنضى ا » .

ولم تصدقها بنلوب، وقالت مستهزئة بها : « لشد ما عدوت طورك وغبت عن صوابك أيتها المرضع العزيزة حين توظفينى بمثل هذا العبث وذلك الحديث الملقق ا لقد حرمتنى من غفوة يالها من غفوة لم تكتحل عيناي بأهدأ منها ولا أروح منذ أن فارقتنا أوديسيوس إلى الأرض المشعومة ... تالله لو حصل مثل هذا بمن هن دونك سنأ ومنزلة من الخدم لكان لى معهن شأن آخر ... ولكن ... لا عليك يا يوريكليا . » فتبسمت المرضع ثم قالت : « وى ا تالله إنه للحق ، ولا مريّة فيما أقول ... إنه هو الشحاذ الفقير الذى كلك ، والذى عبت به القوم وقد كان يعرف تليماك كل ذلك ، ولكنه جعله سرّاً بينه وبين أبيه حتى يثار من الأمراء ويستأصل شأفتهم ا » فرثبت بنلوب من سريرها مسبوحة (١) ذاهلة ، وطوقت بذراعها عنق يوريكليا ، وأنشأت تقول : « خبرينى بالله عليك أيتها العزيزة . . . خبرينى بالله عليك . . . إذا كان ما تقولين حقاً فأنى لأوديسيوس أن يلقى وحده كل هؤلاء ؟ وأنى لواحد أن يهزم فيلقاً من مائة أو يزيدون ؟ » فقالت المرضع : « لعمرك

ما رأيت كيف حدث هذا الأمر ، ولكنني سمعت بأذني هاتين أنين القتلى ... لقد كنا جميعاً جالسات داخل القصر ، وفرائصنا ترتعد من الفسّر<sup>(١)</sup> ، وكانت النوافذ كلها مغلقة بأمر سيدي ، حتى أقبل تلمياك فدعانا إلى البهو ، حيث رأينا أوديسيوس واقفاً بين الرمم ، وهو الآن يظهر البهو من أدرانهم بالنار والكبريت ؛ والمدفأيتا تجج بلطى كالجحيم ، ولقد أرسلني لأدعوك إليه حتى يفرح بك ، ويطمئن قلبك ، بعد طول العذاب ، وكانت العجوز تتكلم وهي ما تنقطع عن الضحك والمرح ، فقالت لها بنلوب : « أيتها المرضع العريضة لا يقتلك الفرح والصخب ... تافه إنه لن يفرح بأوديسيوس اليوم أحد كما أفرح به أنا وولدي تلمياك ... هذا إن كان ما قلت حقاً ... على أني لا أصدق ... لا جرم إنه إله كريم أقبل لينتقم لنا من هؤلاء العرايب جزاء ما أنزلوا بنا من هوان فأبادهم جميعاً .. أما أوديسيوس فلا ! لقد قضى أوديسيوس وقضى أوديسيوس إلى الأبد ! » فقالت يوريكليا : « ألا تزالين غير مصدقة يا طفلاتي (١) العريضة ؟ ألا فاسمعي هاك دليلاً آخر ؛ بينما كنت أغسل قدمي الرجل الفقير اللاجئ تحسست يداي ندبة في ساقه ذكرتني بالندوب التي أحدثها الخنزير البري في ساق سيدي أوديسيوس ، فلما كشفت عنها تبينتها ، وتأكدت أنه هو ، وأردت أن أصبح بك لأخبرك ، وأزف إليك البشرى . لم يكنه أطبق يده علي في فلم أستطع أن أنبس ... تعالى اهلسي معي الآن وانظري بعينيك لترى إن كنت كاذبة ، تعالى جمعت فداك ! ، وانطلقتما معاً ، وأطافت الذكريات برأس بنلوب ، ولم تدر ماذا عساها فاعلة إذا كان ما أنبأت

به المرضع حقاً... فلما دخلتا البهو جلست بنلوب على مقعد كبير قريب من المدفأة، ثم طفقت تُحدِّقُ بصرها في أوديسيوس، وكان جالساً وظهره إلى عمود من عماد البهو، وعيناه نبحثان في الأرض، وكأنه كان ينتظر أن تتكلم بنلوب قبل أن يفوه هو بكلمة... بيد أنها لم تنبس، بل كانت ذاهلة شاردة، تنظر إليه مرة فتوشك أن تعرف فيه بعلمها الحبيب ولسكنها كانت إذا نظرت إلى مرقه وخرقه، والأثمال التي لا تستر بعض جسمه الطائل عجبت، وتولاها الدهش، وانعقد لسانها فما يكاد يبين.

وقال تليماك آخر الأمر: «أماه انشد ما تحجر قلبك وغلظت كبديك ألم لا تهضين فتعانقني أبي ۱۱ أية زوجة ينحبس لسانها كما انحبس لسانك، فما تكلم زوجها الذي آب من سفر سنين كلها أشجان وكلها أحزان، وكلها آلام متصلة ومتاعب تنوء بحملها الجبال ۱، فقالت أمه تجيبه: «تالله يا بني لقد ذهلت عن نفسي وإني لفي تيهٍ فما أكاد أبين... ولكن إذا كان حقاً أوديسيوس، فإن لنا علامات هي سر ذاتِ بيننا، ولا يعرفها أحد سوانا، فتبسم أوديسيوس وقال: «لا عليك يا بني ادعها فستستبين حقيقتي حين أخلع هذه الأسمال، ثم انتحى وولده ناحية، وأسر إليه أنهما ينبغي أن يتهايا لما عسى أن يكون من تألب الإيثاكيين عليهما وشغبهن لما كان من قتل ساداتهم، وما يتوقع من قيامهم بشورة عامة لا تبقى ولا تذر للانتقام من القاتل... وذكر أوديسيوس أنهما يجب أن يقبها في البهو فيأخذنا في مثل ما كان العشاق يأخذون فيه من قصف وعبث ومجانة...»

وحسب الماراة أن بنلوب قد اختارت بعلمها من بين الأمراء... دقوى  
لم تعد تطيق الوحدة ، ولا تحتتمل الترمثل ، ولا تقوى على حياة الآمال  
الكواذب التي تجرعت غصصها مدى عشرين عاماً ، أما أوديسيوس  
فقد مضى فاستحجم وتضمخ بأحسن الطيوب ، وأضنى عليه من كل  
سابرى وفوف<sup>(١)</sup> موشى ، ثم أنزلت مينرفا فنفتحت فيه من روح الشباب ،  
وسكبت في عروقه من دماء الفتوة ، ومسحت بيديها السكريمتين على  
وجهه المجمع ذى الأسارير ، فأشرق وتألقت ، وهدلت شعره على كستفيه  
غدائر فاحمة كقطع من الليل البهيم . ثم إنه انطلق إلى الهو فجلس تلقاء  
بنلوب وأنشأ يقول : أيتها الزوجة المعجبة ! أما والله لقد ركبت  
الآلهة بين جنبيك قلباً ليس كقلوب النساء . . . وأى امرأة تنتبذ من  
زوجها مكاناً قصياً كما تنتبذين يا بنلوب . . . بعد إذ عاد إليك من تجوال  
عشرين سنة كلهن قلاقل وأهوال . . . يوريكليا أهلى فأمهدى لى فراشاً  
بيديك الضعيفتين ، مادام الحديد البارد الذى خلق منه قلبها لا يلين ! ،  
ومع كل هذا فقد كان الريب يرين على فؤاد بنلوب . فقالت تحتبره :  
« مولاي ! إني وأيم الحق لا معجبة ولا بن خيلاء ، ولكنى أذكر  
أحسن الذكر كيف كنت يوم همت بك سفينتك الجبارة إلى طروادة . . .  
يوريكليا ! إذهبى أيتها المرضع فأحضرى سرير زواجنا من الخدع ،  
واجعلى عليه الوسائد والحُسابات<sup>(٢)</sup> ليستريح عليه مولاك كما أمرتك  
وعجب أوديسيوس لما تكلمت به زوجته ، فقال : « إنك يا زوجتى

(١) السابرى الثوب الرقيق الجيد — والفوف مثله .

(٢) الحُسابنة الوسادة الصغيرة .

تمزقين نياط قلبي بما تقولين ! أنى لأحد ما من العالمين أن يحرك سريري  
بله أن يحمله ، إن لم تسكوني قد أطلعته على سره ؟ لقد صنعت مخدعي  
واتخذت سريري في جذع الزيتون الهائلة ... فهل لا يزال سريري في  
موضعه ثمت . أم أن أحداً قطع الجذع العتيد واحتمل السرير إلى  
مكان بعيد؟ ، وهنا ، مادت الدنيا برأس بنلوب ، وتأكدت  
أن الرجل زوجها من غير شك ، خفق قلبها خفقاناً شديداً ، وانطلقت  
تعدو نحوه ، ثم طرقت عنقه بذراعيها ، وراحت تبكي وتنتحب ،  
وتقول له : « لا تنقم عليّ إذا يا أوديسيوس . ولا يحركك أننى لم  
أعرفك منذ أول نظرة ... أو اه أيها العزيز ! لقد قضت الآلهة أن  
نفترق وأن تتعذب كل هذه السنين ، وما كان من شكى فهو أثر من  
احتراسى خشية أن يخدعنى أحد فيدعى أنه أنت ، أوزيرخرف على  
ويهرج حتى ينالى بالخداع والحب . . . ولكن مادمت ذكرت لى سر  
المخدع والسرير والزيتونة ، وهو ما لا يعلمه أحد غيرى وغيرك وغير  
يوريكيا ، فالآن فاهناً ، ولأهنأ أنا ، وليطمئن قلبي . . . قلبي الوفي  
الذى أردته إليك كأخر عهدك به ، لا ينطوى إلا على حبك . ولا يضم  
غير الوفاء لك ... وعانقها أوديسيوس ... وضم إلى صدره صدرها ...  
والتف حول عنقه ذراعها البضتان البيضاوان — وجمد عاجهما  
الناعم الأملس حول كاهله ، ووقف أوديسيوس على شاطئ الذكري  
كما يقف السباح المتعب المنهوك على شاطئ اليم وقد بلغه بعد جهد ،  
فأعضاؤه مترامية ، وأعصابه موهونة ، وقلبه خفسيق ، وروحه نشوى  
وذراعاه مع ذلك معلقتان بالشاطئ وقد سمّرتا فيه ... وقال بعد لآى :

« والله يا زوجتي العزيزة إننا ما بلغنا بعدُ نهاية أشجاننا وأحزاننا ، وإن  
 أمامنا لأمداً بعيداً وهموماً آخر تنبأ لي عنها الكاهن تيريزياس حينما  
 رحلت إليه في هيدز . وإنى لا أدري ماذا يكون من أمرى ... ولكن  
 ... لا ... لننطلق الآن إلى مخدعنا العزيز الطاهر فإن نى حاجة إلى  
 الراحة والاستجمام ... »

فقلت بنلوب : « المخدع الطاهر النقي معسد في أيما خبطة أردت  
 يا أوديسيوس العزيز ... بيد أنك أثرت شجني وفزعت شجوى مما  
 ذكرت عما يترصد بنا من هم جديد ، فهلا ذكرت لى ماذا زعم لك  
 تيريزياس فى العالم الآخر ؟ إنى مشوقة إلى ما قال ، فاذكره بحق الآلهة  
 عليك ، فأجاب أوديسيوس « عمرك الله لم تسألين عن أمر إن بيد  
 لك يسوك ؟ اواسكن لا ضير ... سأذكر لك ما نبأنى به تيريزياس ،  
 ثم وجم قليلا وقال : « لقد أشار أن أحمل مجدافا عظيما على كاهلى ، ثم  
 أنطلق مهاجراً إلى ممالك نائية وأصقاع سحيقة ، حتى أكون فى قوم  
 لم يسمعوا عن البحر قط ، ولم يروا فى حياتهم مجدافاً ولا سارية ، فإذا  
 لقيت أول من يسألنى عما أحمل ، وهل هو منذرة مما ينسف به القمح ،  
 غرست المجداف فى الأرض ، ثم تقربت إلى إله البحار نبتيون الجبار  
 بقرايين تحو ما بينى وبينه ، وتعقد بيننا أوامر السلام والوثام . كما  
 تقربنى إلى أعوانه الآخرين من آلهة الماء ، فإذا فعلت استرحت من  
 لأواء الحياة ، ونأت عنى أرزاؤها ، وعدت إلى شعبي وإليك ، وإلى  
 ولى وقصرى فعشت بينكم بسلام ، حتى يأتينى الموت ، هادم اللذات ،  
 من أعماق البحر ؛ ولكنه سيكون موتاً طيباً لا مخوفاً ولا مرهوباً ،

بل سكرة بين أمنةٍ ونعاس . بعد إذِ الجسم موهون ، والقلب فارغ ،  
والرأس مشتعل والروح سالية قالية . .

وهكذا ظل الحبيبان المشوقان يتحدثانِ قِطْعاً من الليل ، بينما  
كانت المرضع وخادمة أخرى تمهدان الفراش على ضوء المشاعل . . .  
ثم أقبلت الوصيغة فذهبت تمشي بين أيديهما إلى المخدع ، وفي يديها  
المشعل المقدس يفيض نوراً ولألاء كما أفاض منذ عشرين سنة . . .  
ولفهما ظلام الليل ، وسِترُ الهوى . . . وسكن البهو بعد ما ضج  
بالعزف والقصف ، وهدأ القصر في سدول السعادة .



## أوديسوس يصل إلى إيتاكا

وهتف هرمن بأرواح القتلى فهم مهمت . ثم أشار إليها بعصاه فسحرت  
السكرى من قلوبها ، ثم أشار كرة أخرى فأهرعت في إثره كاترع الخفافيش  
في إثر دليلها .

وانطلق حبيب الآلهة فعبرعباب البحر المحيط ، وعبرت الأرواح  
الهائمة في إثره ، وجاز صخرة لوكيديا ، وبوابة الشمس الخالدة ، ثم  
انطلق . والأرواح الهائمة من خلفه ، في تيه الأحلام ، وعبر بها في  
مروج آسفوديل ذات الأشباح ، حيث لقي القتلى أرواح ذويهم وأبطالهم  
من رجال هيلاس الذين سقطوا تحت أسوار طروادة . . . وهناك . . .  
وقفوا طويلاً يتناجون ، وكلم ابن بليوس قائد الهيلانيين أجاممنون  
ورثى له ، فكلمه أجاممنون وتحسر عليه ، ورأوا روح بتركولوس حبيب  
أخيل زعيم الميرميدون ، وروح أخيل نفسه . وروح أجاكس<sup>(١)</sup>  
العظيم . . . وعرف أجاممنون روح أمفيديون العاشق المحروب الذي  
قتله أوديسوس فيمن قتل من عشاق بنلوب ، فكلمه ، وكلبه أمفيديون  
فقص عليه ما كان من مأساتهم الغرامية وما كان من أوبة أوديسوس .  
المفاجئة واختلاطه بهم في صورة فقير شحاذ . . . إلى آخر القصة  
الدامية المشجية التي انتهت بقتلهم جميعاً . . . وما كاد يفرغ حتى بدا

(١) هو أياكس أيضاً .

العجب في محيا القائد أجاممنون ، وطفق يثني على وفاء بنلوب ، وشجاعة صديقه أوديسيوس ، ثم راح ينعي على زوجته الآثمة كليتمنسترا ما كان من غدرها ، وتدير غيلته مع حبيها الفاسق إيجستوس . . . .  
وهكذا انتهت الأشباح الآثمة إلى ظلمات هيدز . . . إلى مملكة بلوتو . . . حيث تلقى جزاءها العادل من مخالب سيربيروس الحادة وأظفاره القواطع .

هذا ما كان من أمر تلك الفئة الباغية .

أما ما كان من أمر أوديسيوس فقد استيقظ في بكرة اليوم التالي ، واستيقظت معه بنلوب السعيدة ، وهب من فراشه فارتدى ملابسه ، ووضع عليه سلاحه . ثم أمر زوجه ألا تخاطب من الناس إنسياً حتى يعود ، وأن تغلق عليها أبواب القصر ، لأنه منطلق إلى أبيه ليزف إليه البشرى بنفسه . ودعا إليه تليماخوس ليصحبه ، وليصحبه الراعيان المخلصان الوفيان ، بعد إذ يسبغ كل منهما عليه دروعه ، ويستعد بسلاحه

وانطلق الأربعة يطوون شوارع المدينة التي خيم عليها العسمة دون أن يشعر بهم أحد من أهلها ، حتى بلغوا الحلاء ، ومازوا يذرعونه حتى كانوا عند المزرعة المصون الناضرة ، وهناك ، نظر أوديسيوس بعينين مشوقتين ، وقلب ملتاغ خفيق ، إلى البيت الصغير الذي يؤوي أباه الضعيف الشيخ ، حيث يقضى أيامه في أسى ليس بعده أسى ، ويحتر همومه في صمت كصمت الموتى ، ويذرف دموعه في قنوط وسكون . . . لا يراه أحد ، ولا يشكو بثه إلى مخلوق ، إلا هذه المرأة

العجوز الحيزبون التي تخدمه في رضى ، وتسهر عليه في حب له ، وإشفاق من أجله . . . وكان ليرتس ، الأب المحزون ، يتلمس بالعمل في بستان قريب يشذب شجيراته ، ويهذب زعيراته ، فأمر أوديسيوس ولده وراعيه أن يبقوا في المنزل ليعدوا غداء فاحراً . وشواء سمينا ، لأنه يجب أن يلتقى أباه في البستان وحده . . .

وانطلق أوديسيوس إلى البستان ، فوجد الفلاحين قد انصرفوا إلى أعمالهم ، ووجد أباه يجوس خلال الأشجار كالشبح ، وهووى بنفأسه فيحتفر حوّلن ، وهو بين الفينة والفينة يصلح من لباسه الخشن الذى اتخذته من جلد عنز ، كما اتخذته قفازيه وجوريه . . . ووقف أوديسيوس تحت كثرة باسقة وطفق ينظر إليه ، ويقلب فى السنين الطوال التي يطوى تحتين عينيه ، ثم يتعجب للقلب الكبير الذى صمد لحداثان الزمان ولأواء الأيام فلم ينصدع ولم يهين ، وإن كان بعض حزنه لتنوءه الجمال .

وانبجس الدمع من عينى أوديسيوس ، وانهمر على خديه الحزينين ، وأوشك أن يمضى نحو أبيه فيأخذه فى حضنه ، ويفجأه بالبشرى القاتلة ، لولا خيفته على تلك الشيخوخة المتداعية أن تنقض حين لا تحتمل النبأ العظيم . . . نبأ عودة قطعة القلب والكبد بعد يأس دام عشرين عاماً . . . لهذا آثر أوديسيوس ألا يفعل ، وآثر أن يلتقى أباه كرجل غريب جوارب آفاق ، ويحدثه ، ليعلم ما فى قلبه . فذهب إليه ، ووقف عن كسب يكلمه :

— وأيها الشيخ : ويكأنك لا علم لك بأمور هذا الزرع ، وإن أثمر  
بستانك وآتى أكله أحقاً ، إنى لا أرى عشباً فى الأرض ، ولا شجرة  
إلا وهى مشمرة ، ولا زهرة إلا وهى مسفرة نامية ، وما ذات إلا لسهرك  
عليها .. بيد أنه لن يسوءك إن لاحظت أنك تُعنى بهذا البستان أكثر  
مما تعنى بنفسك ، مع ما أنت فيه من تقادم السن ولمحة الشمس ووطأة  
المرض . . . وما أحسب مولاك إلا قاسى القلب عليك ، قليل الاحتفاء  
بك والتوجع من أجلك ، مع مالك من سيماء النبل ، ومظاهر الملوك ؛  
فما كان أحجى بك — وأنت فى هذه السن — أن تستحجم وتتصمخ  
وتنام ملء عينيك ، لا يزعجك عمل ، ولا تتودك أكلاف الحياة ؛  
ولسكن قل لى بالله عليك أيها الشيخ ، لمن تنصّب كل هذا النصب ،  
وبستان من هذا ؟ خبرنى لا تخفِ على أيها الأب ، فلقد لقيت من  
سألته فلم يأبه بى ولم يُعثنَ بمسألتى . . . ولقد زرعت الرحب حتى  
وصلت إلى هذه الأرض ، إيثاكا ، لأنى كنت أقدم فيما مضى من الزمان  
فأحل ضيفاً على أمير عزيز فيها ، وما أعرف إن كان لا يزال حياً يرزق  
أو مضى لا قدر الله إلى هيدز ؛ ولقد كان هذا الصديق يزورنى فى وطنى  
فأكرم مشواه ، ولقد كان يحدثنى الأحاديث عن أبيه ليرتس ابن  
آزيرياس . . . وما أنس لانس أيام كان يحمل إلى الهدايا فأردها إليه  
أضعافاً مضاعفة ، فمن ذلك أنى نفحته مرة بسبع بدر من خالص  
الذهب ، وبجمالة من فضة مزدانة بأفواف الزهر ، واثنى عشر صداراً ،  
واثنى عشر دثاراً ، ومثلهن من أكرم البسسط ، وشيء كثير من ثياب  
القائم والسنجاب ، تم أهديت إليه أربع جوارٍ كُنُس أسكار اختارهن

بنفسه ، مشغفات مهذبات ، يتخايلن في الخبز . ويرفلن في الديباج . .

وازدحمت الدموع الحرار بكل الذكريات المشججة في عيني الرجل الشيخ ، وقال يجيب أوديسيوس : « أيها الأخ لقد بلغت منك ، فهذه هي إيثارا . . . بيد أنها - وأسفاه ! - نهب مقسم بين فئة باغية ظالمة لا تخضع لقانون ولا تعرف شريعة . . . أما صديقك فوا أسفى عليه . . . ويا ألف أسى على هداياك ! من لك به اليوم ليردها عليك أضعافاً مضاعفة يا صاح ! ولكن قل لى بربك واصدقنى : منذ كم سنة لقيت صديقك التعس ، الذى هو ابنى ! ؟ إيه . . . له الله ! ما أحسب إلا أن السمك قد اغتذى به ، أو أنه غدا يوماً جزر السباع وكل نسر قشعم أو اه عليك يا أوديسيوس يا ولدى ! هكذا قضيت ولم أذرف على ثراك عبرة ، ولم تكتحل عيننا أمك قبل أن تموت بروياك . . . ولا بنلوب ! ولا بنلوب أيضاً كانت إلى جانبك لتغمض بيدها أجفانك . . . ولكن . . . ولكن قل لى أيها الأخ من أنت : ومن أى البلاد قدمت ؟ وابن من من الكرام الأكار ؟ وفى أى الرفاق وصلت إلى إيثارا وفى أى السفائن ؟ أم وصلت بك إحدى الجوارى المنشئات ثم غادرتك فى إيثارا ؟ . . »

وقال أوديسيوس وهو يلفق ما يقول : « أما من أنا . . . فد . . . أنا إيريتوس بن أفيداس بن پوليمون من أمراء ألياس ، من أعمال صقلية ، ولقد هبت على سفيتى عاصفة هوجاء فدفعتنا نحو بلادكم وألقينا المراسى فى مينائكم . . . ولقد لقيت أوديسيوس لآخر مرة

منذ خمس سنوات ، وقد افترقنا وكنا أمل أن المتيق لتبادل تذكارات  
الحبة وهدايا الصداقة والوفاء والود .

وانعقدت سحابة مظلمة من مرارة الحزن فحجبت الضوء عن عيني.  
ايرتس ؛ ثم إنه أهوى إلى الأرض فقبض قبضات من التراب وراح  
يحثوها على رأسه ، ويئن أينا مؤلما . ولم يحتمل أوديسيوس أن يرى  
أباه في هذه الحال ، بل كاد صدره ينشق من حسرة عليه ، فهرول  
وأخذه ملء ذراعيه وجعل يضمه إلى صدره ويقبله ويقول : « أبته ا  
أبتاه ا هو أنا ذا ا أنا أوديسيوس عدت إليك بعد عشرين عاما فأفرح  
وهديء روعك ، ولتنته آلامك ، وإليك أحسن البشرى ا لقد  
قتلت أعدائي العشاق جميعا . فتاتهم في بيتي ، وانتقمت لك ولى  
ولبلوب ا . »

بيد أن ليرتس وقف ذاهلا عن نفسه ، ثم نظر إلى ولده وقال :  
« إن كنت حقا ولدى أوديسيوس ، فهاك برهانك الذى يقطع شكى ا ،  
فقال أوديسيوس : « ألا تصدق ا إذن فانظر إلى الندوب الخالدة  
التي احدثها فى ساقى خنزير الفلاة إذ أنا حدثت يا أبى ا ألا تذكر يوم  
كنا على جبل برناسوس ، وكان جدى أوتوليكوس معنا ثمة ، وكان  
يتحبنى بالهدايا واللبى ؟ وهاك دليلا آخر يوم مشيت معك فى هذه  
الحديقة ورجوتك أن تجعل بعض هذه الأشجار باسمى ، فشيت معك ،  
ورحت أنت تسميها لى بأسمائها ، فجعلت لى ثلاث عشرة كثرة ، وعشر  
تفاحات ، وثلاثين تيننة ، وخمسين صفا من الكروم الناضرة التي كان  
يزرع القمح بين عرائشها والتي كانت تتدلى منها العناقيد من كل لون ا . »

وانجباب الشك عن فؤاد ليرتس ، فأخذ ولده بين ذراعيه المرتجفتين وراح يضمه ويقبله ، ويضعده في صدره الرحب القوي أنفاسه ، حتى إذا وهنت قواه أرسله ، وأخذ يحدثه فيقول . « يا للآلهة ! يا أرباب السموات الخالدة في شعاف الأولمب ! أهكذا قضيت آخر الأمر أن ينصب جام غضبك ومهجم نغمتك على هؤلاء الكفرة الفجرة ! ولكن لشد ما أخشى أن يتألب الجمهور علينا ، فيهرعوا إلى هنا . ويطلبوا ثأر ذويبهم .

فتبسم أوديسيوس وقال له يطمئنه : « لا عليك يا أبى... هلم الآن فلنذهب إلى بيتك الجميل ، فلقد أرسلت تلميحا ثمة ومعه الراعى ، ويومايوس الوفي ، ليبدوا لنا طعاماً سريعاً خفيفاً .

وأعد الطعام ، ومزجت الخمر ، وذهبت الخادم العجوز فأعدت حملاً لسيدها الشيخ ، ثم ضمخته وأضفت عليه ملابس نظيفة . . . وتنزلت مينرفا الكريمة فمشت بيديها الإلهيتين على جسم ليرتس فتدفق الشباب في عروقه ، وعاد إليه روائه وحسن سمته ، فلما خرج من الحمام تعجب أوديسيوس وقال له . « تالله يا أبت إنى لا أشك في أن بعض الآلهة قد رد إليك صباك . وخلع عليك برودة الشباب من جديد ! ولم يكن عجب ليرتس بأقل من عجب ولده ... » تعاليت يا جوف ! وتقدست يامينفا ! وسماجدك يا أبولو ! لقد كسرتهم في نضرة الشباب التي كانت لي يوم ملاكت مدينة ريكوس بمعونة السيفالين الشجعان ! أواه لو قد رلى أن أقف إلى جنبك أمس يا بنى ، ليكون لي شرف مجادلة الأوغاد الذين قتلت ، إذن ، لحظيت بكوكبة منهم أخرج أديم الأرض

بدمائها ، فأشفي منهم حرّداً في صدرى ، وغِلاً في حشاشتى ا . .  
وأكلها هنيئاً وشرها مريعاً ، ثم جاسوا على الأرائك متقابلين . . .  
وكانت الخادم العجوز قد انطلقت إلى المزارع فدعت كبير الفلاحين  
دوليوس ، فأقبل في رجاله الذين كدّم العمل وأهكّتهم المثارة . . .  
فلما رأوا ما ارتد إلى سيدهم من شبابه ، وهذا الرجل الغريب الذى يجلس  
بين العائلة المقدسة ، وقفوا مسبوّهين مشدوهين ، لا يعرفون ماذا  
يقولون . . . وحدهم أوديسيوس ، ثم بدأ يكلمهم فى لطف وخبث  
ويقول : « إجلس أيها العجوز دوليوس فكل أنت ورجالك . . .  
فليس ثمة متسع لدهش أو عجب .. إجلس قبل كل شيء فاملاً بطنك  
وبطون رجالك . . . لقد انتظرتنا كم طويلاً ، لكنكم استأنتم ا ، ولكن  
سرعان ما عرف دوليوس مولاه حين سمع صوته ، فأقبل عليه ، وتناول  
يديه ، وطفق يغمرهما بالقبل الياكية ويقول : « أوه يا مولاي ا  
هكذا والله تستجيب السماء لقد طالما جأرتنا ولقد طالما دعونا فلها  
الثناء إذ ردتك إلينا افحش واسلم وُسْرًا وابتهج . . . ولكن . . . هل  
علت الملكة بقدم مولاي ؟ ألا ننطلق من فورنا فنزف إليها البشرى ؟ »  
وظمأته أوديسيوس ، فجلس الرجل مبهتجاً مسروراً ، وجلس  
أبناؤه معه ، وأخذوا فى أكلهم وشرابهم ، وأخذ أوديسيوس يلاطفهم  
ويداعبهم . . . وهكذا عاد الحبور مرة أخرى إلى بيت ليرتيس ا

\* \* \*

وقرع آذان الناس فى المدينة ما كان من قدوم أوديسيوس ،



وما حاق بالأمرء المعاميد من نكبة على يديه الجبارتين ، فأهرعت  
جموعهم إلى قصره صاحبة ناعبة ، ثم انطلقوا إلى حيث كدست أجساد  
القتلى فحرق كل قتيله ، وأرسلت جثث الغرباء إلى ذويهم في أوطانهم  
في سفن الصيادين من كل فج لتُحرق ثمة ... واجتمعوا بعد ليتشاوروا  
بينهم فيما ينبغي أن يكون ... فنهض يوبيتيس والأسى يزلزل جوانحه  
وأنشأ يقول : « أيها الرفاق ! لقد كان هذا الرجل الطاغية حرباً دائماً  
عليكم فلم يصحبكم منه إلا الشر ، ولم تثمر لكم فعالة إلا الندامة ! فلقد  
ساق شبابكم وخيرة أبطالكم إلى طر وادة المشومة حيث قتلوا أجمعين ،  
وهاهو ذا ينقلب اليكم اليوم ليذبح ساداتكم وذوى الصولة فيكم ...  
فهللوا إذا وروا رأيكم فيه قبل أن ينطلق إلى بيلوس فيطلب العون  
عليكم ، وتصبحوا على ما قصرتم نادمين ! إنا إن لم نثار اضحايانا فأى  
عار يسمنا وأى خزي يصمنا يا قوم ! وأية حياة هذه التي تحيونها  
بعد ما حل بكم من هوان ومذلة ... لخير لكم أن تذبحوا أنفسكم فترحلوا  
إلى هيدز مع أرواح قتلاكم ولن تكونوا على ذلك من الأسفين ! ،  
ثم جلس وهو يتصدع من الحزن على صاحبه أتينيوس الذى كان أول  
ضحيا أوديسيوس ... وقام ميدون المنشد التعس فقال : « أيها المواطنون  
أعيروني آذانكم ! تالله إن أوديسيوس لم يرم سهامه إذ رمى ، ولكن  
بعض الآلهة كان يرسم له وينافح عنه ، ولقد رأيت به بعينى هاتين فى  
صورة منطور ، ووالله ما هو منطور ، ووالله لقد كان يمشى بين يديه  
همنا وهمنا قيرآع العشاق وتفزع قلوبهم ويسقط بعضهم فوق بعض  
فتأخذهم سهام أوديسيوس ويروى من دماهم سيفه ! ، وما كاد يفرغ

ميدون، وكان فيهم أميناً صادقا، حتى طارت ألو انهم وامتقعت وجوههم  
ونظر بعضهم إلى بعض، وادأرأوا<sup>(١)</sup> طويلا، ثم وقف هاليتير  
بطلهم القديم بن مسطور، وكانت له دراية بكشف أستار الماضي  
والحاضر والمستقبل، فصعَّع<sup>(٢)</sup> خده وقال: يا أيها الإخوان ا  
يا أبناء إيثاكا اإسمعوا وعوا؟ تالله لقد طالما مهدتم للفتنة، وإنما ثمرة  
أتم غارسو شجرتها وأنتم اليوم جئناؤها... أتذكرون يوم رجوتكم  
فألحفت عليكم في الرجاء أنا وصاحبي ميدون هذا، أن نذهب فتمنع  
القصر من شبابكم، ونصون عرض أوديسيوس من أبنائكم، ونصرفهم  
عن ولده وزوجه ومتاع هذه الحياة الدنيا، فأيتهم أكبر الإباء، ورفضتم  
أقبح الرفض، وجعلتموها فتنة كنت أستعيز بالآلهة منها؟ افعالام  
تغلى مراجل صدوركم يا قوم؟ وفيم اتماركم بالرجل وقد ثار لعرضه؟  
ألا فاسمعوها كلمة مخلصه أسديها إليكم... الرأي ألا تذهبوا، وألا تجعلوها  
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، بل اقعءوا ههنا آمنين،  
ولا تكونوا كالذي سعى إلى حتفه بظلفه، وأبطأت عليه المنايا فسعى  
قدماً إليها، وما فرغ حتى زجر القوم وتصايحوا به، وضحجوا من  
كل مكان... ثم إنهم سمعوا إلى شيطان يوبيتيس ففرعوا إلى أسلحتهم،  
وأسبغوا عليهم من دروعهم، وانطلقوا إلى المدينة فنظموا فيها صفوفهم  
وأقاموا يوبيتيس قائداً منحوساً عليهم، وما جعلوه كذلك إلا ليلقى  
حتفه بيد أوديسيوس، وتعجل روحه إلى النار!

ومضت مينرقالا إلى سيد الأولمب، جوف العلى فوفقت بيا به تقول:

(٢) أمال خده من الكبر.

(١) تدافوا واختلفوا.

« أبتاه ابن عن سريرتك ، واكشف عن مكثوم قلبك ومكثون نفسك اهل يحل على هذه الفئة الظالمة غضبك ، أم أنك ما نحن محبتك ، ومحصنها بجمايتك ؟ ، فتبسم من قولها وأنشأ يجيب : « وفيه هذا التساؤل يا ابنتي ؟ ألم تقدرى أنت أن يعود أوديسيوس إلى وطنه فيذبح بيديه أولئك العتاة الطغاة ، ويريح وجه الأرض من خبائثاتهم ؟ ليكن ما تشائين اإصنعى ما بدا لك ... ولكن نصحى أمحضك إياه ياميرفا ما دام أوديسيوس قد ثار لنفسه من أعدائه ، فليكن السلام على الأرض ، وليحل الأمان فى ربوعها ، وليتقاسم الملاء على الود والصفاء ، وليحكم أوديسيوس بين الناس بالعدل ... وعلينا نحن أن ننزع ما فى صدورهم من غل فينسوا سخائمهم ، ويطرحوا ثاراتهم ، ثم لتكن لهم من أنفسهم أممنة ، ولتجر البركات عليهم أجمعين ، وليصبجوا بحولنا أصفياء متحابين ،

وزفت ميرفا من السموات العلى إلى إيثاكا .

وفرغ أصحاب أوديسيوس من أكلهم فأمرهم أن يتحسسوا آثار القوم ، فانطلق أحد أبناء دوليوس إلى المدينة فرأى من استعداد أهلها ما رأى ، وجاء إلى مولاه على عجل فقال له : « مولاي لقد تسلمح الإيثاكيون وهم موشكون أن يقدموا إليك ا ، فمنض أوديسيوس فادرع ، وادرع أبوه وابنه وخادماه وأبناء دوليوس الستة ، وادرع دوليوس كذلك ، وادرع الفلاحون الآخرون ، وحمل كل سلاحه ، وبرزوا إلى الطريق وفى مقدمتهم أوديسيوس .

وبدت ميرفا فى صورة منظور وفى طيلسانه ، فلما رآها أوديسيوس

فرح واستبشر ، والتفت إلى تليماك فقال : « أي بني عليك أنت أن تحمينا اليوم فقد عرفت ما خاض أبوك من معامع ، وسرى من محارب خيراً من صاحبه اليوم ا ، فقال تليماك يحميه : « اطمئن يا أبي فسرى كيف يحمي العسلوج<sup>(١)</sup> فرعه ، وكيف يشب الفرع على أصله . تالله لن أفضحك فيما وكلت إلى<sup>١</sup> يا أبي ، ولن يخيب رأى أهلي في<sup>١</sup> ا و فرح الوالد بمقالة ابنه ، وشكر للآلهة وأثنى عليها .

واقتربت مينرفا من لير تيس ، وهي لا تزال في صورة منطور ، فقالت له : « أوه أيها الجد الوقر ا صل<sup>١</sup> لمينرفا وابتهل ، وتوسل إلى جوف ، أن يمنحك القوة والجلد ، ثم الهجوم بجر بتك على يوبيتيس فروها من دمه ، فالسما ككها معك ، ولمسته بيدها فتدفق شهابه في قلبه ، وكان جيش الأعداء قد اقترب منهم فطار لير تيس إليهم برمح وأقصد يوبيتيس بضربة في صدره ، فخرج سنان الرمح يلسع من ظهره ، ورأى أوديسيوس ذلك فطار إلى الملاء بسلاحه ورماحه ، وانقض تليماك في إثره ، وهجم الآخرون في إثر تليماك ، ولم يطل القراع ، فقد فرغ الأعداء واحتلظ نظامهم ، فولوا الأدبار ، ولسكن هيهات ا لانجاة اليوم ، فلقد سد عليهم أوديسيوس ورفاقه الطرق ، وأخذوا عليهم المسالك ، فهم في ضيق ، وهم ذاهلون ا

وهتفت ابنة جوف العذراء بأوديسيوس ورجاله تقول : « السلام عليكم أيها المحاربون ا السلام ا السلام ا قبل أن تجرى دماؤكم أنهارا ، ثم بدت مينرفا في صورتها الإلهية المقدسة فارتعدت فرائص القوم ،

(١) العسلوج الفرع الصغير .

وتخاذلوا فيما بينهم ، حتى أصحاب أوديسيوس لقد ارتجفت أعضائهم  
وعصف الذعر بسواعدهم ، وكادت سير ففهم ورماحهم تنتثر على الأرض ..  
ولم يعبأ أوديسيوس ، بل هجم كالفر على القوم المنزمنين يودلو يصعقهم ،  
وظفق يبرق ويرعد ، ويزأر بصوته المدوى العظيم ، فغضب سيد  
الأولمب ، وأرسل إحدى صواعقه نذيراً من لدنه إلى مينرفا ، فاجلست  
إليه ذات العينين الزبرجديتين ، وزجرته عن الناس وهي تقول .  
« لا يا أوديسيوس الا يا ابن ليرتس التميل ، لا يجدر هذا بماضيك ا  
ضع حداً لهذه المجزرة المروعة أو تجلب عليك غضب جوف العلى ، .  
ونخبست أوديسيوس ، وسررت مينرفا ، وعقد منطور الصالح بين  
الفر يقين ، ودخل الناس فى السلم كافة . . . ا

# فهرس

صفحة	
٨	بين مينرفا وتليماك .
٢٠	تليماك يجادل الخطاب .
٣٣	تليماك يسائل نسطور عن أبيه .
٤٦	الخطاب يتأمر ون .
٦٨	أوديسيوس يبحر من جزيرة كاليبسو .
١١٨	في أرض المردة .
١٣٤	أوديسيوس يروى قصته .
١٥٣	رحلة أوديسيوس إلى العالم الثاني .
١٧٤	تمام قصة أوديسيوس .
١٩٠	أوديسيوس يصل إلى إيثاكا .
٢٠٦	مع الراعى .
٢٢١	عودة تليماك .
٢٣٤	أوديسيوس يلقى تليماك .
٢٤١	أوديسيوس في قصره .
٢٥١	أوديسيوس يتشاجر مع شحاذ .
٢٦٧	نذير من السماء .
٢٨٢	الانتقام الهائل .
٢٨٩	بنلوب . . . وأخيراً . . . بنلوب .
٢٩٧	أوديسيوس يصل إلى إيثاكا .

## كتب أخرى للمؤلف

- ١ - أساطير الحب والجمال عند الإغريق تظهر الطبعة الثانية قريباً
- ٢ - قصة الإلياذة لهوميروس الطبعة الثانية
- ٣ - قصة الأوديسة »
- ٤ - في الفن المسرحي (١) جوردون كريج »
- ٥ - نحو عالم أفضل برتراند رسل
- ٦ - علم المسرحية أالاردس نيكول
- ٧ - فن كتابة المسرحية لاجوس إجرى
- ٨ - حياتي في الفن (جزءان) ستانسلافسكى
- ٩ - قصة المسرح والمسرحية والتمثيل والإخراج في ٣٠٠٠ سنة شلدون شيني (تحت الطبع)
- ١٠ - قصة أعلام الأدب في العالم برتون راسكو (تحت الطبع)
- ١١ - فوماجوردييف (قصة جوركي)
- ١٢ - العلبة الزمردية أساطير للكاتب الروسي بازاوف
- ١٣ - قصص للكاتب الروسي كنور
- ١٤ - أشهر المذاهب المسرحية (تحت الطبع)
- ١٥ - إقرأوا معي - مجموعة أقاصيص للأطفال ظهر منها ١٢ قصة

طبعة النهضة العربية  
١٣ شارع كامل صدق القاهرة





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

الَّذِي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ







